دراسات عربية

ISSN 2348 - 2613

(مجلة سنوية محكمة يصدرها مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهرلال نهرو، نيو دلهي)

هيئة التحرير

رئيس التحرير

الأستاذ بشير أحمد الجمالي

الأعضاء

الأستاذ فيضان الله الفاروقي

الدكتور رضوان الرحمن

الدكتور خلدون سعيد صبح

مركز الدراسات العربية والإفريقية

مدرسة اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهرلال نهرو

نيو دلهي – الهند – ١١٠٠٦٧

المحتويات

رقم	دراسة	كاتب	صفحة
	الافتتاحية	د/ بشير أحمد جمالي	٥
	الدراسات الإسلامية		١٠
١	الشاه ولي الله الدهلوي		
	نابغة الدهر وعبقري الزمان	أ. د/ أختر الواسع	١١
٢	الفلسفة الصوفية والأدب الصوفي في تاميلنادو	أ. د/ بشير أحمد جمالي	٢٢
٣	تنسيق الكليات الإسلامية ريشة ذهبية		
	في أوراق تاريخ الدراسة الإسلامية	نشاد علي الوافي	٣٦
٤	نظرة خاطفة على إسهام الهند		
	في السيرة النبوية باللغة العربية	د/ عبد الناصر علي	٤٣
٥	دور جمعيّة العلماء فى النهضة الإسلاميّة		
	بولاية كيرلا	محمد أسلم. إ.ك	٥٠
٦	دور سيمانشال في ترويج الدراسات		
	العربية والإسلامية	محمد زكريا	٦٣
	الدراسات اللغوية		٨٦
٧	جماليات المثل والتشبيه في القرآن الكريم		

	وأثرها في فكر جلال الدين الرومي	د/ خلدون سعيد صبح	٨٧
٨	طرق تدريس اللغة العربية بين التقليد والحداثة	د/ عبيد الرحمن	١٠٤
	بين اللغة والأدب والمعجمية	د/ قمر شعبان الندوي	١٢٧
٩	إسهامات أحمد عبد الغفور عطار في تقسيم المعجمات العربية إلى أربع مدارس	محمد عالمغير	١٤٠
١٠	علم الدلالة العربية ودوره		
	في اشتقاق الألفاظ الجديدة	د/ ك. علي نوفل	١٤٧
	الدراسات الأدبية والفكرية		**١٧١**
١١	ترجمة القصص الهندية المنشورة في مجلة "ثقافة الهند"	د/ محمد قطب الدين	١٧٢
١٢	النقد المقاوم: كتاب غسان كنفاني		
	"في الأدب الصهيوني" نموذجا	محمد شافعي الوافي	١٨٠
١٣	رابندرانات طاغور وفلسفته التربوية	مزاج الرحمن تعلقدار	١٩٥
١٤	المرأة في الرواية العربية التاريخية		
	خلال النصف الأول من القرن العشرين	د/ أختر عالم	٢٠٢
١٥	الأدب العربي الحديث في العراق	محمد أحمد عبد الله	٢١٢
١٦	أمير تاج السر روائي سوداني		
	.... صوت لم يرتفع حق الارتفاع	محمد شريف النظامي	٢٣٢
١٧	نجيب محفوظ راوي مصر		

	وقمة الرواية العربية الحديثة	د/ محمد أجمل القاسمي	٢٣٨
١٨	الدكتور يوسف إدريس ودوره		
	في الأدب العربي الحديث	وسيم أحمد	٢٤٦
١٩	ملامح القصة القصيرة فى الأدب الأردي	مصطفى علاء الدين	٢٥٤
٢٠	مساهمة أعلام المترجمين في تطوير		
	الأدب العربي الحديث	د/ محمد مهتاب عالم	٢٦١
٢١	نشاطات علمية وحركات سياسية		
	في جامعة جواهرلال نهرو	محمد أزهر	٢٧٨
٢٢	استعراض رواية "آدو جِيوِتَم"		
	(عيش الماعز) لـ بنيامين	محمد عبد الكريم	٢٨٢

الافتتاحية

الحمدُ لله الذي جعل الإنسان خليفة في الأرض ليعمرها، وملّكه جوّها وبرّها وأبحرها وزيّنه بالعقل وأكرمه بالعلم ليعرف نعمة الله فيشكرها، وسخّر الشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره ونحمده تعالى على نعمه ونعوذ به من أن نكفر بها ونسأله المزيد من فضله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

يسرّني جدا أن أقدّم كلمة الافتتاحية لهذا العدد الأول من مجلة "دراسات عربية" التي تمثّل تحقّق حلم كان طلاب العربية وآدابها والباحثين فيها وأساتذتها في جامعتنا "جامعة جواهرلال نهرو" يحلمونه منذ أمد بعيد. ومن الجدير بالذكر في هذا السياق أن هذه المجلة ليست وليدة الساعة بل هي ثمرة جهود جادّة ومحاولات جدّية قام بها أولئك المهتمون منذ قرابة ثمانية شهور.

وإنّني منذ أن تولّيت مهام الأمور رئيساً لمركز الدراسات العربية وآدابها قبل سنتين كانت فكرة إصدار مجلّة بحثية مستقلة من هذا المركز تخالج فؤادي لسببين. الأول أن الطلاب الباحثين على مستوى الدكتوراه وما قبل الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها في مركزنا يبلغ عددهم ما يفوق ١٥٠ باحثا وهؤلاء لكونهم نخبة من طلاب العربية الهنود درسا وبحثا (لأن جامعتنا كما هو معلوم تختار طلابها بعقد المسابقة أي امتحان الدخول في جميع أنحاء الهند) لديهم أفكار نيّرة وآراء رائعة كلها ثمار بحوثهم الناضجة ودراساتهم الراشدة وهم يحتاجون إلى وسيلة لإظهارها. والثاني ندرة وقلة وجود مجلات بحثية محكمة في اللغة العربية في الهند.

والخطوة الأولى كانت عندما وضعت خطة إصدار المجلة أمام أصحابي الأساتذة في اجتماع مركزنا فاستقبلوها بسرور ووعدوني بتعاونهم وبتعاضدهم في تنفيذ هذا المرام الميمون. وخطوتي الثانية كانت إصدار الإعلان عن هذه الخطة وطلب المقالات والأوراق من الطلبة الباحثين ففعلت هذا عدة مرات وفي كل مرة استطعت أن أستلم بضع مقالات. وبهذا تحققت أخيرا نيّتنا ووصل إليّ العدد االجيّد من المقالات في غضون ثمانية شهور ماضية. وشكلنا لجنة تحكيم تحتوي على عشرة أشخاص بارزين مخضرمين في مجال الأدب العربي واللغوي والإسلامي ـ خمسة منهم من داخل الهند وخمسة من خارجها لا سيما من البلدان العربية. ووضعنا جميع المقالات التي جاءت إلينا أمام هذه اللجنة لفحصها وتقييمها ثم اخترنا الأنسب والأليق لنشرها. وهكذا بلغ عدد المقالات التي تزيّن هذه المجلة إلى اثنتين وعشرين مقالة.

تحتوي هذه المجلة على اثنتين وعشرين مقالة وتم تقسيم هذه المقالات إلى ثلاثة أصناف حسب نوعيتها. فالصنف الأول في الدراسات الإسلامية والثاني في الدراسات اللغوية والثالث في الدراسات الأدبية والفكرية.

افتتح ملف الدراسات الإسلامية بعنوان الشاه ولي الله الدهلوي نابغة الدهر وعبقري الزمان للأستاذ الدكتور أختر الواسع قام بترجمته من الأوردية د. قمر شعبان الندوي، وفي هذا البحث إضاءة على شخصية الدهلوي المعتدلة ودوره في إحياء الدين في شبه القارة الهندية ثم نقرأ بحثاً للأستاذ الدكتور بشير أحمد جمالي بعنوان الفلسفة الصوفية والأدب الصوفي في تاملنادو تناول فيه أهم الشعراء الصوفيين وفكرهم في فلسفة وحدة الوجود مبينا سر الله في خلق الإنسان : وأنت هذا العالم والسماء والبحر والجبال .

وجاء البحث الثالث بعنوان تنسيق الكليات الإسلامية ريشةٌ ذهبية في أوراق تاريخ الدراسة الإسلامية للباحث نشاد علي الوافي مركزا على دورها التاريخي في نشر الإسلام، وكتب الدكتور عبد الناصر علي بحثاً بعنوان نظرة خاطفة على إسهام الهند في السيرة النبوية

باللغة العربية ذاكرا علماءها ومنشوراتها مثل مجلة البعث الإسلامي، و كتب محمد أسلم .ا.ك بحثاً بعنوان دور جمعية العلماء في النهضة الإسلامية بولاية كيرلا مركزا على المقاصد الإسلاميّة السمحاء ثم نجد بحثاً بعنوان دور سيما نشال في ترويج الدراسات العربية والإسلامية للباحث محمد زكريا.

أما ملف الدراسات اللغوية فتضمن بحثاً بعنوان جماليات المثل والتشبيه في القرآن الكريم وأثرها في فكر جلال الدين الرومي للدكتور خلدون سعيد صبح مبينا أنواع المثل في البلاغة العربية، وتناول الدكتور عبيد الرحمن طرائق تدريس اللغة العربية مبينا المهارات في القراءة والتعبير وغيرها. وكتب الدكتور قمر شعبان الندوي بحثاً بعنوان بين اللغة والأدب والمعجمية، فالمعاجم نتاج مختلف الصنوف الأدبية، وثمرة تنوع المسائل الحضارية، وحصاد ألوان من القضايا الثقافية، والاجتماعية، و تبعه بحثٌ آخر بعنوان إسهامات أحمد عبد الغفور عطار في تقسيم المعجمات العربية إلى أربع مدارس للباحث محمد عالمغير، فالعطار قام بتحقيق الصحاح للجوهري وتهذيب الصحاح للزنجاني و"ليس" في كلام العرب لابن خالويه، ونجد بحثاً بلاغياً دلالياً للدكتور ك. علي نوفل بعنوان علم الدلالة العربية ودوره في اشتقاق الألفاظ الجديدة وهو بحث غنيّ متنوع بين البلاغة وفقه اللغة ودلالة الألفاظ.

أما ملف الدراسات الأدبية والفكرية فنجد فيه مقالاً بعنوان ترجمة القصص الهندية المنشورة في مجلة ثقافة الهند للدكتور محمد قطب الدين وقد ذكر بعض القصص الهندية المترجمة قي مجلة ثقافة الهند التي تعد مَعْلَما من معالم الهند الثقافية، وكتب الباحث محمد شافعي الوافي بحثاً بعنوان النقد المقاوم: كتاب غسان كنفاني "في الأدب الصهيوني" نموذجاً وقد بيّن الباحث محمد شافعي فكرته من خلال كتاب في الأدب الصهيوني لكنفاني الذي اعتمد فيه على فكرة "اعرف عدوّك"

وقدم لنا مزاج الرحمن تعلقدار بحثاً بعنوان رابندرآنات طاغور وفلسفته التربوية ثم نجد بحثاً للدكتور أختر عالم بعنوان المرأة في الرواية العربية التاريخية خلال النصف الأول من القرن العشرين ثم قدم محمد أحمد عبد الله بحثاً بعنوان الأدب العربي الحديث في العراق، وكتب محمد شريف النظامي بحثاً بعنوان أمير تاج السر روائي سوداني ثم نجد الدكتور محمد أجمل القاسمي يقدم بحثاً بعنوان نجيب محفوظ روائي مصر، وقدم وسيم أحمد بحثاً بعنوان الدكتور يوسف إدريس ودوره في الأدب العربي الحديث، ونقرأ عنواناً لمصطفى علاء الدين بعنوان ملامح القصة القصيرة في الأدب الأوردي، و قدم لنا الدكتور محمد مهتاب عالم بحثاً بعنوان مساهمة أعلام المترجمين في تطوير الأدب العربي الحديث، ونقرأ للباحث محمد أزهر بحثاً بعنوان نشاطات علمية وحركات سياسية في جامعة جواهرلال نهرو، وننهي المجلة باستعراض رواية "آدو جيوتم" (عيش الماعز) لبنيامين قدم هذا الاستعراض والترجمة الباحث محمد عبد الكريم.

ونأمل أن تكون هذه المجلة صلة رحم فكرية وثقافية بين باحثينا وزملائنا الأساتذة من جهة، وبينهم وبين إخواننا الهنود والعرب المهتمين باللغة العربية وآدابها خارج جامعتنا من جهة ثانية. و تطمح إلى أبعد من ذلك لكي تكون صلة وصل بين علماء أمتنا الإسلامية وأساتذتنا في شتى أقطارها ومختلف أمصارها في العصور القادمة. وستكون هذه المجلة منبرا لإعلان الآراء ومعرضا لنشر الأفكار في إطار آداب الحوار الجميلة وأخلاق الإسلام الجليلة لتشرح لا لتفضح، ولترشد لا لتنطح، وليكون كل ذلك في أسلوب سليم جميل لا يتوحش ولا يستنكف منه ذوو حظ صغير أو كبير من العلم والمعرفة. إن صدرهذه المجلة منشرح لكل نصح نزيه ولكل نقد شريف ولكل اقتراح مفيد يرقيها ويسمو بها معنى وأسلوبا.

ويطيب لي في الختام أن أقدم خالص الشكر والتقدير لجميع من أسهموا في إخراج هذه المجلة في عددها الأول وجميع من كان لهم إسهام في الفكرة والتحرير والمراجعة

والإخراج النهائي بما فيهم أعضاء هيئة التحرير والكتاب الذين شاركوا بتزويد المجلة بمقالاتهم الغالية الثمينة. وأخص بتقديم الشكر من صميم قلبي إلى الأخ الدكتور خلدون صبح، أستاذ مشارك في جامعة دمشق والآن أستاذ زائر في جامعتنا، فهو الذي تحمّل مشقة قراءة جميع المقالات المقدمة للمجلة بكل صبر وتسامح واختيار ما أحسن منها ثم قام بتصحيح ما يجب تصحيحه وتحرير ما يجب تحريره في محتوى كل من هذه المقالات ثم تصنيفها حسب مضموناتها وما إلى ذلك من الأعمال التحريرية العسيرة فالدكتور خلدون يستحق الشكر والامتنان من جميع أعضاء التحرير والباحثين المشاركين في هذه المجلة. وأودّ أن أشكر الباحث محمد شافعي الذي ساعدنا مساعدة فنية كبيرة في ترتيب هذه المقالات في أحسن وجه وتصميم شاكلة المجلة وتجهيزها تجهيزا كاملا إلى أن تكون مؤهّلة وجديرة بالطباعة. وكذا أشكر الإخوة محمد زكريا والدكتور محمد أجمل وغيرهم من الذين ساعدوا في بعض الأمور الإدارية. ونسجل أخيرا شكرنا البالغ إلى نائب رئيس/ مدير هذه الجامعة لتأييده القوي ماديا ومعنويا في إصدار هذه المجلة.

وأدعو الله أن يوفقنا في أن نستمر بإصدار هذه المجلة في مستهل كل سنة دون انقطاع حتى يستفيد من نشرها كل من يهتم باللغة العربية وآدابها كاتبا وقارئاً. وأرجو من الله أن يحقق آمالنا وأهدافنا التي نتمناها ونصبو جاهدين لنحققها وخاصة تلك التي تتعلق بسبل تقدمنا العلمي والأكاديمي وتوفير المناخ الصحي والسليم لحياتنا الدينية والدنيوية. والله ولي التوفيق وحسبنا الله.

رئيس التحرير

أ. د بشير أحمد جمالي

الدراسات الإسلامية

الشاه ولي الله الدهلوي نابغة الدهر وعبقري الزمان

البروفيسور أختر الواسع*

الشاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (١١١٤-١١٧٦هـ/ ١٧٠٣-١٧٦٢م) شخصية نابغة الدهر، ولايكون عبثا إذا قلنا: إن الشاه ولي الله الدهلوي أحد عباقرة التاريخ الإسلامي ورجالاته، ولا يكتمل تاريخ العلم والفكر للهند الإسلامية من دون ذكره، وذكر شخصيته الجامعة، والمعتدلة، والوسطية، والعبقرية النادرة، وقد ترمز شخصيته ومآثره إلى اطلاعه الدقيق على مجريات العصر، وإلى بعد مداه، ولخدماته العلمية والفكرية جوانب تتميز بها شخصيته، وينفتح بها دور جديد لعلوم الإسلام، وحضارته، وأفكاره، ونظرياته في الهند، فالدور الذي أدّاه ولي الله الدهلوي في تجديد الدين وإحيائه في شبه القارة الهندية لايوجد له نظير عند الشخصيات الأخرى، ولم يترك إمامنا الدهلوي شعبة من الحياة والمجتمع، ومجالا من العلم والفكر إلا وقد قام فيه بتجديد الدين والملة.

ولد الشاه ولي الله الدهلوي في أسرة علمية، كان والده الشاه عبد الرحيم عالما مميزا، وشيخا صوفيا في وقته، وله المساهمة في تدوين : "الفتاوى العالمكيرية" في عصر عالمكير، لقد أكمل ولي الله الدهلوي علومه الظاهرة والباطنة على يد والده الكريم، واشتغل بالتدريس والتحقيق بعدما أكمل دراسته في باكورة شبابه، وقد حصل له النضج في العلم والمعرفة والسلوك، ثم توجه إلى الحجاز، وتلقى العلوم من كل الجوانب، ومن كل المذاهب الفقهية

* نائب رئيس أكاديمية دهلي الأردية، دلهي ومدير معهد ذاكر حسين للدراسات الإسلامية، الجامعة الملية الإسلامية

خلال مدة سنة ونصف عاش بالحجاز، فنجد بعض أساتذته عالما حنفيا، وبعضا مالكيا، وأحب أساتذته الشيخ أبو طاهر الكردي المدني ممثل المذهب الشافعي، وتتلمذه على يده لقد رسم في صدره نقوشا عميقة للحديث والسنة، إضافة إلى بركات الحرمين الشرفين، وفيوضهما بتعبداته ومناجاته التي ذكرها في كتابه: "فيوض الحرمين" الذي هو بمثابة وثيقة تاريخية لأحوال حياته.

بدأت تتجلى بوادر نبوغ الشاه ولي الله الدهلوي، ومميزاته الاجتهادية، والتجديدية منذ بواكير حياته، لقد توسع نطاق خدماته بعدما انتهل من رحلته إلى الحرمين الشريفين، وأصبحت أكثر استقصاءً واستيعابا، فالآثار الفكرية والعلمية والعقلية والتنظيرية التي خلفها الدهلوي في مدة حياته القصيرة يعتز بها العالم الإسلامي فضلا عن مسلمي الهند، والتي ثبتت منارة نور للقرون المقبلة.

تتمثل مآثر ولي الله الدهلوي في شتى الحقول والجوانب، لقد قدم أفكارا اجتهادية نيرة في كل مجال من مجالات العلوم الإسلامية، سواء كانت علوم القرآن أم الحديث والسنة، أم الفقه الإسلامي، والتصوف، أم تاريخ الإسلام، وكذلك إنه كشف الستار عن رموز الشريعة الإسلامية وأسرارها، وقدم التفسير العقلي للدين وأحكامه، وأوضح مبادئ الاقتصاد، والقيادة السياسية، بالإضافة إلى تشخيص أمراض الأمة العقلية والفكرية والروحية، وتقديم حلول ناجحة وناجعة للإصلاح، وتربية الأفراد، وهذه هي العناوين المتجلية التي تتوافر حولها الآثار التأليفية، والفكرية والتجديدية للشاه ولي الله الدهلوي بين أيدينا اليوم.

تتبلور أهمية خدماته التجديدية في مقياس ظروف العصر، الذي ولد وعاش فيه إمامنا الدهلوي، وحقا هو أشد العصور، وأخطر الأدوار ظلمةً ومحنةً طوال التاريخ الإسلامي في الهند، لقد اهتزت أسس الحكم المغولي بعدما توفي عالمكير أورنك زيب للاضطرابات والفوضى، ولم يقدر خلفه المترفون أن يدعموا الحكومة المغولية، ويمنعوا جدرانها من السقوط والانهدام، وكانت القوات المرهتية، والسكهية، والجاطية مشمرة عن ساق جدها

لتمزيق الإمبراطورية المغولية شر ممزق، وكاد أن يطوى بساط الحكومة الإسلامية، وينتهي دورها، وفي جانب آخر، لقد كان الجمود سائدا في أوساط العلماء، والمثقفين على مستوى العلم والفكر، كأن مسيرة الفكر الإسلامي قد تعطلت، ولاتقدر أن تخطو خطاها إلى الأمام، فكان العلماء والفقهاء فرائس الخلافات النظرية بين الإفراط والتفريط، منغمسين إلى الحروب الداخلية المذهبية، ومنفكين في المناظرات والمجادلات الطبقية، وكان الصوفية مشغوفين بالدنيا تاركين طريق الزهد والتقوى، ويمكن تخمين قلق ولي الدهلوي على هذه الأوضاع المذهبية، والسياسية، والاجتماعية المتأزمة من الفقرات التي خاطب بها هذه الطائفة في كتابه: "التفهيمات الإلهية" (المجلد الأول)، لقد كتب العلامة سيد سليمان الندوي:

"لقد كانت شمس السلطنة على أفولها، وكانت المحدثات والتقاليد فاشية فيما بين المسلمين، وكان المشائخ والصوفية الاسميون قاعدين أو متقاعدين على المساند في مقابر أوليائهم مع بعض السرج الموقدة، وكانت زوايا المدارس مجلجلة بصخب المنطق والفلسفة، وكان كل المفتين محصورين بقيود مفردات من الفقه والفتوى، لقد أصبح التتبع والتدقيق في مسائل الفقه جريمة عظيمة في المذهب الفقهي، وكان المتخصصون متغفلين، ومهملين عن معاني القرآن الكريم، ودلالات ألفاظه، ومعاني الحديث، وأحكام الشريعة، وأسرار التفقه في الدين، ومصلحته فضلا عن عامة الناس"[١]

والقرآن الكريم الذي هو مفتاح كل العلوم، ورسالة الهداية الموثوق بها لا للأمة المسلمة فحسب بل للإنسانية جمعاء، خطط الإمام الدهلوي مخططات من عدة جهات لربط الأمة بهذا القرآن، ولتبليغ رسالته إلى كل فرد من أفراد الأمة، ثم بذل هو وأبناؤه النبغاء الأكفاء مساعيهم في تحقيق هذا الغرض المنشود، وأقوى وأجرأ خطوة خطاها إمامنا الدهلوي هي ترجمته لمعاني القرآن الكريم في ظروف محرجة للغاية، حيث كانت عملية الترجمة

[١]- العلامة سيد سليمان الندوي: مقالات سليماني، ص: ٤٤

موضوع النقاش والخلاف، فالسؤال: تجوز أم لا؟ لقد أخذ الدهلوي على كاهله ترجمة معاني القرآن الكريم في لغة عامة الناس المفهومة، وقدم الترجمة الكاملة لمعاني القرآن الكريم باللغة الفارسية التي هي الآن بمتناول الأيدي بعنوان: "فتح الرحمن"، وهذه هي الخطوة التي سجلت تاريخا جديدا، وربطت عامة الناس بكلام الله تعالى، ولقد أحسن مولانا عبد الماجد الدريابادي حيث قال:

"إن الحديث عن فهم القرآن الكريم الذي نجده اليوم، وهذه الترجمات التي صدرت بعشرات اللغات من الأردية والإنكليزية واللغات الأخرى، يكتب الجزء الأكبر من أجور كل ذلك في حسنات الإمام الدهلوي، إذ تنورت هذه المصابيح كلها من المصباح الذي كان أوقده الإمام الدهلوي".[١]

ولا بد أن نتذكر هنا أنه هو العهد الذي كانت لغة جديدة قيد التنشئة والتشكيل على المستوى العام في الهند، وتتنبأ لمستقبلها المشرق باسم "الأردية"، لقد اختار أنجال الدهلوي لترجمة معاني القرآن الكريم هذه اللغة النامية المتطورة، ولم يكن واحد بل اثنان من أنجاله قاما بترجمتين اثنتين لمعاني القرآن الكريم بجوانب مختلفة جدا، لقد ترجم الشاه رفيع الدين نجل ولي الله الدهلوي الثاني الترجمة اللفظية، وترجمه ابنه الثالث الشاه عبد القادر في أسلوب أدبي حي بعنوان: "موضح القرآن"، وهذه الترجمة لاتزال تنال إعجاب القراء وتقديرهم حتى يومنا هذا، فانظر مدى حبهم لخدمة القرآن الكريم، وعواطفهم الجياشة لإصلاح الأمة، وتربيتهم بواسطة القرآن الكريم، أن ثلاثة أفراد من أسرة واحدة تابعوا ترجمة معاني القرآن الكريم، ولم يبال أحد بأن هناك لاحاجة إلى ترجمة بتواجد ترجمة أخرى في اللغة نفسها.

لقد دبّج ولي الله الدهلوي مقدمة ضافية على ترجمته الفارسية لمعاني القرآن الكريم، بين فيها أصول ومبادئ الترجمة، وفي أي أسلوب تكون الترجمة أوضح وأنفع، ومن أروع

[١]- الفرقان: عدد ممتاز عن الشاه ولي الله الدهلوي، بريلي، ص: ٣١.

أعمال الدهلوي في علوم القرآن رسالته في أصول التفسير بعنوان: "الفوز الكبير" باللغة الفارسية، وقد صدرت لها ترجمات باللغة العربية وباللغات الأخرى، ويعترف أصحاب الفن بأن هذه الرسالة الصغيرة الحجم تفوق الكثير من الأسفار الضخمة في عمق علمها، ومعالجة المباحث، والقضايا القرآنية، وحل المسائل الصعبة، ومن أجل ذلك تندمج في المقررات الدراسية للمراحل العليا في دور العلوم الدينية الكثيرة.

اشتغال الدهلوي بالحديث، والسنة نشراً، وتدريساً، وتأليفاً من أجلى العناوين لخدماته، والحق أن هناك تاريخا طويلا لإهمال الناس، وعدم اعتنائهم بالحديث في الهند، لقد صور الحكيم سيد عبد الحي الحسني والد الشيخ أبي الحسن الندوي إهمال الناس عن الحديث في القرون الوسطى من تاريخ الهند بكلمات تالية:

"كانت قصارى نظرهم في الحديث في مشارق الأنوار للصغاني، فإن ترفع أحد إلى مصابيح السنة للبغوي أو إلى مشكاة المصابيح ظن أنه وصل إلى درجة المحدثين، وما ذلك إلا لجهلهم بالحديث.....والقليل منهم كانوا يقرؤون المشكاة لاغير، وهذا على طريقة البركة لا للعمل به".[١]

لقد حاول أن ينور الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي مصابيح علوم الحديث في هذه الآونة التي كان اعتناء الناس بالحديث شبه مفقود، ولكن كما كتب الشيخ أبو الحسن الندوي في المجلد الخامس من كتابه: "رجال الفكر والدعوة في الإسلام" أنه لم يتهيأ للحديث أن يحظى المكانة اللائقة به في الأوساط العلمية والفكرية لوجوه، على رأسها الغلو في تقليد المذاهب الفقهية.

ومما لاشك فيه أنه من المآثر العظيمة للشاه ولي الله الدهلوي أنه بعدما انتهل من مناهل الحرمين الشريفين وعاد إلى وطنه غرس الشجرة الطيبة للحديث، التي لاتزال تجتني من ثمارها الأجيال الإسلامية في الهند، وسوف تظل تستفيد منها إلى قيام الساعة -إن شاء الله-،

[١]- رجال الفكر والدعوة في الإسلام، الجزء: ٥، ص: ١٨٢/ نقلا من : الثقافة الإسلامية في الهند.

وأهم مآثر ولي الله الدهلوي في الحديث حلقاته لتدريس الحديث في المدرسة الرحيمية ماعدا ما خلف من مؤلفاته الحديثية، من أمثال: المسوى، والمصفى، وشرح تراجم أبواب البخاري، وأجلى عناوين تدريسه: التطبيق بين الحديث والفقه، وهذه العملية من أجلّ وأعظم ما قام به ولي الله الدهلوي من خدمات، فإنه وطّد علاقة الفقه بالحديث النبوي الشريف تحت هذه النظرية، كما وقد انتقد انتقادا شديدا ما اتخذه الناس الحديث هجرا مهجورا، وكذلك ما رجحوا أقوال الأئمة الفقهاء على الحديث، وأولوا الحديث وفق آراء الفقهاء، ولم يكتف الدهلوي بتدريس الحديث جالسا على مسند والده، كما لم يكتف بإعداد جيل فحسب بل إنه قام بترويج الحديث فيما بين المشتغلين به، وفيما بين واضعي القانون رواجا متينا، فآراؤه في هذا المجال قيمة ومحققة تماماً، لقد ذكر في كتابه: "حجة الله البالغة" طبقات كتب الحديث، ومدارجها، وأحل صحيح البخاري، وصحيح الإمام مسلم، وموطأ الإمام مالك في الطبقة الأولى، وأحل الموطأ بالرقم الأول فيما بين هذه الطبقة، وأصح الكتب بعد كتاب الله تعالى على وجه الأرض هو موطأ الإمام مالك في رأي الإمام الدهلوي، وهذا هو اللقب الذي لقب به جمهور علماء الإسلام الجامع الصحيح للإمام البخاري- رحمه الله -، لقد وفر ولي الله الدهلوي أسسا علمية لهذا الرأي، ومن أجل الأهمية الكبرى للموطأ كتب الدهلوي شرحين له، أحدهما بالفارسية اسمه: "المصفى"، وآخرهما بالعربية اسمه: "المسوى"، وعلاوة على ذلك كتب شرحا لتراجم أبواب البخاري، وألقى الضوء على دقائق المعاني، ومدلولات الحديث.

ومن أروع ما قام به الإمام الدهلوي من خدمات علمية هو تطبيق المسائل الفقهية، وتقريبها إلى الحديث النبوي الشريف، يتجلى اعتدال الدهلوي، ووسطيته، وجامعيته في تطبيقاته بين المذاهب الفقهية، وتسوية مسائلها، والتقريب بين الاجتهاد والتقليد، لقد أنجز الدهلوي في هذا الموضوع عدة بحوثا تراثية عدة، قدم فيها نتائج دراساته الدقيقة العميقة، وتتوافر آراؤه الفقهية كلها في العديد من مؤلفاته، كما وقد خص بهذا الموضوع رسالتين، إحداهما: "عقد

الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد"، وأخراهما: "الإنصاف في بيان سبب الاختلاف" ، لقد ذهب في الرسالة الأولى إلى رأي معتدل، وقابلٍ للعمل حول الاجتهاد والتقليد، واستخلص كتابات عديدة حول الموضوع في هذه العجالة، في جانب صرّح الدهلوي بأن باب الاجتهاد مفتوح، ويلزم الاجتهاد على كل مسلم حسب قدرته وصلاحيته، وفي جانب آخر، بيّن أن تقليد المذاهب الأربعة مصلحة عظيمة لعامة الناس لكي يسهل لهم الحفاظ على الشريعة الإسلامية، ولكنه بجنب ذلك أوضح أنه ليس هناك مذهب فقهي معين لهم ، بل عليهم العمل بما أفتى به المفتي والعالم في المسألة المبحوثة، وذلك هو مذهبه، ثم قال إن هناك الصواب في رأيين مختلفين في كثير من الخلافات الفقهية، وفي رسالة: "الإنصاف" عالج أسباب الخلافات العلمية المتواجدة بين الرواة والفقهاء، وبين أن هذه الخلافات كلها كانت موجودة في عهد النبي-صلى الله عليه وسلم-أيضا، وكان النبي-صلى الله عليه وسلم- نفسه أيد كلا الرأيين في مثل هذه الخلافات، ومن أجل هذه العوامل والأسباب كانت الآراء مختلفة في عهد الصحابة-رضي الله عنهم جميعا-، وبقيت هذه الخلافات حتى عهد الأئمة المجتهدين، ولكنهم لم يتركوا ذيل الحلم، والمفاهمة في مناقشة هذه الخلافات المذهبية، لم يقم أحد بالمشاتمة والسباب، كما لم يترددوا قط في ترك رأيه إلى رأي غيره، لقد أبدى الدهلوي عن آرائه الفقهية القيمة في العديد من مؤلفاته علاوة على هاتين الرسالتين، من أمثال: "التفهيمات الإلهية" و"فيوض الحرمين"، وفي كتابه الرائع " حجة الله البالغة" تتوافر مباحث فكرية دقيقة وعميقة عن هذا الموضوع، بلور فيها أهمية المذاهب الفقهية الأربعة.

ومن أهم مجالات خدمات الإمام الدهلوي التصوف، لم يكتف بمعالجة التصوف في كتبه الرائعة أمثال: اللمعات، والسطعات، والقول الجميل، والخير الكثير، وفيوض الحرمين، فحسب، بل إنما حاول أن يعرّف الفكر الإسلامي بالعلوم الظاهرة والباطنة عن طريق هذه المؤلفات محاولة جادة وناجحة، فالخلافات حول: "وحدة الوجود" و "وحدة الشهود" التي كانت في طبقات الصوفية، لازالت صداها قائمة في عصر الشاه ولي الله الدهلوي أيضا،

فقد طبق الإمام الدهلوي بينهما، وقال: لايوجد فرق واضح بينهما، والفرق في التعبير الذي لا معنى له، وليس ذاك عنده إلا صراع الألفاظ والتعبير، وإلا لا فرق في المدلول، وكلاهما توضيح لوجهة نظر واحدة (وقد حاول الدهلوي تفهيم انسجامهما بالأمثلة)

وثمة موضوع مهم آخر لعلوم الشريعة، قلما كتب حوله العلماء والمفكرون طوال التاريخ الإسلامي، وهو علم أسرار الشريعة، إن البصيرة التي وهبها الله للإمام الدهلوي كانت تتقاضى منه أن يتخذ هذا الموضوع عنوان كتاباته، والتفكر فيه، وكانت لدى الإمام الدهلوي نفسه أهمية كبرى لهذا الموضوع، كما وقد أدرك هذه الحقيقة، وأحس جيدا بأن دور قبول الأحكام الشريعة على أساس العقيدة والإيمان كاد أن ينتهي، وسيأتي قريبا عصر التعقل، والمنطقية، والتكنالوجيا، ففي هذه الظروف تمثيل الشريعة الإسلامية وفق أسلوب العصر وإطاره هو عين التجديد، لقد ألقى الدهلوي الضوء على هذا الموضوع، فقال:

"إن أدق الفنون الحديثية بأسرها عندي، وأعمقها محتداً، وأرفعها مناراً، وأولى العلوم الشرعية عن آخرها فيما أرى، وأعلاها منزلةً، وأعظمها مقداراً، هو علم أسرار الدين، الباحث عن حِكم الأحكام، ولمياتها، وأسرار خواص الأعمال ونكاتها، فهو والله أحق العلوم بأن يصرف فيه من أطاقه نفائس الأوقات، ويتخذه عُدة لمعاده بعدما فرض عليه من الطاعات، إذ به يصير الإنسان على بصيرة فيما جاء به الشرع، وتكون نسبته بتلك الأخبار كنسبة صاحب العروض بدواوين الأشعار، أو صاحب المنطق ببراهين الحكماء، أو صاحب النحو بكلام العرب العرباء، أو صاحب أصول الفقه بتفاريع الفقهاء، وبه يأمن من أن يكون كحاطب ليل، أو كغائص سيل، أو يخبط خبط عشواء".[١]

وحجة الله البالغة إنجاز علمي شامخ ورائع في هذا الموضوع، وإثراء عظيم في التراث العلمي الإسلامي، لقد قدمت منطقية الشريعة الإسلامية، وعلاقتها بمقتضيات الإنسان في

[١]- حجة الله البالغة، الجزء الأول، دار الجيل بيروت، ٢٠٠٥م/ ١٤٢٦هـ، ص: ٢٢.

أسلوب علمي وعقلي خالص بالدلائل، وهذه هي العملية التي قلما أنجزها العلماء في التاريخ الإسلامي، ولم يظهر عمل مع هذه الجامعية والشمول والإسهاب إلا للإمام الدهلوي، كأن هذا الكتاب إعداد على أساس عقلي واستدلالي للعصور المقبلة، لكي ينجز كتاب عن الدين الإسلامي الكامل وشريعته الغراء في ثوب عقلي، وفلسفي حكيم، ولأهمية هذه العملية الجليلة الموفقة، أسمى المؤلف كتابه بـ"حجة الله البالغة".

وحجة الله البالغة كتاب عديم النظير عن أسرار الشريعة الإسلامية بدون ارتياب، تتبلور فيه عبقرية الدهلوي، وإمامته على القمة، ربما لم يصدر كتاب في المكتبات الإسلامية على هذه الجامعية والشمول عن هذا الموضوع، يقول الشيخ أبو الحسن الندوي:

"رغم أن التفسير المنطقي للقضايا الإسلامية، والتطبيق بين العقل والنقل لم يكن موضوعاً جديداً لعالِم القرن الثاني عشر، لقد ذكر الإمام الدهلوي نفسه أسماء الإمام الغزالي، والخطابي، والشيخ عز الدين عبد السلام في مقدمة حجة الله البالغة، الذين بينوا حِكم الأحكام الشرعية، ومصالحها، ولكن هذه حقيقة أن كل ما كتبه هؤلاء الجهابذة لم يكن إلا إشارات ونقاط، ولا نجد التفسير المنطقي الحكيم للنظام الشرعي الكامل للإسلام قبل الشاه ولي الله الدهلوي، وكما أعلم أن حجة الله البالغة أول ما أُلّف في هذا الموضوف مع هذه الجامعية والشمول والاتساع".[١]

وأهم جوانب اجتهاد الإمام الدهلوي وفكره، آراؤه ووجهات نظره التعليمية، وهذا الموضوع أيضا يحتل أهمية أن الانحطاط والتخلف التعليمي باعث أساسي لتدهور الفكر الإسلامي في العالم الإسلامي، لقد تحدث الدهلوي عن هذا الموضوع في كتاباته المختلفة بكل جد وأهمية، حتى إنه استرعى الانتباه إلى هذا الموضوع في وصيته بوجه خاص، وبين فيها المناهج التعليمية للمسلمين، ماهي الأمور التي تقتضي التركيز الخاص، وماهي

[١]- الفرقان: عدد ممتاز عن ولي الله الدهلوي، ص: ٣٤١.

الأشياء التي لابد من غض البصر عنها، فلنتذكر أنه كان هناك رواج أكثر لتعليم الطلبة فرادى في عصر الشاه ولي الله الدهلوي ، ستفيد الفقرة الآتية في هذا الصدد، يقول الدهلوي:

"لقد ثبت من الاستعراض أنه لابد أن تكون المناهج الدراسية أن يدرس الطالب في البداية ثلاثة أو أربعة كتب دراسية للصرف والنحو حسب قدرة الطالب وذكائه، ثم يدرس الطالب كتابا للتاريخ والحكمة باللغة العربية، وعلى المدرس أن يتابع المعاجم اللغوية أثناء التدريس، وأن يحل للطالب الكلمات العسيرة، ولما يتقن الطالب على اللغة العربية، يدرس موطأ الإمام مالك برواية يحيى بن يحيى المصمودي، ولايجوز الإهمال عن دراسة الموطأ، إنما هو الأصل والأساس في علم الحديث.....، ثم يعلّم القرآن".[١]

هذه فقرة طويلة جدا، لقد اقتبست هنا جزءاً من بدايتها، قدم فيها الإمام الدهلوي مشروع تدريس كتب العقائد، والسلوك، والفنون، والحكمة بالإضافة إلى القرآن، والحديث، والفقه، ولايخفى على أحد أن تدريس الصحاح الستة في الهند بدأ على أيدي الشاه ولي الله الدهلوي، وخلفه. تحتل العلوم المعقولة والمنقولة أهمية متساوية عند الإمام الدهلوي، ولكن العلوم المنقولة لها المكانة الأساسية والأولية، ينتقد الإمام الدهلوي المباحث الطويلة، والقيلات العابثة في المناهج الدراسية للعلوم المعقولة انتقادا شديدا، كما وقد يذم الجهود في تدريس العلوم الآلية باتخاذ العلوم العالية هجرا مهجورا، فانظروا انتقاده في كتابه : "التفهيمات الإلهية" يقول:

"أيها السفهاء المسمون أنفسكم بالعلماء، اشتغلتم بعلوم اليونانيين، وبالصرف والنحو والمعاني، وظننتم أن هذا هو العلم، إنما العلم آية محكمة من كتاب الله أن تتعلموها بتفسير غريبها، وسبب نزولها، وتأويل معضلها أو سنة قائمة من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.....كان مرضى الحق أن تشتغلوا بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله-

[١]. التفهيمات الإلهية، الجزء الثاني، المجلس العلمي، دابهيل، ١٩٣٦م/ ١٣٥٥هـ، ص: ٢٤٥.

صلى الله عليه وسلم- ابتداء، فإن سهل عليكم الأخذ بهما فبها ونعمت، وإن قصرت أفهاكم فاستعينوا برأي من مضى من العلماء ما تروه أحق، وأصرح، وأوفق بالسنة، وأن لاتشتغلوا بالعلوم الآلية إلا بأنها آلة لا بأنها أمور مستقلة، أما أوجب الله عليكم أن تشيعوا العلم حتى يظهر شعائر الإسلام في بلاد المسلمين، فلم تظهروا الشعائر، وأمرتم الناس أن يشتغلوا بالزوائد".[١]

ومستخلص القول، لابد من الانتفاع بهذه النظريات التعليمية للإمام الدهلوي، كما لابد من العمل بالجوانب المختلفة المهمة من أفكاره، وشخصيته بوجه مخصوص، وأهم هذه الجوانب في رأيي: الاتحاد والمفاهمة بين المذاهب الفقهية، والمدارس الفكرية المختلفة، لقد مهّد الإمام الدهلوي الأسس الفكرية لكل ذلك، كما وقد حاول تشكيل اتجاه مستقل في ضوء المبادئ والمناهج العلمية، ومن الغريب جدا أن الأوساط العلمية كلها في شبه القارة الهندية تعتز بانتمائها إلى ولي الله الدهلوي، ولاتتفق المدارس الفكرية كلها على فكر الدهلوي المسالم والمفاهم فحسب، بل كلهم يعدّونه عنوانا متجليا لمآثره، ولكن من العجب العجاب لا يستعد أحد أن يطبق فكر الإمام الدهلوي على المستوى العلمي والفكري، كل أسير لمذهبه، ومدرسة فكره، ربما يبدو أن الذين، لسانهم رطب باسم الإمام الدهلوي هم أبعد الناس عن آرائه ونظرياته الفكرية الاجتهادية والمسالمة.

(هذا خطاب ألقاه الأستاذ أختر واسع في اجتماع لتذكار شاه ولي الله الدهلوي)
ونقله إلى العربية: د/ قمرشعبان الندوي

[١]- (التفهيمات الإلهية، الجزء الأول، المجلس العلمي، دابهيل، ١٩٣٦م/ ١٣٥٥هـ، ص: ٢١٤-٢١٥)

الفلسفة الصوفية والأدب الصوفي في تاميلنادو

(بإشارة خاصة إلى أبيات پير محمد وايّاومَهَانَنْدَ بَابَا)

الدكتور بشير أحمد جمالي*

فلسفة وحدة الوجود هي فلسفة يعتقد ويتمسك بها جلة من صوفة تاميلنادو منذ عهد بعيد. وقبل أن ندخل إلى مناقشة هذه الفلسفة علينا أن ندخل إلى موضوع صلاة المسلمين بصورة عامة ثم إلى صلاة الصوفيين بصورة خاصة لنعرف فائدة الصلاة التي فرضها القرآن علينا والتي قد أتت في أمرها كثير من الآيات. ونعلم أن الصلاة عماد المسلمين ومعراجهم بغير واسطة إلى الله. وإن سئلنا أ هذه الصلاة تعمل حقا معراجا للمسلمين فجواب معظم الناس المصليين يكون لا لأن الصلاة أصبحت لهم طقسا شعائريا مجردا وأداء رمزيا لا يدركون أية فائدة روحانية في داخل قلوبهم أو أرواحهم أو ابدانهم أو أنفسهم. ولكن عالم العلم الطبي الذي قام ببحث طويل المدى في أمر الصلاة قد أتى بحقائق عظيمة منشقة. وأن علماء الطب الذين قد بحثوا عدة سنوات عن صلاة الناس مهما كان دينهم ومذهبهم وشكل صلاتهم وجدوا أن فوائدها الطبية عظيمة وأنها تعطي ما لا يقل عن ٤٧ فائدة جسدية وعقلية وعاطفية بما فيها تقوية العقل وتخفيف الألم وتخفيض خطر الوفاة من النوبات القلبية والسكتات الدماغية والاكتئاب الخافت إلى غيرها. فهناك صلة وثيقة علمية بين العبادات مثل الصلاة والصوم والمشاركة في المراسم الدينية وبين علاج الأمراض الخطيرة مثل

* أستاذ اللغة العربية، جامعة جواهرلال نهرو ـ نيو دلهي

السكر ومرض القلب و إدمان الكحول والاكتئاب وفيبروميالغيا(fibromyalgia) وظروف أخرى كثيرة والتعامل مع السرطان والشفاء من الجراحة[١].

والصلاة أصبحت استراتيجيات قوية للمساعدة في تحسين الوظائف العقلية والذاكرة وإيجاد الحلول لمنع تدهور الحالة العقلية والعته ومرض الزهايمر. فهي الصلاة التي تساعد في إطالة عمر الإنسان وفي جعل حياته أكثر صحة وسعادة.

وإذ تكون هذه هي الفوائد المادية التي قد وجدها العلماء المحدثون عند المصلين فلا بد أن تكون فوائد روحانية أيضا للصلاة إن كانت هي صلاة مخلصة ومركزة لله سبحانه تعالى. هذا ما ينالها الصوفية ويدركون ما وعدهم الله تحفة لصلاتهم. وكما ورد في حديث قدسي رواه البخاري (رحمه الله) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : { إن الله تعالى قال : من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه ـ الحديث الثامن والثلاثيون رواه البخاري}[٢]فتقرب الصوفية إلى الله تعالى لا شك يحدث بعباداته وطاعاته وأداء فرائضه، واجتناب محارمه، ثم بفعل النوافل والمستحبات وترك المكروهات.

فهذا الحديث معروف للجميع. وهذا أثر الصلاة أهي الفرائض أو النوافل. فالصوفية كما نعلم يكثرون وأحيانا يفرطون، في كل ركن من أركان العبادة. وفي الصلاة لا يكتفون بفرائضها بل يصلون النوافل ليلا ونهارا وفي الصوم لا يكتفون بصوم رمضان بل

[1]Of Prayer: A Perpetual Exercise of Faith. The Daily Benefits by John Calvin; BiblioBazaar (2007) page 34

[٢]جامع العلوم والحكم ـ الجزء الثاني لأبن رحب الحنبلي، مؤسسة الرسالة صفحة ٣٣٠

يصومون أياما وأشهرا ويذكرون الله ذكرا مسلسلا ومطردا وكذا يتلون القرآن ويتلفظون الأوراد ويقومون بعبادات أخرى على الدوام. فهذه كلها لا يعملها الصوفية فقط اسميا شكليا بل بكل جدية معنوية وعلى منصة رفيعة من التقوى والإخلاص والإتقان فإذن لا بد أن تكون لهذه الأعمال كلها أثر لأن لكل فعل ردَّ فعل. مراد الصوفية ومرامهم في هذه العبادات كلها وصولهم إلى الله عز وجل. ويبلغون هذا المرام لا بأنواع متنوعة من العبادات فحسب بل أيضا بكثرة التأملات والجلوس الطويل في المشاهدة والمراقبة صائمين وصامتين. وصولهم إلى الله معناه اتحادهم بالله وانحلالهم وفنائهم فيه. فإذن يدركون الله في أنفسهم ولا يرون البعد والفرق بينه تعالى وبينهم.

ويبصرون أن جميع المخلوقات فائضة عن ذات الله سبحانه وأن الإنسان مخلوق في أحسن تقويم على صورته تعالى ليكون خليفة له كما قال في كتابه الكريم "إني جاعل في الأرض خليفة" (البقرة ـ٣٠) وأن وصولهم إلى الله ليس إلا وصولهم إلى العلم به وأدى علمهم ومعرفتهم بالله إلى عدمية البعد وماهية الفرق بينهم وبين الله كما جاء في الحديث " لا يعرف ربه إلا من عرف نفسه"[١]. وعندما نرى شطحات المتصوفين في العربية مثل "سبحاني ما أعظم شأني ـ أنا أنت ـ أنا هو أنا ـ أنا الحق ـ ما في جبتي إلا الله وغيرها من أقوالهم الغريبة أننا لا نفهم منها إلا فناءهم في الله واتحادهم في ذات الله العلية وحالتهم فوق العادية ومنزلتهم الرفيعة. وتنضج أفكارهم الصوفية بتجاربهم الوجدانية التي يدركونها بكثرة رياضاتهم ومشاهداتهم ومراقباتهم وأنهم يصورون نظام العالم الروحي والعالم الطبيعي وما فيهما من الحق والخير والجمال والكمال.

وعيونهم المتصوفة المطمئنة ترى الله الواحد الجبار في كل الأشياء وفي كل الموجودات ولا يوجد هناك موجود تراه عين الصوفي رؤية جزئية بل تراه رؤية كلية لذات الله سبحانه وتعالى. وأنهم قد كشفوا لنا نظام الكون وما في مظاهره وحقائقه من علاقات متمثلة في ذات

[١] مشكاة الأنوار لأبي حامد الغزالي، عالم الكتب، بيروت (١٩٨٦) ص ٩

الله لأنهم تذوقوا وجود الله بقلوبهم ومشاعرهم كما تذوقوه بعقولهم وأفكارهم. وكانت لغتهم لغة بسيطة ساذجة مع كونها غنية خصبة بالتخيلات والرؤى الفكرية. وتارة كانت لغتهم لغة رمزية لأنهم فضلوا التلميح على التصريح سترا لحقائقهم وكتمانا لأسرارهم وربما أيضا خوفا من الفقهاء والعلماء العادين.

ما هي فلسفة وحدة الوجود؟

ففلسفتهم في وحدة الوجود، إذا قلنا بقول صريح، هي الاعتقاد بان الله هو الوجود المطلق الذي يظهر بصورالكائنات، وهو تعالى والكون كلاهما شيء واحد، فليس هناك خالق ومخلوق، فالكون مخلوق باعتبار ظاهره، وهو خالق باعتبار باطنه، والظاهر والباطن في الحقيقة شيء واحد، هو الله تعالى! كما قال تعالى "هو الأول والآخر والظاهر والباطن" (سورة الحديد ـ ٣). وهناك آيات قرآنية أخرى يضعون على أساسها وفي ضوئها عقيدتهم الثابتة منها فأينما تولوا فثم وجه الله (البقرة ١١٥) ـ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ـ (سورة الأنفال ١٧) ـــ وهو الله في السموات وفى الأرض (الزخرف ٨٤) وهو معكم أينما كنتم (سورة الحديد ٥٧- ٤) ـ "سنريكم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" (سورة فصلت ٤١) ـإِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ (سورة الفتح ـ ١٠)

فالمعنى في هذه الآيات كلها صريح وواضح كضوء الشمس لا يحتاج إلى التأويل والشرح. إننا نجد جلة وافرة من الصوفية ثابتة على هذا الاعتقاد واليقين ابتداء من على بن أبي طالب رضي الله عنه الذي ينسب إليه بعض الأبيات ذات الميول الوحدانية والوجدانية الكلية فهي

دواؤك فيك وما تشعر وداؤك منك وما تبصر

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنـت الكتـاب الـمبـين الذي بـأحـرفه يظهر الـمضمر
وأنت الوجود ونفس الوجود وفيك الوجود فما يحصر[١]

والإنسان خليفة الله وانطوى فيه العالم كله وهو مثل الكتاب المبين الذي بأحرفه ينكشف وجود الله وأن وجوده نفس وجود الله وأن عدم معرفة هذه الحقيقة بمثابة المرض ومعرفتها بمثابة الشفاء للإنسان. والإمام غزالي يسجل في كتابه إحياء علوم الدين أربعة سطور منسوبة إلى الإمام زين العابدين بن حسين بن علي (رضي الله عنهم) وهذه السطور تدل على خوف العارفين عن كشف ما كان في قلوبهم من المعرفة الإلهية والعلوم اللدنية

يا رب جوهر علم لو أبوح بـه لـقيل أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال المسلمين دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا[٢]

وبظهور محيي الدين بن العربي (١١٦٤-١٢٤٠م) وبمساهمته العملاقة تركيبا وتأليفا بلغ التصوف إلى ذروته وبلغ نظام وحدة الوجود إلى غايته. ويبدو أن هذا الشيخ الأكبر قد ألف أكثر من ٤٠٠ كتابا مع أن أحدث الدراسات تشير إلى ٨٤٦ تأليفا منسوبا إليه. ومن هذا النتاج الضخم يحتوي فقط أربعة كتب على معظم أبياته وأفكاره الصوفية وهي "الفتوحات المكية" و"فصوص الحكم" و"مواقع النجوم" و"محاضرات الأبرار" وأنه قد جمع في نظامه الشامل بين نزعة الأوائل إلى انقطاع العالم من جهة وبين الحس المرهف بوحدة جميع الأشياء من جهة أخرى.وأن قصائد الفتوحات والأبيات الشعرية الواردة في الفصوص تحتوي على الجواهر الصوفية وأنها تسحر عقل الإنسان أكثر من عاطفته وتفتح مشاهد الأفكار العميقة لطلاب النضج والبلوغ. فهو يقول

لقد صار قلبي قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان

[١] ديوان علي – بيروت ١٩٩٤م ص ٣٨
[٢] يواقيت والجواهر – مصر ١٣٠٦هـ ص ٢٠

وبيت لأوثـان وكـعبة طائـف وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحـب أنـي توجهـت ركائبه فالحب دينـي وإيـماني[١]

وهكذا ذهب ابن العربي مذهب الحلاج في التسامح الديني والانفتاح الذهني حتى انعدمت عندهم الفوارق بين الأديان لأن الأديان أشعة من شمس واحدة وأن الطريق إلى الله متعدد كأنفس الإنسان وحتى الكفر والإيمان يفترقان من حيث الاسم ولكن لا فرق بينهما من حيث الحقيقة.

التصوف وأدبه في تاميلنادو:

فالتصوف انتشر في ولاية تاميلنادو الهندية منذ عهد بعيد والآن نجد معظم ومختلف الطرق الصوفية مثل القادرية والجشتية والسهروردية والنقشبندية وغيرها أما الطريقة القادرية فهي أكثر انتشارا في تاميلنادو كما هو الحال في الهند والتي أسسها محيي الدين عبد القادر الجيلاني في العراق والتي أتى بها إلى الهند الشيخ محمد غوث الذي كان من سكان الحلب في سوريا في القرن السادس عشر. وفي نفس القرن انتشرت الطريقة الصوفية في ولاية تاميلنادو أيضا وقام بانتشارها شاه الحميد[٢]رحمه الله تعالى ويؤيد هذا الرأي الشاعر التاميلي المشهور كاويكو عبد الرحمن بقوله إن مساهمة الشيخ شاه الحميد الناهوري في نشر الطريقة الصوفية في تاميلنادو كانت عظيمة.[٣]

[١] قول محي الدين بن عربي في الفتوحات المكية

[٢] شاه الحميد الناهوري (١٤٩٠ـ ١٥٧٩)هوابن الجيل الثالث عشر من سلالة القديس الشهير الصوفي الشيخ عبد القادر الجيلاني ويقع قبره في الساحل الشرقي من خليج بنغال في مدينة ناهور في ولاية تاميلنادو {Hunter, Sir William Wilson (1908). Imperial gazetteer of India, Volume 19. Oxford: Claredon Press }.

[3] "KunangudiyarPadarKovai by KavikoAbdur Rahman, National Publishers, Chennai-2008, p9

فهؤلاء الصوفية منتشرون قليلا أو كثيرا في كل مكان في العالم الإسلامي ونرى في بقعة تاميلنادو أيضا كثيرا من الصوفيين ذوي العقيدة التوحيدية لذات الله ووجوده. ومنهم يجب عليَّ أن أذكر أولئك الصوفيين الذين كان ذوقهم الأدبي يتساوى تجربتهم الصوفية في الواقع. ومن هؤلاء الأدباء الصوفيين يجب ذكر الأسماء مثل پير محمد وايّاوغَيَانِيَارْ صَاحِبْ (كُوڈَّارْ) وكُنَنْڈِگِدِ مَسْتَانْ صَاحِبْ وصدقة الله ايّا وأخوه شام شهاب الدين ولي (كايل بتِّنَمْ) والشيخ بصير ايّا ولي (مِيلَيّالَيَمْ) والشيخ نوح لَبَّيْ عالم وتَيْكَاوايّا (كِيضَكَّرَيْ) الشيخ عبد القادر المسمى مهانَنْدَ بابا (كِيضَكَّرَيْ) والشيخ محمد (كُوڈَّارْ) المدفون في تودوبولابكيرالا والشيخ موسى خان الباقوي (أوتامابالايام) ومولانا ياسٍ وابنه خليل عون (سري لانكا) وغيرهم كثيرون. وفي مقدمة سلسلة الشيوخ التاميليين يأتي پير محمد وايّا(١٥٧٦-١٦٦٤)الذي يعتبرإماما لجماعة الصوفية الأدبية المتمسكة بعقيدة وحدة الوجود. وينتمي پير محمد وايّا إلىالقرن العاشر والحادي عشر الهجري المطابق للقرن السادس عشر والسابع عشر الميلادي لأنه كان معاصرا لصدقة الله ايّا(١٦٣٢ ـــ١٧٠٣) الشاعر الصوفي المشهور في تاميلنادو والمؤلف لقصيدة "الوترية". وقيل عنه أنه ولد في أسرة شريفة بقرية تسمى كانيكابورامبمديرية تَنْكَاسِي وكان والده سيرومالوكَّار وجده وَاوَانْجِيَارْ. ويقال أنه قضى ٩٥ عاما في غابات وجبال ملبار بكيرالا مشتغلا بعبادة الله ويقال أيضا أنه جلس في التأمل والتشهد لمدة خمسة عشر عاما دون أكل وشرب في ناحية يَانَيْ مَلَيْ والآن هذا المكان اشتهر باسمه كَيِيرْمَيْدُ. وأخيرا انتقل الشيخ رحمه الله إلى جوار ربه في ليلة من ليالي يوم الجمعة. فهو مدفون ببلدة تَكَلَيْ ويزور مزاره الشريف مئات من الناس كل يوم. ويقال أنه قد كتب أحد عشر ألف بيت في التاميلية ولكن قد ضاعت معظمها بمرور الزمن وما بقي إلا مئات منها قد نشرها أولياء مزاره الشريف في كتاب يسمى "مَيْغْيَانَيَادَلْحَلْ للشيخ پِيرْ محمد ولي الله" ومع أنه كان ماهرا في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة والمعرفة، لم تظهر عقيدته جلية في أقواله وكتاباته لأنه كان متمسكا بالشريعة وكان يخاف أن يفهمه

الناس سوء الفهم لقلة معرفتهم وعلمهم. وهو نفسه قال عن إخفاء عقائده من أجل الشريعة بكلماته التاميلية التالية:

அவ்வல் அஹதாக நின்ற மரம் ஆதி ரகுமத்தாய்ப் பூத்துப் பூத்து
வவ்வற் கொடியாகப் படர்ந்து காய்த்து பகுதி அஹதாகக் காலியாமே
சொல்லத் தகுமல்ல இப்பொருளை சுருட்டி மறைக்கிறேன் ஷரகுக்காக
எல்லையறிந்துன்னை வணங்க வல்லார்க்கு இரங்கி இருப்போனே துணை
செய்வாயே!

مفهوم قوله السابق:

{كان الشجر الواحد الأحد أولا فظهر ظهورا متنوعا وازدهر ازدهارا متعددا وانتشر في العالم أجمع فلا يمكن ذكر هذا الموضوع وأني أخفيه من أجل الشرع ويا ربي ارحمنا واجعلنا نعبدك بمعرفة كاملة عنك واهدينا}

والشيخ پير محمد وايّاالذي يفتخر بكونه مسلما ويزعم أن المسلمين لو أرادوا لاختيار الله إياهم وجعلهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أداء الشكر لله بسجودهم له تعالى رأسا على عقب أي بوضع رؤوسهم على الأرض ورفع أقدامهم نحو السماء لمليون سنة فلا يكون شكرهم كافيا لله.

قد قال أقوالا وأبياتا ما لا يحصى عددها تشير إلى إيمانه بوحدة الوجود. وأقتبس هنا على سبيل المثال:

எனைத் திருமனத்தினில் நினைப்பவனு நீயே
யெனக்குளம னத்திறம தத்தனையு நீயே
அனைத்திலும மைபபுறவி ருப்பவனு நீயே
அமைத்ததைநி மைக்குமுன ழிப்பவனு நீயே

(البيت ٦٣ من غيَانَ يُحَضْبِرِّ)

أنت الذي تنوي إياي في قلبي
وأنت الذي تملأ قدرات قلبي
أنت الذي انتشرت في كل الأشياء
وأنت مدمر كل ما صنعته في الثواني

அரியவர்கள் மனமதில்வந் துறைபவனு நீயே
ஆரிருளதிலினதென வுணர்பவனு நீயே
திரைபல துண் டதிலொரொளி தெரிபவனு நீயே
ஜின்னிறம் பதனைத்திரித் தறிபவுனு நீயே

(البيت ٦٨ من غيَانَ يُحَضْبِرِّ)

أنت المستقر في قلوب الفضلاء
وأنت مدرك أي شيء في أقتم الظلام
أنت الضوء المرئي في كثافة الأستار
وأنت عارف ضجات الجن بأدق النظام

கானுமெழு காடுமுயர் கானகமு நீயே
காசினியும் வானுலகுங் கடல்மலையு நீயே
கானமொரு சொர்க்கமெரி நரகமொடு நீயே
தக்கவுலகுக்குநல் லுயிர்க்குமிறை நீயே

(البيت 70 من غِيَانَ يُحَضْبِسِّ)

أنت غابات الدنيا وحراجتها الرفيعة
وأنت هذا العالم والسماء والبحر والجبال
أنت الجنة الفردوس والنار الملتهبة
وأنت رب الأرواح الحميدة والعالم المبجل

وفي مجموعة أخرى لأبياته المسمى غيانَ رَتِّنَكُّرَوَنْجِ يشرح هذا الشاعر الإلهيطريقة معرفة النفس والرب في شكل الحوار بين رجل ومرأة وفي صيغة سؤال وجواب فالحوار ما يلي:

سؤال:أين مقام معرفة النفس ـ ياسيدتي؟ والجواب: فهو ما بين العينين ـ ياسيدي
س: كيف يتم معرفة النفس ـ ياسيدتي؟ ج :فهو صيره أبانا وأمنا ثم إيانا ـ ياسيدي
س: قولي،كيف أعرف الله ـ ياسيدتي؟ ج: فهو ذكرك الله في كل مكان ـ ياسيدي
س: كيف يمكن نسيان النفس ـ ياسيدتي؟ ج: فهو تحكّم النفس بالرضاء بالواحد ـ ياسيدي
س: كيف يتم الرضاء بالواحد ـ ياسيدتي؟ ج:فهو أن يكون ظلاما بعد نسيان الكل ـ ياسيدي
س: كيف نعبد الله بالمشاهدة ـ يا سيدتي؟ ج: وهي شهود ما بين الإثنين بالمحبة ـ يا سيدي
س: كيف طلب ما بين الإثنين يا سيدتي؟ ج: فهي باتحاد الإرادة والطلب والجهد يا سيدي

والولي الثاني الذي أعجبني بأبياته التوحيدية الوجدانية هو مهاناند بابا رحمه الله (١٨٩١-١٩٥٩) واسمه الأصلي محمد عبد القادر. وأنه ولد في ١٨٩١/١٢/٢٥م ولدا رابعا لوالده محمد إبراهيم ووالدته شيخ ناتشيار. ويقال أن أمه عندما كانت حاملا له استمع إلى صوت

سري مستديم يقول : عين الحق، لا أنا غير الحق، أنا الظاهر في الحرف وأنا الباطن في المعنى. فهو ولد بقرية تروباتور قرب كاريكُّدِ وأنه قضى معظم حياته في مدينة مدوراي حيث قام بتعليم الناس طريقة التصوف وعقيدة التوحيد. وفي ١٩٥٩م توفي في عمره السبعين وانتقل جسمه إلى كِيضَكَّرَي حيث دفن وبني له مزار يزوره أناس كثير كل يوم. وزعم هذا الولي وأصر أنه لم يكن إلا محي الدين عبد القادر الجيلاني بكلماته التالية:

وطلعنا من طرف جيلاننال كركرانا تولدا اشتهارا

وله مئات من الأبيات جمع كلها في كتاب يسمى "مهانْدَجِيدَمْ" (قصيدة مهانداندا) وأبياته واضحة كل الوضوح تكشف أيمانه الصارم في وحدة الوجود يقولها بكل صراحة وجراءة كمثل جراءة الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني الذي أصبحت أبياته التالية مشهورة بين الدائرة الصوفية:

فأين أنا إذا أنت بذاتي دائما كنت فما بنتُ ولا بنتَ ولا تا بيننا الله!

والجيلاني هو الذي قال أيضا

بلاد الله ملكي تحت حكمي ووقتي قبل قبلي قد صفا لي

درست العلم حتى صرت قطبا ونلت السعد من مولى الموالي

فمن في أولياء الله مثلي ومن في العلم والتصريف حالي

وعلى منوال محي الدين الجيلاني قد قال مهاناند بابا أيضا بعض الأبيات وها هو قوله:

نحو شمس الوجود نورا ونارا من سماء الشهود ليلا ونهارا
نحن نور في نور ذات الذوات في ظلام بلا ستور منارا
إنما نحن للذوات شؤون كل يوم يكون فينا درارا
نحن جلنا ذواتنا بالصفات في ظهور وفي بطون طوارا

ومن أقواله أيضا ما يلي:

صرت مظهرا ليذكر عني وأني أخذت أظهر رجلا وامرأة
تكونت من وحدتي كلا كثيرا مدركا أن ليس هناك إلا الواحد
صرت جميع ما في الكون حيث بقيت حبا كليا
وأنا الذي أصبحت روح الجسم وأيضا قوتا لينمو الجسم

ومن أبياته الأخرى في العربية:

نحن كنا بكل كل قديما وحدوثا ببعض بعض جذارا
نحن فينا نرى جميع المجالي ما على وجهنا الجميل غبارا
نحن صرنا مظاهر اللطف كلا قبل قبلٍ وبعدَ بعدٍ سراراً
ما خفينا بسِر سبع المثاني كل شيء بدا بنا اجتهارا
وشهدنا من الجمال عيانا ورأينا من الجلال مقارا
نحن في عيننا جفون حزارا نحفظ للعيون نورا وبهارا
كل أحبابنا تجلوا مقاما وحدة الذات شاهدوا ابتصارا
وخرجنا عن كل قيد بملك ودخلنا بكل قيد معارا
وجرى في الملوك وفي الرعايا حكمنا من جهاتنا انتشارا

ولـنـا عـسكـر جنـود عـوان وسـمـاواتـنـا وأرض مـدارا
وجـبـال لـنـا وبـر بـحـــارا كل ما في المكون ظهرا ستارا[١]

وأخيرا يجدر بي أن أقتبس قول الأستاذ نديم اللاهوري الذي يرى هذا العصر الحديث أكثر ملائما من أي وقت مضى للأفكار والعقائد الوحدانية لأن الإنسان بتقدمه المهيب في علمه وثقافته أخذ يدرك الخالق أكثر عمقا ودقة ويساعده في ذلك تقدم العلوم والتكنولوجيا ولاسيما علوم الفيزياء وكذا يعاونه تطور وسائل النقل والإعلام والمواصلة الذي بدأ يعجل عولمة العالم إلى أن تجعله قرية صغيرة ووحدة واحدة. ولا شك أن الله قد أصبح اليوم اقرب من حبل وريد الإنسان الحديث العاقل المثقف. وقد خلقت هذه التطورات الحالية الجبارة في عالم يومنا ظروفا تناسب تبرعم أفكار وحدة الوجود ونموها ونضجها أخيرا حتى تأخذ الإنسان إلى غايته المقدسة وهذا قوله[٢]

"Of all the periods of recorded history modern age has been most favourably inclined to monistic conceptions….. Advancement of scientific knowledge, particularly in the field of Nuclear Physics, has lent its support to the notions of a single

[1] AdvaidhaKanam by Mahanandha Baba, Erode 1975 P16 - 21
[2] A Critical Appreciation of Arabic Mystical Poetry – Dr S.H.Nadeem, Lahore (1979) P 231-32

substance or one underlying reality. Rapid means of communication, by unifying the world, have created an atmosphere quite congenial to monistic ideas, which have been voiced by writers of several nations

تنسيق الكليات الإسلامية ريشة ذهبية في أوراق تاريخ الدراسة الإسلامية ودراسة اللغة العربية بكيرلا

نشاد علي الوافي وي بي*

نبذة تاريخ الدراسة الإسلامية واللغة العربية بكيرلا:

كيرلا ولاية هندية جنوبية تطل على المحيط الهندي وتتميز بالطقس المعتدل وتلف بها القنوات والأنهر والأشجار المتكاثفة الخضراء والمراعي الخلابة والمناظر الطبيعية الأخاذة وصل إليها الإسلام عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تثبته الوثائق التاريخية المعتمدة عليها[١]. بدأت تعاليم الدين في أول الوهلة تنبث فيها بحيث يجتمع الناس في المساجد ويلقي العالم الدروس على موضوعات تلمّ بجميع اتجاهات الحياة الإنسانية وتتناقله الألسن وتلوك به الألسن. وفي غضون ذلك أنشأ أبو عبد الله الحضرمي أول 'درس'[٢] في كيرلا بمسجد ولي كلنكرا (Valiyakulankara) /تانور(Tanur) سنة ١٢٧٦م/ ٦٧٥هـ[٣] وأصبحت الدراسة الإسلامية منذ ذلك تتبلور نظاما بأن يسكن الطلبة والأساتذة في المساجد ويتلقى التلاميذ الدروس في التفسير والحديث والفقه والعقيدة والمنطق والبلاغة من وجوه الأساتذة مباشرة باتخاذ اللغة العربية وسيلة فيه. ومن جهة أخرى أخذت اللغة العربية تُدرس رسميا في المدارس الحكومية منذ ١٩١٢[٤] بموجب أمر أصدرته حكومة تروتانكور

* **باحث في كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة لدى مركز دراسات اللغة العربية والإفريقية بجامعة جوهرلال نهرو**

[١] سي نايرٰ كوبالن:Malayatttile Mappilamar(مسلمو مليالم)'١٩١٧ 'ص:٧٣

[٢] النظام الدراسي الإسلامي بحيث يسكن الطلبة والمعلمون في المسجد ويتلقون الدروس منه

[٣] إبراهيم' نصر الكادموزي:الدراسة العلمية قبل المخدومين' ٨٢٢ المقالة المنشورة في 'الشهادة التاريخية للطريق المستقيم' ٢٠١٢' مطبعة جمعية العلماء بعموم كيرلا

[٤] نجيب الكلنبلمي' تذكار الأدب العربي'٢٠٠٧ IME Associstion,Kerala

(Tiruvitankur) إلى نائب مدير هيئة الأنشطة التربوية والتعليمية آنذاك رام صامي (Rama swami) لاتخاذ إجراءات تعزيز سبل الدراسة المسلمة. وعلى ممرّ الأيام خصيصة بعد احتلال القوات البيريطانية الهند تغيرت الأمور بجعل المدارس الدينية مدراس حكومية ولكن انتهى الوضع إلى أن يسوء على سبيل غير متوقع حيث أزيلت المواد الدينية من مقرر دراسي لدى 'المدارس الحكومية' زمن رئيس الوزراء سي راجكوبا لاجاري (C.Rajagopalajariya) سنة ١٩٤٧[١]. فانتبه العلماء *وأنشؤوا* المدارس[٢] في القطاع الخاص وتكاثرت 'دروس' في شتى أنحاء كيرلا ولكن لسوء الحظ تلاشت وانحطّت لعدة أسباب في أواخر التسعينات وأوائل العشرينات في صورة غير ملحوظة من قبل فتجمد حقل الدراسة الدينية العالية.

الخطوة الجديدة في الدراسة الإسلامية وظهور تنسيق الكليات الإسلامية:

وللشعور الماس بهذه الأزمة وللاستيعاب التام للتقدم العلمي والتكنولوجي والمعلوماتي الذي يشهده الهند والعالم كيلا يتأخر الجيل الجديد عن ركب الحضارة والثقافة الإسلامية والمؤهلات العلمية العالية وكي يخرّجهم جميعا بالقديم والجديد وبين المعارف الإسلامية والعلوم الإنسانية أفرغ بنك الفكر المنتمي إلى العلماء بولاية كيرلا وعلى رأسهم الأستاذ عبد الحكيم الفيضي[٣] منسق الكليات الإسلامية الحالي وعميد كلية الشيخ أبو بكر للآداب والعلوم الإسلامية سعيا دؤوبا في دمج التعديلات العصرية اللازمة على المنهج النظامي[٤] السائد في الدراسة الإسلامية بالهند منذ القرن الثاني عشرمع إبقاء روحه وجمع طرفي العلم – المادي والمعنوي- حيث يمكن للطلبة تزويدهما بالعلم المادي والمعنوي تحت سقف واحد.

[١] واواد' أنيس نماذج الدراسة الدينية بكيرلا'٨٤٠ المقالة المنشورة في 'الشهادة التاريخية للطريق المستقيم' ٢٠١٢' مطبعة جمعية العلماء بعموم كيرلا

[٢] المدارس في كيرلا معاهد للدراسة الإسلامية الابتدائية و'دروس' للدراسة الإسلامية العالية

[٣] ولد بقرية آدرشيري بمقاطعة ملابرم سنة وحاز بجائزة التقديرية العلمية الدولية للموقع الإسلامي سنة ٢٠٠٩م وislam.netعام ٢٠١١م

[٤] وضعه فضيلة الشيخ ملا نظام الدين

فتم إنشاء هيئة علمية بحيث تعمل شبه جامعة بوضع المناهج الدراسية وتوحيد الأنشطة الأكادمية وتنظيم النشاطات العلمية وإجراء الامتحانات وإصدار الشهادات العلمية وعقد الورشات وغيرها تحت رئاسة الزعيم الروحي بعموم ولاية كيرلا السيد حيدر علي شهاب حفظه الله بعنوان "تنيسق الكليات الإسلامية" عام ٢٠٠٠م وسجلت لدى الحكومة برقم ٠٤/٣٧٩. وينتسب إليها حتى اليوم ٣٥ كلية إسلامية فضلا عن أربع كليات للبنات ويعمل مركز التربية الإسلامية[١] بمنطقة كوتي برم من مقاطعة ملابرم لولاية كيرلا/ الهند مقرا لها.

أصبح هذا التنسيق خلال فترة قصيرة يزرع بصيص الأمل في قلوب الطلبة الذين نظروا إلى العلم أنه بعيد عن الدراسة الإسلامية على وجه خاص واللغة العربية عامة. وكانت النقطة النوعية في اتجاه نحو الأفضل اهتمام التنسيق بتوفير جودة العلم بتطوير المناهج الدراسية وإضافة المواد الجديدة طبق متطلبات الوقت وتأكيد تواجد جميع التسهيلات المادية والأكادمية في الكليات المنتسبة إليه. وقسم التنسيق مراحل الدراسة إلى التمهيدية (سنتان) العالية (أربع سنوات) والماجستير (سنتان) وقيد الحصول على الشهادة (الملقبة ب**الوافي** – للبنين- و**الوفية**[٢] - للبنات) باجتياز مرحلة البكالوريس المعتمد لدى مُفوضية المنحة الجامعية (Commission-UGC University Grant) وأتاح للطلبة اعتمادا على نظام الساعة المعتمدة المختارة (Choice Based Credit and Semester System) فرصة لاختيار ما شاء من الساعات المعتمدة من خارج تخصصه في مرحلة الماجستير حسب الذوق. وكانت ليالي الهيئة العلمية لدى تنسيق الكليات الإسلامية نهار بيضاء تولي الاهتمام بقبول تغيرات علمية تجري في كل صوب وحدب فزار الوفد عدة جامعات إسلامية خارج الهند وداخلها حتى تمكن لها عام ٢٠١٢م من وضع مقرر دراسي

[١] وهو صرح علمي يتلمذ فيه أكثر من ٢٥٠٠ طالب وطالبة في شتى فروع العلم أسسه المرحوم الشيخ أبو بكر (ولد بإيدونكاد Edavanakkad– بمقاطعة إيرناكولم، كوشن –Eranakulam,Kochi سنة ٢٠/٠٢/١٩٢٩- وتوفي بتانور بمقاطعة ملابرم عام ٦/٠٢/١٩٩٥م) عام ٢٥/٠١/١٩٨٣ وكان رئيس جمعية العلماء بعموم كيرلا

[٢] دورة دراستهنّ خمس سنوات باجتياز مرحلة البكالوريس في كلي العلوم الإسلامية والإنسانية

جديد بتقسيم الدراسة في مرحلة الماجستير إلى ثلاثة أقسام من قسم أصول الدين وقسم الشريعة الإسلامية وقسم اللغة والحضارة وسبع شعب بإدخال مواد معاصرة مثل البنك الإسلامي، الاقتصاد الإسلامي، علم السلوك، فقه الأقليات، القضيا المعاصرة، رد الشبهات، التيارات الفكرية، ومقارنة الأديان...وفي قسم اللغة والحضارة تزود الطلبة بتاريخ الأدب، النحو، نصوص أدبية، النقد، الترجمة النصية والشفوية، البلاغة، الاتجاهات الأدبية، فقه اللغة، علم الأصوات، العروض والقوافي... مع تقوية قدرتهم اللغوية على نظام 'السماع، التحدث، القراءة، والكتابة'والى جانب هذا تشترط الهيئة العلمية على الكليات المنتسبة بناء مختبرات الكمبيوتر الخاصة وتوفير مكتبة واسعة بعدد كبير من الكتب بالعربية والإنكليزية والأردية ولغة الأم (ملیالم) أدب الأطفال، دوريات دولية، الصحف والمجلات... وقطعت الهيئة العلمية شوطا كبيرا في تطوير المناهج الدراسية بتخطيط برامج التقييم المستمر لبعض المواد بين إجراء الندوات، المناظرات، إعداد الخطط، المشاريع، الامتحان الشفوي، التدريس، إعداد المقالات، العمل الدعوي الميداني، الخدمة الاجتماعية الإجبارية (Compulsory social Service. فنهضت على هذه الوتيرة أنشطة التربوية والتعليم حتى أسفرت عن ورود عدد عديد من الطلاب والطالبات من جميع نواحي الولاية برغبة عارمة في الحصول على الدخول في المعاهد الدينية ليبلغ مجموع الطلاب إلى ٢٠٠٣ طالب و٣٠٨ طالبة حسب إحصائية سنة ٢٠١٣.

برامج خاصة لتعليم البنات:

أولى تنسيق الكليات الإسلامية للدراسة العليا للبنات عناية خاصة، لتخريج جيل جديد من النساء يمثّلن الإسلام أروع نمطه ويمهدن السبيل إلى التقدم الاجتماعي، بتزودهنّ التعليم الديني الممتاز إلى جانب العلوم والثقافات المعاصرة تحت مظلة واحدة فتم تصميم منهج دراسي يشتمل على مواد التفسير والحديث والفقه والعقائد والبلاغة والتيارات الفكرية وفقه

الأسرة (علم النفس الأطفال، النمو البدني، تنمية الشخصية، علم الأغذية والتغذية، المناعة، استخدام الموارد، التطور الاجتماعي، الإسعاف الأولي، التمريض)....

الاتفاقيات والاعترافات القومية والدولية:

وفي ناحية أخرى كانت هذه الجمعية تقترب من هدفها المنشود بالوصول إلى مستوى العالم العلمي تكاتفا مع أعرق الجامعات الكبري وتوقيع الاتفاقيات ونيل الاعترافات من مصادر ذات أهمية كبيرة ومن الأجدر بالذكر منها:

١- اتفاقية التعاون العلمي والثقافي مع جامعة الأزهر بالقاهرة، مصر[١]
٢- اتفاقية جامعة القاهرة (كلية دار العلوم)[٢]
٣- مجمع اللغة العربية بالقاهرة[٣]
٤- الرابطة الدولية العربية (ALECSO)[٤]
٥- رابطة خريجي الأزهر[٥]
٦- جامعة عليكره الإسلامية / بالحكومة الهندية (عودلت شهادتهما بمرحلة الإجازة العالية)[٦]

البحوث العلمية:

وفي مجال البحث العلمي الذي يعتبر من الغايات الرئيسية له لتقديمه أحد المؤسسات الأساسية لتصدي مشاكل المجتمع فقد حرص التنسيق منذ نشأته وعبر أعوام تطوره على

[١] تم التوقيع عام ١٤/٠٢/٢٠٠٧

[٢] بتاريخ ١٥/٠١/٢٠١٣
[٣] بتاريخ ١٨/٠٢/ ٢٠١٣
[٤] بتاريخ ١٦/٠١/٢٠١٣

[٥] بتاريخ ١٩/٠٤/٢٠١٣
[٦] بتاريخ ١٠/١٢/٢٠١١

تنشيط وتدعيم البحث العلمي في شتى المجالات والتخصصات وذلك من خلال النشاط المكثف الذي تقوم به لجنة البحوث المتكونة من كبار أساتذة الكليات المنتسبة إليه ويتطرق البحث إلى موضوعات جادة وإلى أهمّ شكوك أثارها الطلبة وقت الدراسة حيث يؤدي ذلك إلى تبادل العلوم والآراء في أطيب صورة ومن جانب الطلبة يقدمون الرسالات القيمة نهاية مرحلة دراستهم بتوفيق الله استطاعوا للإنجاز على أكثر من ٢٠٠ رسالة بحوثية ذات قيمة. ولإشباع الجوع بأهمية البحث والمؤتمرات والندوات العلمية والثقافية في إثراء المعرفة وخدمة المجتمع تم تشكيل منتديات البحوث العلمية للطلبة من منتدى التفسير والفقه والتاريخ والعلوم والعقيدة واللغة وأولت لها بالغ الاهتمام ويتم إجراء المؤتمرات والندوات اللاصفية وخاصة المحلية التي تقام سنويا في رحاب خاص على مسائل تهم العامة في إطار نظام العالم الجديد ومسيرته السريعة مثل 'سوق الأسهم: الوجهة الشرعية' 'زراعة الأعضاء' 'وسائل جمع وتوزيع الزكاة الظاهرة والباطنة' 'البائنة'[١]: بين الحلال والحرام'.

المتخرجون:

واذا كان نجاح المؤسسات والمعاهد العلمية باعتبار لباقة الخرّيجين في سوق العمل والخدمة والدراسات العليا ففاز فيه التنسيق فوزا سحيقا حيث يدرس ويبحث عدد كبير في عدة جامعات دولية مثل جامعة الأزهر وجامعة القاهرة بمصر والجامعات المركزية وغير المركزية الحكومية بالهند حين البعض يزاول في مختلف المرافق الاجتماعية والدينية والطلابية مثل أئمة المساجد وعمداء الكليات الدينية والعلمانية والصحافيين والنشطاء التربويين ورؤساء الاتحادات الطلابية ومحرري مجلاتهم.

[١] هذه عادة سائدة شنيئة بين الناس وقت الزواج بإعطاء الأموال الطائلة للزوج

المصادر والمراجع:

- www.wafycic.com
- تنسيق الكليات الإسلامية: نشرة إعلامية لعام ٢٠١٣-٢٠١٤
- النظامي، زيد محمد، الوافي والوفية: عظمة القديم وجدارة الجديد،(Wafy Wafiyya:Pazhamayude Mahimayum Puthumayude Gunamenmayum) مقالة منشورة في الصحافة الأهلية، "جنتركا" ٢٩-٠٤-٢٠١٣

- سي ناير،كوبالن:Malayatttile Mappilamar(مسلمو مليالم)،١٩١٧
- نصر الكادموزي:الدراسة العلمية قبل المخدومين، ٨٢٢ المقالة المنشورة في الشهادة التاريخية للطريق المستقيم، ٢٠١٢، مطبعة جمعية العلماء بعموم كيرلا
- نجيب الكلنبلمي، تذكار الأدب العربي،٢٠٠٧ IME Associstion,Kerala

نظرة خاطفة على إسهام الهند في السيرة النبوية باللغة العربية

الدكتور عبد الناصر علي*

إن التأليف في السيرة النبوية كان ولايزال موضوعاً محبباً لدى العلماء المسلمين لكون النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ورحمة للعالمين، وعلى قلبه أنزل الله تعالى القرآن الكريم وعليه أكمل الدين، ويقول الله تعالى: **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)** - (سورة المائدة- الآية: ٣) ويقول أيضاً: **(ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)** (سورة الأحزاب-الآية:٢١). ومن ثم أصبح القرآن الكريم والحديث النبوي مصدرين رئيسين للتشريع الإسلامي، واهتم المؤلفون السيرة النبوية بتسجيل التفاصيل الدقيقة عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحفظ كل شيء له به علاقة، وكل خبر له به صلة، وكل وصف دقيق لأعماله وتصرفاته وشؤونه وعاداته، وكذلك حياته الفردية والاجتماعية، وأخلاقه الكريمة التي يقول الله تعالى عن عظمتها: **(وإنك لعلى خلق عظيم)** (سورة القلم- الآية:٤). فحفظت لنا كتب السيرة النبوية الصورة الكاملة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بكل دقة ووضوح، لأنها تقدم أمامنا ترجمة الدعوة القرآنية إلى العمل في واقع الحياة، وكان كل قول وعمل له من وحي الله يقول: **(وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى)** (سورة النجم- الآية:٣،٤)، ولذا أكد الله تعالى على إطاعة الرسول الأعظم وجعل إطاعته إطاعة له في قوله: **(من يطع الرسول فقد أطاع الله)** (سورة النساء- الآية:٨٠). ويقول أيضاً: **(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم فانتهوا)** (سورة الحشر- الآية:٧).

* **الباحث في جامعة جواهرلال نهرو، نيو دلهي**

وانطلاقاً من هذه الأهمية البالغة للبشرية جمعاء، ومن منارة الهداية للأمة الإسلامية ركز الكتاب والعلماء عنايتهم بكتابة السيرة النبوية واعتبروها واجباً دينياً مقدساً في كل لغة وفي كل عصر ومصر، فتكاثرت التأليفات في كل لغة حول كل ناحية من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن ترجع الأسبقية فيها إلى العرب الذين أولوا عنايتهم الخاصة بتسجيل كل صغير و كبير كان له علاقة بالرسول صلى الله عليه وسلم و أهله وذويه، وحتى جمعوا لنا حياة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وحياة التابعين، ولذلك بالرغم من كتب قيمة في السيرة النبوية في كل بقعة من بقاع العالم وفي كل لغة من لغات العالم تعتبر المؤلفات العربية في العهود الأولى المصدر الأساسي للباحثين في السيرة ولها حق أن توضع في الدرجة الأولى من السيرة النبوية.

وأما الهند فما كانت لها علاقة باللغة العربية، ولكنها وسعت صدرها للغة القرآن، واستقبلتها بكل حفاوة وإكرام وحتى فاقت الدول غير العربية في اللغة العربية، وساهمت في مؤلفات عربية تعد من كتب قيمة بين العرب في اللغة العربية وآدابها، وفي التاريخ والسيرة. وتزداد أهمية الهند وعنايتها باللغة العربية أن العديد من الكتب العربية المؤلفة في الهند يتم تدريسها في الكليات والجامعات العربية كمقررات دراسية، والعديد من الأساتذة الهنود قاموا بالتدريس في الجامعات العربية من حين لآخر، فلا غرو أن أبناء الهند ساهموا في السيرة النبوية مساهمة قيمة لا يستهان بها، يحق لنا أن نلقي نظرة على مؤلفات عربية في السيرة النبوية في الهند.

كان الاحتكاك التجاري بين الهند والعرب ثم دخولهم وسيطرتهم على بلاد السند والهند لبنة أولى لنشر الإسلام و تعاليمه السمحة ، فكانت بداية تطوير العلوم الإسلامية وفروعها المختلفة، بما فيها السيرة النبوية في بلاد الهند إبان الزحف الإسلامي فيها، فأول من ألف في السيرة النبوية بالعربية من علماء الهند هو المحدث أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن

السندي من رجال القرن الثاني الهجري، وكان قد سمع الحديث من نافع و عدة نفر من التابعين، وقد ذكر المترجمون أنه ألف كتاباً في المغازي[١]، فهو كان أول هندي حاول للكتابة في السيرة النبوية.

وبعد هذه الفترة مضت عدة قرون و لم يوجد مؤلف هندي كتب حول السيرة النبوية ولكن البداهة لاتقبل بسهولة أن علماء الهند لم يطرقوا أبواب السيرة النبوية ولم يعتنوا بها بتاتاً في هذه المدة المديدة، ولا يمكن لنا أن نقول شيئا حتمياً لقلة معرفتنا وعدم اطلاعنا على هذه الناحية، ويقودنا الظن الغالب أن علماء الهند كتبوا في هذه الفترة أيضاً ولكن لا توجد الشواهد التاريخية التي تهدينا إلى معرفة مضبوطة.

وأما في القرن الثامن و التاسع الهجري فكانت الهند تحت الحكم الإسلامي ولقيت اللغة الفارسية رواجاً عاماً في الكتابة والخطابة، فقلت العناية باللغة العربية، بالرغم من ذلك يدلنا التاريخ على بعض القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها القصيدة المدحية للقاضي عبد المقتدر بن القاضي ركن الدين الكندي الدهلوي – ت٧٩١ هـ[٢]، والقصيدة الدالية للشيخ أحمد بن محمد التهانيسري[٣]، ورسالة وجيزة حول السيرة النبوية للشيخ محمد بن يوسف الدهلوي - ت ٨٢٥هـ[٤]، وقدم علماء الهند فيها تحيتهم العطرة وسلامهم المبارك على الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وأدوا فريضتهم الدينية المقدسة. وفي القرن العاشر ازدادت عناية العلماء بتأليف السيرة النبوية فأتت عدة من كتب وشروح على جوانب مختلفة في السيرة، ومن أهمها " مختصر السير ملخص سفر السعادة" لعبد الأول بن العلاء

[١]. الدكتور أحمد أمين، ضحى الإسلام ، ١/ ٢٣٣ والسيد عبد الحي، نزهة الخواطر، ٤٦/١، حيدر آباد ١٩٤٧م

[٢]. السيد عبد الحي، نزهة الخواطر ، ٧٠/٢- ٧٦، وفيها نجد تسعة وأربعين بيتاً من هذه القصيدة

[٣]. المصدر السابق : ٨/٤-١٣، و منها قد ذكر السيد عبد الحي واحدا وأربعين بيتاً

[٤]. المصدر السابق : ١٥٤/٣

الحسيني الزيدفوري الجونفوري – ت ٩١٨هـ[١]، ثم نجد كتابا قيماً " تبصرة الحضرة الشاهية بسيرة الحضرة النبوية الأحمدية " للقاضي جمال الدين أحمد الشهير ببحرق الحضرمي الكجراتي – ت ٩٢٩هـ، و شرح شمائل الترمذي في شمائل النبي و قصائد في مدحه للشيخ عبد الوهاب البخاري – ت ٩٣٢هـ[٢].

وفي القرن الحادي عشر قطع أدب السيرة شوطاً أكبر من ذي قبل، ومن أهم المؤلفات التي برزت على المنصة وهي: مغازي النبوة للشيخ يعقوب بن حسن الكشميري – ت ١٠٠٣هـ[٣]، وألف الشيخ محيي الدين عبد القادر بن الشيخ الحضرمي الكجراتي (ت ١٠٢٨هـ) أربعة كتب مهمة في السيرة وهي : الحدائق الخصرة في سيرة النبي وأصحابه العشرة" وقد شمل سيرة العشرة المبشرين بالجنة، وله كتاب آخر سلك في المنهج نفسه وهو: إتحاف الحضرة العزيزة بعيون السيرة الوجيزة" وله كتاب في مولد النبي: المنتخب المصطفى في أخبار مولد المصطفى" وفي المعراج كتابه: المنهاج إلى معرفة المعراج"، وكان الشيخ من نبهاء زمانه، وتعتبر كتبه المذكورة من الأعمال العلمية الجليلة[٤]، ومطلع الأنوار العربية في الحلية الجليلة النبوية، للشيخ عبد الحق محدث الدهلوي – ت ١٠٥٢هـ[٥]. و نظم الدرر والمرجان في تلخيص سير سيد الإنس و الجان، للشيخ أوحد الدين ابن مرزا جان بركي الجالندهري- ت ١٠٩١هـ، وهو كتاب قيم و جامع قام صاحبه بتأليفه في ضوء الحديث النبوي الشريف[٦]. ومولد في مدح الرسول للشيخ صلاح الدين بن سليمان- ت ١٠٩٨هـ[٧].

---

[١]. عبد الجبار، جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة، ص- ٤٨، وسيد عبد الحي، نزهة الخواطر: ١٦٧/٤-١٦٨

[٢]. السيد عبد الحي، نزهة الخواطر، ٣٢٤/٤

[٣]. المصدر السابق: ٤٣٩/٥

[٤]. السيد عبد الحي، الثقافة الإسلامية في الهند ص -٩٠

[٥]. السيد عبد الحي، نزهة الخواطر ٢٠٤/٥

[٦]. المصدر السابق: ٣٣٧/٧-٣٣٨، و الثقافة الإسلامية في الهند لنفس المؤلف ص -٩٠

[٧]. محمد يوسف كوكن عربك و برشين ان كارنيتك ، ص -٥٥

في القرن الثاني عشر نصادف كتباً قيمة تم تأليفها في السيرة النبوية في هذه الفترة، ومن المؤلفات البارزة " مولد الرسول، للشيخ شهاب الدين بن سليمان – ت ١١٢١هـ، ويقع في أربع مائة وخمسة و تسعين بيتاً في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم[١]، ومجموع مدائح لشاه ولي الله الدهلوي – ت ١١٧٦هـ، باسم " أطيب النغم في مدح سيد العرب و العجم[٢]. وكتاب " قرة العين في فضائل رسول الثقلين" للنواب محمد محفوظ خان الفاروقي الكوباموي- ت ١١٩٢هـ[٣]، ومختار الأطوار في أطوار المختار: لأبي الحسن بن محمد صادق السندي الصغير- ت ١١٨٧هـ[٤]، ومدائح الشيخ غلام على آزاد البلغرمي الذي لقبه أهل العلم بحسان الهند بسبب حبه و شغفه الشديد بالرسول صلى الله عليه و سلم من جهة وبفصاحته وبراعته وتصرفه في القول من جهة أخرى[٥].

على مر الأيام تطورت الكتابة في السيرة النبوية فتوجد كتب قيمة كثيرة في القرن الثالث عشر الهجري، ومن أهمها " السيرة المحمدية" للشيخ كرامة علي الدهلوي، كتاب ضخم قد أشاد به العلماء على دراية المؤلف و فهمه الثاقب في كتابة السيرة. وكتاب " كشف الأسرار في خصائص سيد الأبرار: للشيخ ولي الله اللكهنوي-ت ١٢٧٠هـ[٦]، وضياء القلوب في سير المحبوب" للسيد علي كبير الإله آبادي – ت ١٢٨٥هـ[٧]، وتحفة المحبين في مولد حبيب رب العالمين" لعبد الله المدراسي – ت ١٢٨٨هـ[٨]، و "الإعجاز المتين في معجزات سيد المرسلين" لعبد الله المدراسي[٩].

---

[١]. المصدر السابق: ص-٥٤
[٢]. السيد عبد الحي، نزهة الخواطر ، ٤١٠/٦
[٣]. المصدر السابق : ٣٤٨/٦، وكتاب يوسف كوكن ص-٩٠
[٤]. السيد محمد خالد علي، مساهمة الهند باللغة العربية في الأدب الحديث النبوي ٣٢٢/٣
[٥]. السيد عبد الحي، نزهة الخواطر ، ٢٠٤/٦
[٦]. المصدر السابق: ٥٢٧/٧
[٧]. المصدر السابق: ٣٣٤/٧
[٨]. المصدر السابق: ٣٠١/٧
[٩]. المصدر السابق: ٣٠٦/٧

هناك مجهودات مشكورة في تأليف السيرة النبوية في القرن الرابع عشر الهجري، فمن المؤلفات البارزة "تاريخ أحمدي"هو تأليف الشيخ أحمد بن صبغة الله المدراسي – ت ١٣٠٧هـ[١]، و"منحة السرنديب في مولد الحبيب" للسيد محمد بن أحمد – ت ١٣١٦هـ[٢] و "سيرة الرسول" للشيخ أبوبكر بن محمد الجونفوري – ت ١٣٥٩هـ[٣]، وكذلك كتب أخرى مثل "خير الحقائق" لمحمد خير الله، و "خلاصة السير في أحوال سيد البشر" لأبي عبد الله بن إبراهيم، و "الرحيق المختوم" لصفي الرحمن المباركفوري، و قد حاز هذا الكتاب على الجائزة الأولى في مسابقة السيرة التي عقدته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

وإلى جانب هذه الكتب العربية التي تم تدوينها في السيرة النبوية في الهند، يشهد التاريخ أن مؤلفات كثيرة تقدمت بها الهند نظماً ونثراً في المدائح النبوية العطرة في أزمنة مختلفة، وشروحاً كثيرة كتبها علماء الهند لشمائل الترمذي، وقصيدة البردة للشيخ شرف الدين البوصيري وقصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير، ودبجت يراعة الشيخ سعيد الرحمن الأعظمي رئيس التحرير (البعث الإسلامي) كتابا قيماً حول شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك ألفوا كتباً في الأردية و منها ترجمت إلى العربية لأجل أهميتها البالغة في السيرة النبوية، ومنها "سيرة النبي" للشيخ شبلي النعماني قام بتعريبها الشيخ محمد إسماعيل المدراسي الندوي، و"خطبات مدارس" للعلامة السيد سليمان الندوي عربها الأستاذ محمد ناظم الندوي و سماها "الرسالة المحمدية".

وأما في بداية القرن الخامس عشر فألف الداعية الكبيرة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي "السيرة النبوية" في سنة١٩٧٧م، فلقيت هذه السيرة قبولاً واسعاً في الأوساط العلمية والأدبية لشمولها جوانب السيرة وسهولة ورشاقة أسلوبها ، ووضوح عباراتها، وطبعت

[١]. المصدر السابق: ٢١/٨
[٢]. محمد يوسف كوكن عربك و برشين ان كارنيتك ، ص-٥٢٣
[٣]. السيد عبد الحي: نزهة الخواطر، ٧/٨

عدة مرات، و ترجمت إلى لغات عديدة، فازدادت أهميتها بين المؤلفات العربية في السيرة النبوية. وكذلك ألف الشيخ الندوي كتاباً باسم "الطريق إلى المدينة المنورة" وهي مجموعة من مقالاته ومحاضراته القيمة حول شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، كما يقول: وهي انطباعات عن هذه الشخصية الحبيبة وسيرتها وحياتها، وعرض سريع لما قد تغنى به الشعراء والمحبون في ديار العجم، وقد أسميت هذه المجموعة بـ" الطريق إلى المدينة" فإنها تمهد الطريق إلى هذه المدينة، وتبعث الأشواق إليها، وإلى منورها عليه ألف ألف سلام[١].

ولا يسع لنا المقام أن نذكر جميع المؤلفات العربية في السيرة النبوية التي ألفها علماء الهند لأجل حبهم العميق وشوقهم الشديد للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وإنهم تقدموا بتحياتهم الخالصة وصلاتهم العطرة عليه، واعتبروا كتابة جانب من حياته المتعددة الجوانب فريضة دينية وعملا مقدساً، فكتبوا وألفوا نثراً أو شعراً، كثيراً أو قليلاً آملين السعادة في الدنيا والآخرة، عارفين بواجب الإجلال والتكريم والامتنان، معترفين بأنه هو الذي أخرج الإنسانية من الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة، ورد إلى الإنسانية كرامتها واعتبارها، وإلى أفراد النوع الإنساني حقهم في الحياة، صلى الله عليه و سلم. فهذه نظرة خاطفة على السيرة النبوية العربية في الهند.

[١]. السيد أبو الحسن علي الندوي، الطريق إلى المدينة المنورة (كلمة المؤلف)

دور جمعيّة العلماء فى النهضة الإسلاميّة بولاية كيرلا

محمد أسلم. إ.ك*

كيرلا، إحدى ولايات الهند التي تقوم فى جنوبه، قد بذرت فى ترابها بذور الإسلام فى عهد خير البشر صلى الله عليه وسلم طبقا للتقارير الوثيقة والملابسات الحقيقية والدلائل الحيّة من الآثار القديمة والتراث الإسلامي بالولاية. وإنّه لا يشكّ فيه أحد يعرف التاريخ ولا يختلف فيه اثنان في أنّ لكيرلا علاقات وطيدة بالعرب وتبادلات ثقافيّة وتجاريّة معهم قبل بزوغ راية الإسلام فى القاحلة الصحراء فى جزيرة العرب. وكان مركز تجارتهم مرسى "مسرس" بمنطقة "كدنغلور"(Kodungalloor) فى مقاطعة "ترشور"(Trissur). وهذا ما أدّى أوّل الوفد الذين تزوّدوا بزاد الإيمان مباشرة من الرسول صلى الله عليه وسلم ورغبوا فى تزويد القلوب الجائعة إلى الهداية، إلى أن ينزلوا فى "كدنغلور".

وكان مالك بن دينار وشرف بن مالك ومالك بن حبيب والسيّدة القمريّة فى مقدم هذا الوفد الذين استحقّهم أهالي كيرلا استحقاقا عظيما لمدّ أيديهم إلي أهالي كيرلا لتسليمهم من هاوية الغواية ومن شفا حفرة الضلالة والتدهور ولإشعال فتيلة الإيمان فى قلوبهم. سرعان ما سمعت آذان أهالي كيرلا إلى كلمة الإسلام قبلتها بكلّ القبول ووجد الوفد سوقا نافقة لمقصودهم العالي من إعلاء كلمة الله هي العليا فى شاطئ كيرلا حتى فتح ملوك البلدان والمحافظات أمامهم أبواب الدخول وسهّلوا أمورهم الدعوية الدينية. ومع وضع نواة الأصل لأوّل مسجد فى الهند فى بلدة "كدنغلور" أصبحت ولاية كيرلا ولاية تهبّ رياح

* الطالب في جامعة جواهرلال نهرو، في السنة الثانية من الماجستير

الإيمان فى أجوائها ويفوح شذى الإسلام وعرفه طيلة أرضها وتطغى سمعتها فى العالم. وأنه قد كتبت على بوّابة المسجد أنه بني في القرن الخامس الهجريّ[١].

إن أجواء كيرلا كانت هادئة وسالمة وترابها خصبة لنموّ النبتات الإيمانيّة فى قلوب الناس حتى وطأت القوّات الاستعماريّة الاحتلاليّة أقدامها فى هذا الأرض. وشهدت سنة ١٤٩٨ م لواقعة مؤلمة ومؤسفة وذلك كان بهبوط سفينة الاستعماريّ "فاسكودغاما" (Vascodagama) مع أصحابه فى ميناء كالكوت . وكانت هذه نقطة تحوّل فى تاريخ كيرلا فى تشويه وجهها وتهديم قلوبها التى كانت كالبنيان يشدّ بعضها على بعض.

بداية سلسلة النهضة الإسلامية فى كيرلا

ترجع خصوصيّة رئاسة كيرلا فى النهضة الإسلاميّة إلا أنها كانت حاملة الثقافة اليمنيّة وحاصلة على الإيمان اليمانيّ حيث تحقّق قول صلى الله عليه وسلم " الإيمان يمان والحكمة يمانيّة"[٢]. وهذا العنصر العظيم تسبّب لتذوّق أهالى كيرلا ذوق الإيمان خالصا من كلّ الشوائب وبعيدا عن الغواية والعماية.

وكانت الرئاسة المخدوميّة أوّل رئاسة قادت كيرلا وسادتها زمنا طويلا وأسرعت جريها ومسيرتها. وهذه الرئاسة الطاهرة جاءت الى هذه التربة الخصبة للقيام بمهامّ الدعوة الدينيّة والتبليغ وحقّقت أنّ العلماء ورثة الأنبياء. وكان الأوّل من تلك السلسلة المطهّرة أبو يحيى زين الدين بن شيخ عليّ بن أيّوب بن أحمد المعبري الذى يعرف "بالمخدومي الأوّل" وإنه قد صاحب مع علماء ذلك العصر من جلال الدين السيوطي والإمام زكريّاء الأنصاري وإنه أكمل دراساته العليا فى جامعة الأزهر الشريف بمصر. وهذا العالم البارز فى النهضة

[١]. دائرة المعارف الإسلامية (في اللغة المليبارية)،: ج : ٨ ، ص : ٦٢٦
[٢]. مسند أحمد : ج : ٨ ، ص : ١٥٦

الثقافيّة قام ضدّ القوّات الاستعماريّة حتى قرض الأشعار بتحريض المسلمين ضدّ القوّة الاستعماريّة باسم "تحريض أهل الايمان" الذى يعدّ أوّل عمل ضدّ القوّة الاستعماريّة بكيرلا. وله أعمال كثيفة من هداية الأذكياء، وسراج القلوب، ومرشد الطلاب، ومنقوص المولد النبويّ وما إلى ذلك[١].

وكان المخدوم الثاني أتمّ دراسته بمكّة وجالس مع مصنّف "تحفة المحتاج بشرح المنهاج" الامام أحمد بن حجر الهيتمي وله صحبة سعيدة مع الإمام محمد الرملي، ومحمد الخطيب الشربيني، وابن مخرمة وإنه قد زار الهيتمي ولاية كيرلا وقت تدريس المخدوم الثاني بفناني (Ponnani) وكان الإمام خطيبا وفقيها ماهرا وأعماله من تحفة المجاهدين، وفتح المعين، وإرشاد العباد، والأجوبة العجيبة، والجواهر، والمنهج الواضح حتى تدرّس خارج البلاد وهذه الإسهامات البارزة والمجهودات المشكورة قبلها العرب والعجم بقبول حسن[٢].

والسيّد علوي المنفرميّ كان نجما ساطعا أضاء طريق الهداية وسبل الرشاد أمام غير المسلمين الغاوين والغافلين عن الدين وتعاليمه السمحاء فأدخلوا إلى الإسلام جمّا غفيرا. وكانت حياته لطيفة بدون رفاهية وخطاه جريئة وله أيضا طول النظر فى الأمور كلّها، وعنايته الخاصّة بالخدمة للناس نالت له شعبيّة واسعة عند الناس، حتى دخل الزرّاع الفقراء والمساكين الى الإسلام واحد تلو واحد وأسرة بعد أسرة وقرية بعد قرية وانه اعتبر المسلمين الجدد باعتبار هامّ ونظر إليهم نظرة الودّ والحنوّ ومدّ إليهم يد المعونة والمساعدة والتبرّع. وكانت حياته فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر التى كانت القوّات الاستعماريّة سيطرت على كيرلا وحقّنت الكلمات المسمومة إلى دماء أبناء الولاية وإثر هذه تجيء ظواهر اللامسيّة (Untouchability)، والفصل حسب اللون والدين والمال بين أهالي كيرلا. وفى هذا المنطلق الخاصّ قام السيّد بالمهمّة الدينيّة ورفع صوته ضدّ هذه

[١]. دائرة المعارف الإسلامية (في اللغة المليبارية)، ج:٨، ص:٣٩٣،الناشر:البيت للنشر الإسلامي
[٢]. المرجع نفسه، ص:٣٩٤

الآراء القذرة والأفعال البشعة وإنه حاول محاولات مستميتة لاستئصال جذور هذه الأفكار المتشوّهة وهذا ذاع صيته وزاد قبوله لدى الناس بين مسلمهم وكافرهم وصغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم[١].

وكان السيّد عمر القاضي حلقة مهمّة فى السلسلة التى قادت النهضة الإسلاميّة فى كيرلا.

وهناك إشارة لخطّ شهرته وكرامته فوق شعره الذى أنشده أمام الروضة الشريفة النبويّة وفتحت أمامه أبواب الروضة عقب إطرابه:

يا أكرم الكرما على أعتابكم عمر الفقير المرتجى بجناكم

يرجو العطاء على البكاء بباكم والدمع من عينيه سال سجيما[٢]

وهؤلاء من الدوحة الشريفة كانوا حاملين راية الاسلام بعد طلوع شمس الإسلام فى هذا التراب الطاهر وكان هؤلاء ومن بعدهم ممّن الذين جعل لهم الرحمن ودّا وممّن الذين أنعم الله عليهم بنعمه الخاصّة. يقول الله تعالى :" ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا "[٣].

أمهات أهداف الجمعيّة وأعلامها البارزة

وهذه الشعلة التى تنير النهضة الإسلاميّة والصحوة الإيمانيّة فى ساحل كيرلا تبقى غير منخمدة ومنطفئة بل ما تبرح على تلك الحالة لأن الله جلّ وعلا يتمّ نوره.

[١]. حياة السيد علوي المنفرمي، ص:١٩٥
[٢]. عمر القاضي سيرة حياته وأعماله(في اللغة الماليبارية)، لجماعة المحلّ بولينكود بملابرم، كيرلا، ص:٢٣٦
[٣]. سورة النساء ٦٩

يقول الله عزّ وجلّ : "يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون"[١].

وهذه الجمعيّة التى تمثّل جمهوريّة مسلمي كيرلا تتجاوز الثمانينات من عمرها وهي قامت بإسهامات بالغة وتبرّعات عظيمة وبمهمّة الدعوة والتبليغ واقتلعت عن كل ما ليس له علاقة بالدين وخلعت عن كلّ لباس تقمّص به أشخاص وتنظيمات وانّه قد سلّطت ضوء الإيمان على الآلاف من القلوب والنفوس وأنعشت نفس المؤمن وروحه وسهّلت له الطريق ويسّرته لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر به عندما بعث معاذا وأبا موسى رضي الله عنهما الى اليمن :" يسّرا ولا تعسّرا وبشّرا ولا تنفّرا وتطاوعا ولا تختلفا "[٢].

إن جمعيّة العلماء تسير مسيرتها معدّة بكلّ العدد التى تليق بها وحافظة على كلّ التسهيلات التى تقوّي هدفها من النهضة الإسلاميّة وقابلة لكلّ التغيّرات الجديدة المحتاجة إليها التى لا تزلّها ولا تضلّها بل يشجّعها الإسلام.

أهداف جمعيّة العلماء

قد سجّلت هذه الجمعيّة بالحكومة سنة ١٩٣٤ م فى نوفمبر ١٤، بعد أن هيّأت لها دستورا واضحا يحتوي على المقاصد الإسلاميّة السمحاء ويوضّح مهمّتها ومهمّة أعضائها فى الدين. وهذا الدستور يتمركز خاصّة على خمسة أمور :

* الدعوة الإسلامية وتبليغ الاعتقادات والعادات الإسلامية حسب نهج أهل السنّة والجماعة.

* منع الدعايات والتنظيمات مضادّ منظورات أهل السنّة والجماعة وتوعية المسلمين عن تلك الأوهام الباطلة وكشف الستار عن الآراء المزوّرة التى يقدّمها أهل البدع.

[١]. سورة الصفّ ٨
[٢]. صحيح البخاري ٢٨٧٣

* حفظ حقوق المسلمين الدينيّة والقوميّة: وفى هذه المادّة تبرز قوة نظر علماء ذلك الوقت وبعد نظرهم بأن هذه المادّة تهدف إلى القيام بحفظ رغبة المجتمع عامّة .

* القيام لنشأة العلوم المادّيّة حسب عدم وقوع الإخلال للعلوم الدينيّة: وهذه مادّة تلجم باللجام على الألسنة التى طغت هذه الجمعيّة بقولهم أن هذه تنكر العلم المادّي الدنيويّ.

* اكتساح الاعتقادات العمياء والفوضى واللاأخلاقية واللاتحاديّة والقيام للغنى القومي واتّحاد المسلمين.

الأعلام البارزون لجمعيّة العلماء

إن العنصر الوحيد الذى يبقي ويحيي هذه الجمعية انّه أسّس على التقوى وأسّسه العلماء التقاة المخلصون الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويجعل لهم الرحمن ودّا ورحمة وكانوا حلقات قد لحق بها الصحابة والنبيّ الكريم عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات.

كان السيّد باعلوي ملكويا بوركّل مؤسّسا ورئيسا أوّلا لهذه الجمعية للنهضة الإسلامية وكان من الذين أعطوا العلم الذي يعطى لذكور الرجال وكان يجيد لغات عديدة من العربية والأوردية والفارسيّة وحتى كانت لقطارات تلك العهد محطّة خاصّة بجوار بيته التى تعرف "بوركل" ثم عرف السيّد بذا الإسم. وكان لهذا الرجل المخلص علاقة وطيدة مع محافظ كالكوت ومؤلّف كتاب "ملبار مانول" (Malabar Manual) " ويليم لوكون ".

وكان من حلقات تلك السلسلة السيّد بافقي الذى قام للثورة العلميّة وشكّل الإطار الخاص لمناهج التعلّم والدراسة والسيّد فوكايا اهتمّ بتأسيسات المؤسّسات الدينية والمعاهد الإسلاميّة خلال حياته المكثّفة بالأمور السياسيّة والاجتماعيّة.

والعلماء البارزون مثل "بانغل أحمد كوتى مسليار" الذى ينتمي الى أسرة الصحابيّ و"كنيت أحمد مسليار" الذى قوّى هذه الجمعية بدعائه. وا.ك.ابوبكر مسليار المعروف بـ "شمس العلماء " حتى لدى الأعداء والخصوم لأنه استحقّ لذلك اللقب بكلّ معنى وكان حقّا شمسا أضاء طريق الغواية بضوء الهداية وأدخل المئات إلى طريق الهداية وعرف بعالم العالم بين العرب والعجم وهؤلاء جعلوا هذه الجمعية شجرة متظلّلة للمئآت والآلاف.

النهضة الإسلامية تحت جمعية العلماء بولاية كيرلا

إن جمعية العلماء لعموم كيرلا تترأس لعدّة مجهودات مشكورة وللعديد من الحركات الإسلامية بدون دعاية فاضحة وضجّات مزعجة بل هدفا لإتمام مهمّتها العليا ورجاء الأجر من عند الله عزّ وجلّ بالقيام بالواجبات والمفروضات الملقاة على عواتق المسلمين عامّة والعلماء خاصّة.

وفي خلال ثمانين سنة، على ضرب المثال، تمكّنت الجمعية من تخليص أهالي كيرلا من حافة الانهيار علميّا وثقافيّا واجتماعيّا وهذه المحاولات والمجهودات لا تحصى ولا تحدّد بل فوق الأوصاف والنعوت.

وكانت تلك الأنشطة تحيي وتحقّق قول الله جلّ وعلا: "كنتم خير أمّة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر[١].

١) النهضة الاعتقاديّة

عندما تطرّقت الاعتقادات المضلّة الى أدمغة المسلمين زلّت بها أقدامهم فى الاعتقاد ,وضلّت بها أفكارهم الصحيحة ولم يفرّق أهل البدعة بين الحلال والحرام بل أوّلوهما حسب خيالاتهم وأفكارهم الضعيفة.

[١]. سورة آل عمران ١١٠

بذرت الجمعية بذورا ذات فائدة لتبادل التوعية الاعتقادية الى كلّ طبقة من طبقات المسلمين من كبارهم وصغارهم وشبانهم. وشكّلت فروعا متنوّعة لهذه الجمعية لهذا الهدف المنشود الذى أفاد الأمّة المسلمة إفادة تامّة وضمّن كلّ المسلمين وجمعهم تحت إطار واحد وألّف بين قلوبهم فتظلّل الناس بظلال الاتّحاد والجمعية وهذا نشأ فى قلوبهم الوعي الاجتماعي الاتحادي فداولوا العلوم الإسلامية وتداولوها وصاروا مشغولين بالأمورالدينية حتى تشكلت تحتها جناحات خاصّة للدعوة الإسلامية ولتبليغ رسالة الإسلام الى غير المسلمين الذين يعيشون حائرين ومتحيّرين. ولهم مؤتمرات وندوات تعقّد تحت هذا التنظيم الإسلامي دور مهمّ وهدف منشود وهذا واضح أجلى الوضوح وأمور ناصعة لا جدال فيها.

وأغلبيّة شعارات هذه المؤتمرات الإسلامية تسبّبت لإعدام الفرق البدعيّة حتى ألقيت عدّة الطرائق الزائفة باسم الاسلام والاعتقادات الباطلة فى مرمى النفايات بالإعلانات والشعارات التى أصدرتها هذه الجمعية فى المؤتمرات وفي نفس هذه المؤتمرات المتميّزة فى أعوام مختلفة تشكّلت فروعها المهمّة أيضا وهي:

أ) جمعية الشباب السنيّين

والمؤتمر الذى عقّد سنة ١٩٥٤ م فى أبريل ٢٤ و ٢٥ أعلن بتشكيل جمعية خاصّة للشبّان السنيّين الذين يعدّون جانبا مهمّا فى نماء المجتمع ولهذه الجمعية أهداف وأغراض قيّمة مثل إنجاز الإرشادات لجمعية العلماء وتعقيد حملات توعية لنشر الأخلاقية ورئاسة للدعوة الإسلامية والقيام لحلّ الخلافات التى تجري بين المسلمين وتأسيس المعاهد والكليات والمدارس التمهيديّة للأطفال ودور الأيتام والمكتبات والمباني المهنيّة واستعمال الإعلامات لنشر الإسلام والتنظيم.

ب) **اتّحاد محلّات السنيّين**

هذه هيئة مستقلّة معدّة لتنسيق الفعاليّات التى تجري فى محلّات المسلمين وهذه الهيئة تجري مثيلا للخلافة الإسلامية وتهدف الى تنمية المسلمين دينيّا وثقافيّا بل نموّا بأكمل صورته وتترأس لكلّ أعمال وفعاليّات مهمّة دينيّة.

وبذر العلماء بذرا لهذه الهيئة سنة ١٩٧٦ م فى إبريل ٢٦ بتشماد بمقاطعة ملابرم.

ولا بدّ لرؤسائها ان يتزوّدوا بقوّة قويّة إيمانيّة لتزهير أهدافها ولتشجيرها لأنها العنصر الذي يمكن من إرشاد المسلمين وتأليف بين قلوبهم المتفرّقة.

وتجيء تحت خطّاتها المنشودة أجنحة وأقسام مخصوصة لتنفيذ الأمور المتنوّعة ومنها الجناح للدعوة الإسلامية الذى يعقّد جلسات الذكر والعلم والدعاء والجناح للتربية والتعليم الذى يعمل للدراسات العليا والجناح للتّبرّعات الخيريّة والجناح للأعمال المتطوّعة ولالتقاط أخبار المحلّات.

ج) **جمعيّة المعلّمين**

إن جمعية المعلمين تتشكّل سنة ١٩٥١ م وحوّلت كيرلا إلى ولاية هادئة في أجوائها وسالمة في تربتها وساكنة في أبنائها لأنها أسّست المدارس الدينية طول الولاية وخارجها فى بعض المناطق والبلدان وبنت أبناءها الناشئين وصاغتهم فى قالب دينيّ وهذّبت أخلاقهم وأعدّتهم منتفعين للدين والدنيا وخادمين لهما. وهذا الجيل الناشئ الذي هدف إلى توجيه الأخلاق والسلامة والطمأنينة فى أرضها وهذا أمر لا شكّ فيه ولا مرية.

د) **اتّحاد الطلبة السنّيّين لعموم كيرلا**

إنّ الله سبحانه يعد بظلّ العرش لرجل شابّ قلبه متعلّق بالمسجد يوم القيامة وهذا الاتّحاد يتمركز إلى هذا الأمر ويحقن فى قلوب الشبّان الذين هم جزء لا يتجزّأ فى القوم حقنة الإيمان والإخلاص والخدمة. وشعار هذا الاتّحاد " العلم، والتواضع، والخدمة " يهتمّ

اهتماما بليغا بين أهالي كيرلا ويعدّ أعضاؤه لهذا الغرض السامح ويدخلون أفواجا إلى هذا الحقل الدينيّ .

وإعلان تشكيل هذا الاتحاد سنة ١٩٨٩ م فى فبراير ١٩، كان خطوة ناجحة وخطّة كافية لنشأة الشباب على الجوّ الاسلامي وإنّه فى الوهلة الأولى يقنع كلّ من يلاحظ أعماله وأفعاله وخدماته فى مجلات مختلفة ومتنوّعة من تدريب الطلاب للدراسات العليا ولإعداد جيل خاصّ لنشر الدعوة الإسلاميّة. وخدماته جليّة فى مجال الصحّة للمرضى والمتألّمين قلوبهم وله مركز خاصّ لدراسة القرآن الشريف. وكلّ هذه الفعاليات تلوح آثارها فى الأمّة وينتفع بها الآلاف من المسلمين وغيرهم ويخطّ كلّهم رأيا جيّدا حول هذه النشاطات الإسلاميّة.

هـ) مسرح الطلّاب السنيين

والطلاب من المراحل الابتدائيّة يسيرون على طرق الضلال واللاأخلاقية والمخدّرات وتتحلّق حواليهم الشبكات اللوبيّة للحشيش والمخدّرات فيقعون فى تلك الشبكات والمكائد. فهذا المسرح يعدّ الأطفال الصغار إعدادا دينيّا ويدرّسهم دروسا أخلاقيّة ويجذبهم الى تلك المجالات الإسلاميّة.

٢) النهضة الاجتماعيّة

ولو أخذنا على سبيل المثال إلى مائدة البحث والمقارنة ولايتي كيرلا وبنغال(Bengal) لإجراء البحث العميق عن حالتهما اليوم وحالة سكّانهما وتطوّرهما يتّضح لنا ويتصوّر أمامنا أن عنصرا واحدا قد أثّر تأثيرا شديدا فى إحدى الولايتين إيجابيّا وفى الأخرى سلبيّا.

وهذا العنصر الذى أثّر فى ولاية كيرلا إيجابيّا هو نشاطات جمعيّة العلماء فى كيرلا والعنصر السلبي الذى قاد ولاية بنغال إلى حالتها اليوم عدم وجود مثل تلك الجمعيّة الإسلامية وهذا أمر لا ينكره أحد له عقل معتدل ولسان يذكر الصدق وقلم يسيل دواة الحقّ.

وتمكّنت الجمعية من هذه النهضة الاجتماعيّة فى هذه الولاية لإعدام الفروق بين الطبقات فى الإنسان وانها قامت كالوسائط بين الأغنياء والفقراء والكبار والعوام لأنّها أسّست على

الدرس الأهمّ الذى درّسه صلى الله عليه وسلم " لا فضل للعربي على العجم ولا للعجم على العربي ولا للأسود على الأبيض ولا للأبيض على الأسود الا بالتقوى"[١].

وأن أناسا فى بنغال لا يزالون يستمرّون فى طبقات مختلفة لا علاقة للواحد بالآخر بل لا يزال كلّ واحد من الطبقات فى مقامه وموقفه ونتيجة لهذه الخلافية والفرقية لا تصل التطوّرات والتقدّمات الى كلهم بل لا إلى أغلبيّتهم وتنحصر فى بعض المناطق الذى يمثل الطبقة العليا.وأن الأموال والثروات أيضا فى أياديهم فلا يزال الفقير فقيرا والغنيّ غنيّا.

وحضور هذه الجمعية فى كيرلا أدّى إلى اعتبار هذه الأمّة المسلمة أمّة معتبرة وحفظ حقوقهم الدينيّة والاجتماعية. ودستور هذه الجمعية يوضّح عن هذا المقصود من حفظ حقوق المسلمين الدينيّة والقوميّة فى مادّته الثالثة.

وقامت الجمعية فى مقدّمة عدّة ثورات مضطرّة جرّاء الإعلانات التي أصدرتها حكومات كيرلا فى أحيان مختلفة هدفا لإعدام طمأنينة مسلمي كيرلا ولتشويش حياتهم اليوميّة الجيّدة مثل ثورة للغة العربيّة وتبديل أوقات المدارس الدينيّة بزيادة أوقات المدارس الحكوميّة حيث يضيّع للطلبة الدينيّة فرصات وأوقات كافية للحصول على الدروس الدينية والدراسة الأخلاقيّة.

٣) النهضة التربويّة

والنشاطات التعليميّة التربويّة تحت جمعية العلماء حوّلت مسلمي كيرلا إلى أمّة نهضت فى مجال التعليم والتربية وتغلّبت سائر أصحاب الأديان المختلفة وعيّنوا فى مناصب عالية.

إن النظام التعليمي الذي تقبله الجمعية وتنفّذه قد جذبت انتباهات الحكومات وكبار التربويّين حتى تعتبر شهادات مدارسها الدينية شهادات القبول لعدّة مناصب حكوميّة. ونظرا إلى هذه النشاطات التربويّة منحت الحكومة الهنديّة المنح الدراسيّة للمدارس والإغاثات الماليّة بقدر كبير.

[١]. رواه الإمام أحمد بن حنبل في "باقي مسند الأنصار"٢٢٣٩١

وتنتظم هذه النظامات المدرسيّة فى ولاية كيرلا بأيدي العالم السنّي "كنجحمد الحاجي" (١٨٨٦-١٩١٩). وتاريخ حلقات الدروس العلميّة بالمساجد يرجع الى عهد الصحابة الذين جاؤوا الى كيرلا وكان الدرس الفنّاني مشهورا وفخورا لكيرلا حتى اعتمد عليه الطلاب حتى من خارج الولاية والهند.

وفى المؤتمر الذي عقّد فى "كوتيكاتور" قدّم السيّد فوكويا الرأي لتنسيق وتشكيل إطار لصفوف المدارس من المرحلة الأولى إلى العاشرة. ثم نشأت هذه الخطوة والبداية القيّمة نشأة مفاجئة عجبت الناس كلّهم وحسد أعداء الإسلام على تلك التنمية العاجلة.

والحين بلغ عدد المدارس فوق تسع آلاف، وطلاّبها يتزايدون بالآلاف، ومعلّميها فوق مائة ألف[١].

وفوق هذه الثورة المدرسية تجري تحت الجمعية عدّة من الكلّيات العربيّة الدينيّة والمدارس الإنجليزيّة حتى كلّية الهندسة أيضا.

٤) النهضة الروحيّة

وقد تطرّقت عدّة طرائق زائفة عن العقائد الإسلامية الصائبة إلى تراب هذه الولاية وأكثرها غربت قبل طلوعها بمعاملات ومعالجات جمعيّة العلماء الثابتة الناجحة.

والقاديانيّة تحت "ميرزا غلام أحمد" عندما بدأت المحاولات لإثبات جذورها هنا اقتلعتها عن أصالتها هذه الجمعية التى هي أعلنت أوّلا فى العالم بأن القاديانية خارج الاسلام.

[١]. "سمستا"(في اللغة الماليبارية)، لمحمد الفيضي

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- دائرة المعارف الإسلامية (في اللغة المليبارية)
- مسند أحمد، لأحمد بن محمد بن حنبل
- صحيح البخاري، للإمام البخاري
- باقي مسند الأنصار، لأحمد بن محمد بن حنبل بن هلال أسد، دار إحياء التراث العربيّ
- Sreedhara Menon (2008). Cultural Heritage of Kerala. D C Books
- سيرة حياة السيد علوي المنفرمي (في اللغة المليبارية)
- سيرة عمر القاضي: حياته وأعماله (في اللغة المليبارية)
- "جمعية العلماء"، لمحمد الفيضي (في اللغة المليبارية)

دور سيمانشال في ترويج الدراسات العربية والإسلامية

محمد زكريا*

مقدمة:

إن المنطقة الشرقية لولاية بيهار حظيت بمكانة مرموقة بين الأصقاع الأخرى من الهند في مجال العلم والفكر والمعرفة منذ قديم الزمان، وهي مازالت مركز أنظارالعلماء البارزين والمتخصصين.

لقد أنجبت هذه المنطقة كثيراً من الجهابذة والأدباء والكتاب والشعراء ورجال الدين والدعاة والمصلحين الذين قاموا بخدماتهم القيمة في حقول العلم والأدب والبحث والتحقيق، وفي الدراسات العربية الإسلامية، كما وقد ألّفوا كتبا جليلة القدر والأهمية في العلوم الشرعية الإسلامية وأسهمو في تنمية اللغة العربية إسهاماً محموداً وملحوظاً بجانب العلوم الأخرى، وذلك باعتبارها لغة القرآن والحديث.

ففي مجال الشعر ظهرت شخصية الشاعرالعظيم "وفاء الملكفوري"صاحب "حرف وفا"، والكاتب المسرحي"طارق جميلي"صاحب صوت الانهزام (شكست كى آواز)، والشاعرالحديث والكاتب الروائي" أحمد حسين شمس "صاحب صيحة الخيام الملتهبة (جلتے خيموں كى چينخ) وفي مجال البحث والتحقيق والتاريخ برزعلى أفق التاريخ الكاتب الشهير" أكمل يزداني" الذي يظل مشتغلا بالتأليف والتصنيف وأخذ المواد الدسمة من الكتب المأروضة. و في مجال الرواية تلوح شخصية الشيخ مشتاق أحمد نوري الذي ظل متحمسا في كتابة الرواية، كما برز الشاعرالمحنك الغزلي القاضي جلال الدين الهريفوري الذي

* باحث في مرحلة الدكتوراه، جامعة جواهرلال نهرو، نيو دلهي

قرض الشعر وله قصائد كثيرة بمناسبات شتى، وفي التزكية والتربية الروحية تتنور شخصية الشيخ منورحسين، والشيخ إمام الدين، والشيخ عابد، والشيخ إدريس رحمهم الله، وفي مجال العلوم العصرية من العلوم والاجتماع والتكنالوجيا تلمع أسماء البروفيسور محمد ظهير الدين، والبروفيسور محمد اشتياق من قسم الجغرافيا بالجامعة الملية الإسلامية بنيودلهي، والبروفيسور محمد غالب حسين من قسم النفسيات بالجامعة الملية الإسلامية بنيودلهي وهوصاحب المؤلفات الكثيرة، والدكتور جاويد أحمد من قسم التاريخ بجامعة على جراه الإسلامية. وبالإضافة إلى ذلك نجد كثيرا من الأعمال الأدبية والخدمات العلمية التي لا تزال تتجلى من أقلام هؤلاء المثقفين البارعين كأمثال البروفيسور محمد رضا، دين رضا، محمد رضا رامفوري، حسن رضا، رضي أحمد تنها، هارون رشيد غافل، والشيخ هاشم القاسمي، والشيخ منظر القديري، والشيخ فياض عالم الفيضي الندوي، والشيخ جميل أحمد الرحماني، والشيخ أسرارالحق القاسمي، والشيخ كبيرالدين فوزان القاسمي، والدكتور عبد الرقيب راهي، ومستر منوهر لال بسواس، والدكتور غويل، والشيخ طارق بن ثاقب، والكاتب القديروالمصنف الفذ الشيخ عبد الحق حقانى القاسمي.

الشخصيات البارزة في هذه المنطقة

الشيخ حفيظ الدين الفورنوي(م-١٣٤٥ه)

هو وحيد العصر، الشيخ الكامل، والمربي الفاضل مولانا حفيظ الدين، كان من الشخصيات الممتازة بمديرية فورنية ومؤسس زاوية رحمان فور، ولد في قرية "كنهريا "بمديرية فورنية، ونشأ بها في أسرة دينية علمية، تلقى تعليمه الابتدائي بقرية رسول فور ثم اتجه إلى"بتنه" وأكب على تحصيل العلم، وكان ذكيا مجتهدا صالحا، لم يلبث أن أصبح محبوبا لأستاذه، سافر إلى دلهي للدراسات العليا، وأخذ علم الحديث من الشيخ نذير حسين المحدث الدهلوي، وبايع خواجه لطيف علي الذي كان ناظرا و(خليفة) لزاوية"متن غهات".

يقول تلميذه وخليفته مولانا عابد حسين عن أحوال شيخه " كان الشيخ مولانا حفيظ الدين من الأولياء وأهل العشق والجذب والعلم، وكان نادرا وغريبا في كمال العشق وفي تحقيق العلوم الباطنة، ولا يوجد نظيره في هذا المجال من العصورالأولى حتى اليوم من الأولياء المتقدمين والمتأخرين، وقد ترك الشيخ وراءه العديد من الكتب والدراسات في الفنون المختلفة، ومن أبرزها:

حفظ السالكين: هذا الكتاب في التصوف، ومكتوبات لطيفي مجموعة رسالاته، وديوان لطيفي مجموعة من النظم والغزل، وكل أبياتها حافلة بأسرارالتصوف وحقائقها، وقام بنشرها الشيخ مولانا عابد حسين في عام ١٣٣٨هجرية.

تلك عشرة كاملة: كتب الشيخ رسالة صغيرة في إثبات وحدة الوجود، تحتوي هذه الرسالة على عشرة أبواب وعشرصفحات، لم يذكر تاريخ تصنيفه ونشره.

عجالة نافعه: هذه رسالة مختصرة مشتملة على المسائل الضرورية من الطهارة والصلاة والصوم، وتم تحريرها ونشرها في عام ١٣٢٩هجرية.

خدماته العلمية : قام الشيخ بترويج تعليم العربية، وبذل جهدا بالغا في إنشاء الصرح الإسلامي العربي في هذه المنطقة، أنشأ مدرسة في بيته برحمان فور، وهي تقوم منذ نشأتها بخدمة العلم والدين، وأكثر سلسلة تعليم علماء هذه المنطقة تصل إلى الشيخ مباشرا أوغيرمباشر، كما وقد أنشئت أربع مدارس باسمه، منها:

(١) مدرسة لطيفية رحمان فور

(٢) مدرسة لطيفى گانگى، مؤسسها خليفته الشيخ مولاناشرف الدين

(٣) دارالعلوم لطيفي كتيهار، أسسها تلميذه الخاص الشيخ مولانا عابد حسين، رحمه الله.

(٤) بحر العلوم، لطيفى كتيهار.

وبالجملة أن الشيخ حفيظ الدين كان من الشخصيات الجبارة لهذه المنطقة الذي لا يكتمل تاريخها من دون ذكره، وقد اعترف بعلمه علماء الهند الكبار، واشتهرالشيخ بلقب"

لطيفي"وقام بالتدريس في مدرسة سهسرام إلى مدة طويلة بإيماء شيخه ومرشده، ثم عاد إلى فورنية في أواخرعمره.

مولانا محمد إسماعيل رموزى الفورنوي (١٩١٢-١٩٧٥)

هوالعالم الجليل والشيخ الكبير محمد إسماعيل بن الشيخ أنظارعلى، ولد سنة ١٩١٢م في قرية ملكي بمديرية فورنية، أخذ تعليمه الأول بالمدرسة التنظيمية باراعيدغاه فورنية، وبعد التخرج في المدرسة العزيزية بهارشريف قام بالتدريس في المدرسة المتوسطة والعالية، كان عالما جليل القدر ورجلا ذا خلق حسن ورقيق الشعور، ومتضلعا باللغة العربية والفارسية واللغة الأردية كما كانت له براعة في الخطابة والكتابة، وظل مرتبطا بالمدرسة التنظيمية باراعيدغاه فورنية في آخرعمره، حيث قام بالخدمة مديرا، وكان مولعا بنشرالعلوم الدينية، وساهم في تأسيس العديد من المدارس، وأوصلها من البداية إلى النهاية، مثل مدرسة نور الإسلام وإسلام فور فورنية التي لا تزال تقوم بخدماتها الجليلة إلى يومنا هذا، وله مصنفات عديدة: (١) رموز الصرف في العربية (٢) مسلمان چمنى بازار(مسلموا قرية تشمني بازار) (٣) قواعد رموزى. انتقل إلى رحمة الله في ١٢ / أغسطس ١٩٧٥م بنوبة قلبية.

مولانا منور حسين الفورنوي (١٩٠٨-١٩٨٤)

هوالعالم الرباني المحدث الكبير الشيخ منورحسين بن منير الدين بن قيام الدين، ولد في قرية ألتاباري في ٢٨ مايو ١٩٠٨م، في يوم الأربعاء. أما مقره" التابارى" فهي قرية قديمة شهيرة تقع على بعد نحو١١-١٢ميلا من مدينة كشنغنج ، تلقى الشيخ العلوم الابتدائية في عدة كتاتيب قريته، وتعلم اللغة الفارسية من المولوي عبد الرحيم البردواني، وفي سنة ١٩٢٢م، التحق لتعليم العربية بالمدرسة المحمودية فورنية وهي أول مدرسة عربية في

المنطقة الشرقية، حيث تتلمذ على مولانا زبيرأحمد الدربهنغوى ومولانا عبد الواحد الجونفوري، وفي سنة ١٩٢٦م دخل مدرسة "مظاهر العلوم"سهارنفور لتلقى الدراسة العالية ونال شهادة الفضيلة سنة ١٩٣٢م.

وفي نفس السنة درس كتب الفنون، واختير مدرساً مساعداً بمدرسة "خليلية" فرع مظاهرالعلوم، وقام بالتدريس في" بوا كهالى" بهادرغنج إلى ١٩٣٧م، ثم وصل إلى دارالعلوم بديوبند سنة ١٩٤٠م، واستفاد من الشيخ حسين أحمد المدني، وبعد ما عاد من دارالعلوم عُيّن رئيس المدرسين في دارالعلوم كتيهار سنة ١٩٤١م، وبذل قصارى جهوده في تطويرالدراسات العربية والإسلامية والدعوة والإرشاد وإصلاح المسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة.

بايع شيخ الإسلام حسين أحمد المدني، وحج خمس مرات، ونال الإجازة والخلافة من الشيخ زكريا السهارنفوري رحمه الله، وكان عالما شهيرا وبارعا، زاهدا متواضعا منكرا لذاته، وأسس عدة مدارس، ومن أهمها: "دارالعلوم بهادرغنج" التي نالت قبولا وإعجابا في المناطق الشرقية الشمالية للهند ، وفي سنة ١٩٧٩م أسس مسجدا و مدرسة باسم دارالعلوم رحماني بمديرية أررية، وأقام مدرسة حسينية في قرية رشيد فور ألتاباري. لقد وردت سيرته الذاتية المتكاملة في كتاب" فورنيه كے دوولى"(وليان لمديرية فورنية) توفي الشيخ في ١٤ / مارس ١٩٨٤م ودفن في التاباري.

مولانا إمام الدين الفورنوي (١٣٤١-١٤٢٥ه)

هوالعالم النحرير، والشيخ الجليل، والواعظ الممتاز مولانا إمام الدين، ولد رحمه الله بقرية "كهتّه تولي"القريبة من "بهادرغنج"بمديرية فورنية، بالهند، في ١٠/ محرم الحرام عام (١٣٤١هجرية)، أخذ التعليم الابتدائي من قراءة الكتب الأردية والقرآن الكريم على الأساتذة بمدرسة قريته، ثم ارتحل للدراسة العالية إلى الجامعة الشهيرة "مظاهرالعلوم بسهارنفور"،

والتحق بها، وتلقى فيها شتى العلوم والفنون السائدة في مدارس شبه القارة الهندية من التفسير، والحديث وأصوله والفقه وأصوله، والمنطق والحكمة، والنحو والصرف، واللغة العربية وآدابها، واستفاد وتعلم من الشيخ المحدث الكبير والعالم الشهير زكريا الكاندهلوي، كما أنه تلقى العلوم من الشيوخ البارعين والأساتذة الماهرين في العلوم النقلية والعقلية بكل رغبة ونشاط، وجد واجتهاد، وامتلأ من نميرهم الفياض حتى برع في العلوم النقلية والعقلية، واتصل بالشيخ الكبير المربي الجليل الشيخ زكريا الكاندهلوي الذي كان من كبار المخرجين في التزكية والإحسان، وانقطع إليه مدة من الزمن يتشبع بروحه الدينية وينهل من منهله الروحاني، وتخرج منها.

بعد الحصول على المهارة والبراعة في العلوم الإسلامية والفنون الأدبية جلس على كرسي التدريس، وأخذ يلقي الدروس والمحاضرات على التلاميذ في شتى العلوم واللغات لاسيما اللغة العربية وآدابها. وبدأ رحلته التدريسية من دارالعلوم بهادرغنج، وهي أكبر الجامعات والمدارس الدينية في هذه المنطقة، وأدى مسؤولية التدريس والإفادة فيها حائزا على منصب شيخ الحديث إلى - أن وافته المنية - وكانت له رغبة خاصة في الشؤون الاجتماعية والقضايا القومية.

خلال إقامته بدارالعلوم بهادرغنج تولى إلقاء المحاضرات حول عناوين دينية في الندوات الإسلامية والحفلات الدينية، وظل الشيخ أستاذا محببا، كان يثني عليه جميع تلاميذه، وقد كان رحمه الله يملك قلما سيالا في الكتابة والتأليف، إلى جانب براعته في التدريس، وقد كان سخي اليد، رحب الصدر، متمسكا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم في القيام بعمله بنفسه، حتى في حال ضعفه ومرض وفاته، وكان صواما وقواما، وقافا عند حدود الله، ظل يستيقظ الليالي منذ شبابه حتى وفاته، وكان آلفا مألوفا، يحب ويتحبب.

بايع الشيخ إمام الدين رحمه الله الشيخ الرباني الجليل الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي عليه الرحمة في الطريقة القادرية والسهروردية والجشتية وحصل له إجازة سلاسل القرآن والحديث وأولياء الله الصالحين من فضيلة الشيخ الكاندهلوي.

لقد رزقه الله تعالى ذوقا رفيعا ورغبة صادقة في الأعمال العلمية الجذرية والشؤون الدينية المهمة التي تنفع الأمة الإسلامية في شتى نواحي حياتهم، وتعدلها مستقبلا زاهرا.

فقام بتأسيس بعض المنظمات والمعاهد والمجامع والمدارس، ومازال الشيخ يرأسها طيلة حياته إلى أن فاضت روحه إلى بارئها، وذلك باصطدام السيارة في طريقه إلى "سلي غوري"عام 4/أغسطس2004م.

مولانا عيسى فرتاب الفورنوي (١٩١٥-١٩٨٥م)

هو العالم الجليل والشاعر والأديب مولانا محمد عيسى بن محمد موسى بن محمد علي، أحد مشاهير الشعراء الفارسيين في هذه المنطقة، تنتهي سلسلة نسبه إلى أبي بكرٍالصديق، جاء آباؤها وأجدادها من بهار شريف وأقاموا في سواحل نهر"كوسي" في عهد والي الرئاسة سيف خان (١٧٢٢م - ١٧٥٠م).

ولد الشيخ عيسى في قرية رامفور بمديرية أررية، حصل على التعليم الأول في كتاب قريته، ساهمت أمه مساهمة بارزة في تعليمه وتربيته، ودرس العلوم الدينية في المدارس المتعددة، ثم دخل دار العلوم بديوبند في سنة ١٩٢٨م وتخرج فيها، ومن أشهر أساتذته شيخ الإسلام حسين أحمد المدني، وشيخ الأدب مولانا إعزازعلي، والعلامة إبراهيم بلياوي، والمفتي شفيع، ومولانا عبد السلام وغيرهم، وقد بايع شيخ الإسلام حسين أحمد المدني، بعد التخرج في دارالعلوم قام بالتدريس في المدرسة المحمدية إلى مدة قليلة، ثم صار مديرا بمدرسة قريته، وكان منقطع النظير في الشعر الفارسي والأردي ، وله مجموعات شعره وهي "بوستان براے دوستان" و" أرمغان سخن" ورنك وبو" وأكثر ما قاله من الشعر هو

في النظم والغزل والمثنوي، نجد في شعره التشبيه البليغ والاستعارة الرائعة، أعدّت أطروحة جامعية حول خدماته في الفارسية، توفي الشيخ في ١٣/ ديسمبر ١٩٨٥م ودفن في قريته.

العلماء البارزون المعاصرون للغة العربية وآدابها و مساهمتهم في إثراء اللغة العربية في هذه المنطقة:

الدكتورعبدالحق القاسمي (٥مايو١٩٣٦-٧مايو٢٠١٢م)

هوالعالم الكبيروالمؤلف الجليل والأديب القدير الأستاذ الدكتورعبدالحق بن شجاعت علي أحد العلماء والأفاضل من هذه المنطقة، ولد بقرية دريبهرمن مديرية دينا جفورالشمالية التي كانت تابعة لها إلى مدة مديدة.

نشأ الشيخ في حضن العلم والدين، كان أبوه مولانا شجاعت علي من العلماء الكبار ركزعنايته على تربية ابنه، قرأ الأستاذ عبدالحق أولا في بيته تحت رعاية أبيه، ثم التحق بدارالعلوم ديوبند، وتعلم فيها العلوم المتداولة، وأكمل الدرس النظامي، واستفاد من الأساتذة البارعين في العلوم العربية والإسلامية، وتخرج فيها سنة 1955م، ثم سافر إلى مصر، والتحق بجامعة القاهرة، حيث نال شهادة الليسانس في الأدب العربي الحديث سنة 1960م، والماجستير في الدراسات الإسلامية عام 1961م، والماجستير في الدراسات العربية عام1962م من نفس الجامعة، وظل محاضرا في الجامعة الإسلامية بطرابلس لمدة ثلاث سنوات (65-1962)م ، ثم رجع إلى دلهي وعُيّن محاضرا بالقسم العربي والفارسي بجامعة دلهي لمدة خمس سنوات (74-1969)م، ثم انخرط في هيئة التدريس بالقسم العربي بجامعة جواهرلال نهروعام 1977م حيث ظل فيها أستاذا ضيفا لسنة (78-1977)م، ثم أستاذا مساعدا لمدة خمس سنوات(ديسمبر82-1978)م، ثم أستاذا مشاركا لمدة تسع سنوات (من يناير1983-إلى يناير1996)م، ثم ترقى إلى منصب الأستاذية في

مايو2001م، بذل الشيخ جهودا مشكورة وقيمة في تدريس اللغة العربية وآدابها ونشرالثقافة الإسلامية العربية، وقد نال شهادة الدكتوراة من جامعة دلهي عام1987.

وفوق هذا له أعمال جليلة واسهامات قيمة في مجال الترجمة والإذاعة، فقام بالترجمة والإذاعة كمذيع ضيف بالوحدة العربية بالإذاعة لعموم الهند لمدة عشر سنوات (80-1969)م، وبالإضافة إلى ذلك قام بالترجمة الفورية في كثير من الهيئات والمجالس الحكومية والمؤتمرات الدولية والعالمية، كما عمل مترجماً كمذيع في السفارات العربية المختلفة من القاهرة وطرابلس ونيو دلهي. واختير رئيسا مؤسسا بمركزالدراسات العربية بجامعة جواهرلال نهرو، قد سافر إلى الدول العربية و الأوروبية والشرقية الجنوبية.

أما أهم مؤلفات الأستاذ عبد الحق رحمه الله فتتلخص في:

١- "الدراسات العربية في الجامعات الهندية الشمالية منذ الاستقلال" الذي نشر سنة 1989 .

٢- "المحاضرات على الأدب العربي الحديث" ونشرعام1991.

٣- "اللغة العربية الحديثة" نشرعام1986.

٤- "الدروس العربية الحديثة" نشرعام1989.

٥- "النصوص العربية الحديثة" نشرعام1988.

٦- "الدروس العربية المنتخبة للقراءة والكتابة والترجمة" نشرعام1991.

٧- "المحاضرات حول شؤون العرب" نشرعام1984.

مؤلفاته الأردية:

١- الأدب العربي الحديث،دراسة تحليلية، نشرعام 1986.

٢- قصص نجيب محفوظ (تحليل) نشرعام1990.

٣- النقد العربي الحديث، نشرعام 1999.

أما ترجماته ومقالاته العربية والأردية والإنكليزية فيناهزعددها خمسين.

كان أديباً خلوقاً لا يؤذي أحداً بكلامه، وكان بهي الطلعة عذب الروح حلو الشمائل مع صفاء في الرؤية وجودة في الذهن وحضور في البداهة، وكان أستاذا مثالياً مخلصا للطلبة.

أما تأليفه الدراسات العربية في الجامعات الهندية الشمالية منذ الاستقلال في عام١٩٤٧م، تحدث فيه الأستاذ الدكتورعبد الحق بن شجاعت علي عن الجامعات العصرية في شمال الهند التي تولي الاهتمام بدراسة اللغة العربية وآدابها والتي لعبت دورا مهماً في تطويراللغة العربية وتنمية آدابها، ذكرالمؤلف في هذا الكتاب بالإيجاز تاريخ تأسيس كل جامعة والأوضاع التي أدت إلى تأسيس هذه الجامعات وخدمات أساتذتها في الأدب العربي، وفي مجال الدرس والتدريس والتأليف، ثم جاء بذكرأهم مؤلفاتهم بأسلوب يتميزبالسهولة والوضوح، وقد بدأ الدكتورعبد الحق كتابه بمقدمة بحث فيه المؤلف عن تاريخ الأواصر الهندية والعربية، ونزوح المسلمين إلى الهند، ودور بعض العلماء الكبار والأدباء البارعين في تطوير اللغة العربية وآدابها وإثراء الثقافة الإسلامية في الهند.

الدكتور إقبال حسين الندوي(و١٩٥٠م)

ولد الدكتور إقبال حسين في عام ١٩٥٠م في مديرية كشنغنج، إقليم بيهار، أخذ العلوم الابتدائية في منطقته، ثم انتقل إلى دارالعلوم لندوة العلماء حيث قضى بضعة أعوام يدرس ويستفيد من كبارعلماء الدار، وحصل على شهادة الفضيلة في عام ١٩٧٠م، ثم التحق بجامعة لكناؤ، حيث حصل على شهادة الماجستير والدكتوراه في اللغة العربية وآدابها في عام ١٩٧٨م، بدأ حياته التدريسية كمدرس في دارالعلوم لندوة العلماء، ثم انتقل إلى الجامعة الإنجليزية واللغات الأجنبية حيدرآبادعام ١٩٨٠م، كمحاضر في قسم اللغة العربية وآدابها حيث لا يزال يتولى مسؤولية التدريس بكل حيوية ونشاط.

والأستاذ إقبال حسين يعد من أشهر رجال العلم والأدب في الهند لخدماته العلمية العظيمة المشكورة، فهو يقوم بخدمة اللغة وآدابها تدريسا وتأليفا، وهو يشتغل حتى الآن أستاذا فيها، نبغ في الترجمة العربية-الإنكليزية وبالعكس، والعربية-الأردية وبالعكس، وله قدرة فائقة فيها، ولديه خبرة التدريس، وقد نشرعدد من الكتب للدكتور إقبال حسين باللغتين العربية والأردية ، كما نشر له عدد كبير من المقالات بالعربية والأردية والإنجليزية في المجلات والجرائد والصحف الهندية والعربية حول مواضيع مختلفة متمسكا دائما بأسلوبه العلمي والأدبي ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ إقبال الندوي يمتلك ناصية البيان، ويتميز بأسلوب علمي رزين في الكتابة حول الموضوعات العلمية والأدبية، وله العديد من الأبحاث المؤلفات المنشورة، ومن أهمها:

(١) مناهج الدراسات العربية في الهند في العربية
(٢) الأدب العربي الحديث في الكويت في العربية
(٣) الأدب المغاربي في القرن العشرين في العربية
(٤) لمحات (مجموعة المقالات) في الأردية
(٥)عربى تنقيد مطالعه وجائزه (النقد العربى دراسة وتقييم) في الأردية
(٦) أفكار في الأردية
(٧) Classical Arabic Poetries: An introduction

عبد المتين السلفي (١٩٥٤-٢٠١٠م)

هوعبد المتين بن عبد الرحمن بن كليم الدين بن حفيظ الله، كان من الأعلام البارزين والدعاة العظام الذين بذلوا جهودا قيمة ومشكورة في نشر كلمة الإسلام إلى الناس كافة، ولد الشيخ عام ١٩٥٤م بقرية "بالا باتهر" في مالده، وتلقى تعليمه الأول في المدرسة الرحمانية بنغروا لابها كتيهارحيث كان والده مدرسا، وأشرف أبوه على تعليمه وقرأ الشيخ القاعدة

البغدادية والناظرة، ثم التحق بمدرسة نورالقمر دیناج فورالشرقی، وتعلم فيها الكتب الفارسية والعربية الابتدائية حوالي ست سنوات، ولتحصيل العلوم العليا وصل إلى جامعة مظهر العلوم بتنه مالده عام ١٩٦٧م والتحق بها في الصف "السنة الثانية من العالمية" وحصل على عدة شهادات من العالمية والفضيلة وممتازالمحدثين بالدرجة الممتازة. ثم سافر إلى بنارس والتحق بالجامعة السلفية عام ١٩٧٣م، ونال منها شهادة الفضيلة عام ١٩٧٤م، ثم سافر إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٩٧٦م والتحق بالكلية الشرعية وأكمل فيها الدراسة المشتملة على أربع سنوات، وأخذ شهادة الليسانس في الشرعية سنة ١٩٨٠م.

بعد تخرجه من المدينة المنورة تم تعيينه مبعوثا في إدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد، دهاكه، بنغلا ديش حيث قضى عشرة أعوام في الخدمات العلمية والدينية والدعوية والثقافية والتدريسية. وكان بارعا في اللغات البنغالية والعربية والأردية على السواء. وكان رئيس جمعية خريجي الجامعات في المملكة العربية السعودية، فكان لا يألو جهدا في توسيع نطاقها، وقد أصدر مجلة سنوية بإسم "صوت الخريجين" وكان مشرفا عليها، ويكتب فيها كلمات دعوية حول القضايا الإسلامية، وكانت له صلة قوية بعلماء العالم الإسلامي ولاسيما المملكة العربية السعودية، فهو يزورهم ويستفيد من تجاربهم العلمية.

مؤلفاته الشهيرة: خلال إقامته في بنغلاديش قام السلفي بترجمة سبعة كتب باللغة البنغالية ونسجلها في السطور الآتية:

(١) كشف الشبهات للإمام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله (الترجمة)

(٢) الأصول الثلاثة وأدلتها للإمام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله (الترجمة)

(٣) عقيدة كل مسلم للشيخ محمد زينو(الترجمة) (٤) العقيدة الطحاوية

(٥) وجوب العمل بالسنة وكفرمن ينكرها (٦) جزء من ترجمة معانى القرآن الكريم

(٧) الحج والعمرة والزيارة (٨)فضل رمضان وأحكام الصيام(٩) وأصل الدين هو التوحيد.

ومن مآثره النادرة هي إنشاء جامعة الإمام البخاري:

في عام ١٩٨٨م أسست جامعة الإمام البخاري بمدينة كشنغنج التابعة "لجمعية التوحيد التعليمية" فكانت الحاجة الماسة إلى تأسيس مركز ديني كبير في مثل هذه المنطقة، وقد تحققت هذه الحاجة لما تم تأسيس هذه الجامعة في هذه الدار، وبدأت الجامعة نشاطها ودخلت في مرحلة العمل والتطبيق، وذلك في شهرشوال عام١٤٠٩هجرية، وقد نالت الجامعة ترحيبا حاراً من جميع الأوساط العلمية والدينية في الهند وخارجها، وقد ركزت عنايتها بصفة خاصة على الأهداف التالية:

تدريس القرآن الكريم والسنة النبوية كالمصدرين الأساسيين للشريعة الإسلامية، ودراسة اللغة العربية وآدابها، والعلوم الإسلامية والاجتماعية، ونشرالعلوم الإسلامية الأدبية والاحتفاظ بالتراث الإسلامي، والاهتمام بتعميم اللغة العربية في الهند، وإعداد الدعاة الصالحين والاعتناء بناحية التأليف والطبع في مختلف اللغات العالمية المهمة، وإعداد الكتاب الإسلاميين الجامعيين بين الاعتزاز بالتراث الإسلامي، والرد على أعداء الإسلام والدفاع عن الدين، ومحاربة البدع والخرافات والعادات الجاهلية الفاشية في المجتمعات الإسلامية، وقد نجحت الجامعة رغم قصرعمرها في أهدافها التي تبنتها منذ أول يومها.

انتقل فضيلة الشيخ عبد المتين السلفي إلى رحمة الله عقب نوبة قلبية أصيب بها في قريته "نركتها" بمديرية كشنغنج بولاية بيهار(الهند)، وذلك في ١٧/يناير من عام ٢٠١٠م.

الدكتور محمد ثناءالله الندوي(و١٩٦٩)

ومن أعلام البارزين في العلم والأدب الدكتور محمد ثناء الله الندوي، ولد في ٢١-٢-١٩٦٩ببلدة سهرسه في ولاية بهار، تلقى العلوم الابتدائية في موطنه، ثم أخذ العلوم المتداولة، والأدب العربي في دار العلوم لندوة العلماء، وحصل على شهادة الماجستير والدكتوراة من جامعة عليكره الإسلامية، وعين محاضرا في هذه الجامعة، وهو يشتغل

حاليا على منصب الأستاذ المشارك في نفس الجامعة، قد اشتهر الدكتور في العصر الحاضر بعلو كعبه في اللغة العربية وآدابها ومهارته في الإنجليزية، ومقدرته على الأردية، وقد صدرت له مؤلفات في كل من هذه اللغات الثلاث. ومن أبرز آثاره في العربية:

(١) شعراء وجوديون من غرب آسيا، دارالآداب الإنسانية، عليكره،٢٠٠٣م

(٢)الاتجاهات الوجودية في الشعر العربي الحديث ،جامعة عليكره الإسلامية،٢٠٠٧م

(٣) مساهمة أوده في خدمة اللغة العربية وآدابها٠دلهي ،١٩٩٥م

الكتب الأردية:

(١)الإسلام والآداب الأوروبية: دراسة حول الشاعرالإيطالي دانتي، عليكره،٢٠٠٢م

(٢) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، توحيد ترست، كشنغنج،٢٠٠٤م

(٣) شيخ محمد عبدالله شخصية وتاريخ، عليكره، ٢٠٠٨م

الكتب باللغة الإنكليزية:

(١) The Arab Legacy in Latin Europe (Samia publications, Aligarh, 2003

(٢) The Arab- Romance Parnassus (Aligarh Muslim University,20006

وقد صدر من قلمه أكثر من مائة بحث ومقالة في موضوعات الأدب والفلسفة نشرتها مجلات إقليمية ودولية عربية وإنكليزية، إنه قدم أبحاثا في أكثر من مائة وعشرين ندوة ومؤتمراً إقليمياً ودولياً، كما نال تكريما من رئيس الجمهورية الهندية عام٢٠٠٦ م على خدماته المتميزة في اللغة العربية وآدابها. وله العديد من المقالات المتوفرة على الإنترنت .

فجملة الكلام أن الأستاذ ثناء الله من العلماء الشباب البارعين الذين يجيدون العربية والإنكليزية، وهو يتميزبميله إلى الفلسفة والقضايا المعرفية المعقدة، وله أسلوب فريد في الكتابة يجمع بين المتانة العلمية والدقة الفكرية.

الدكتور مجيب الرحمن الندوى(و١٩٧٢م)

هو مجيب الرحمن بن الحاج محمد إدريس، من مواليد 20/01/1972 في قرية كورسيل، مديرية كتيهار، بولاية بيهار، الهند، تعلم مبادئ القراءة والكتابة في مدرسة قريته، ثم دخل دارالعلوم لندوة العلماء لكناؤ حيث تعلم اللغة العربية ووسع ثقافته الأدبية والإسلامية، كان الدكتور طالبا مثاليا منذ نعومة أظفاره ومجدا في الدراسة، حصل على العلوم الإسلامية من الفقه والحديث والتفسير وغيرها بالجامعة الشهيرة " دارالعلوم لندوة العلماء"ونال شهادة العالمية عام 1988م.ثم التحق بقسم التاريخ بالجامعة الملية الإسلامية بنيو دلهي حيث أكمل البكالويورس في التاريخ عام 1991م، والماجستير في التاريخ عام 1993م.

والتحق بمركزالدراسات العربية والإفريقية، بجامعة جواهرلال نهرو، نيودلهي ونال شهادة الماجستير في الأدب العربي عام 1995م، وماجستير ما قبل الدكتوراة عام 1998م، بتقدير ممتاز عن أطروحته: تأثير اللغة الإنكليزية على الصحافة العربية: دراسة أعداد مجلة " العربي" لعام 1988م. ونال شهادة الدكتوراه عام 2004 م، عن بحثه بعنوان: "الموضوعات الاجتماعية في الروايات العربية والأردية (1950-1900) دراسة مقارنة" من جامعة جواهرلال نهرو، نيودلهي، وتولى التدريس في الجامعة المذكورة، منذ عام ٢٠٠١، وهولا يزال يؤدي مسؤولية التدريس بالجامعة حتى الآن.

التجارب والخبرات العملية:

عُيّن محاضراً بقسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة آسام المركزية، سيلتشار، الهند، منذ عام 1997 إلى 2001م.

يقوم حاليا بتدريس اللغة العربية وآدابها في جامعة جواهرلال نهرو، نيو دلهي، منذ عام 2001م وحتى 2006م بصفته أستاذامساعدا، وعين أستاذا مشاركا بها في 21 يوليو2006م. وهو لا يزال يشغل منصب الأستاذ المشارك بالمركز.

عضو الهيئات الأكاديمية:

هيئة دراسات الماجستيربالقسم العربي، جامعة آسام بشيلتشار إلى2011م، ومن ٢٠١١ إلى ٢٠١٤.

عضو المجلس الأكاديمي بجامعة جواهرلال نهرو منذ عام ٢٠١٣ وعضو هيئة Court بالجامعة.

عضو هيئة الدراسات العليا بمدرسة اللغات والآداب والثقافات بالجامعة.

جائزة رئيس الجمهورية المسماة "بادرايان وياس سامان": ومن حسن حظه أن الأستاذ قد نال تكريما من رئيس الجمهورية الهندية في عام ٢٠١٢م على خدماته المتميزة في مجال اللغة العربية وآدابها في الهند، باعتباره الأديب الشاب البارع.

الأعمال المترجمة:

قا م الأستاذ الندوي بترجمة الكتب الإنكليزية إلى العربية وهي في السطور التالية:

١."The idea of India" ل" Sunil Khilnani" (فكرة الهند)، طبع هذا الكتاب في عام2009 من قبل هيئة أبوظبى للثقافة والتراث ومركزالثقافة العربية الهندية، واسم الناشر: كلمة.

٢."The Habitations of Modernity" وصاحب هذاالكتاب"Dipesh Chakraborti"وترجم الشيخ إلى العربية بعنوان"مواطن الحداثة" ونشرته هيئة أبوظبى للثقافة والتراث عام ٢٠١١م.

٣. الصحافة العربية المعاصرة في ضوء تأثرها بالأساليب الإنجليزية، طبع عام 2004م، من قبل السيد جمشيد أحمد، مالويا نغر، نيودلهى، يتتبع هذ الكتاب أثر الأسلوب الإنجليزي على الصحافة العربية والتغيرات في أسلوب العربية بسبب التفاعل المتزايد للثقافة العربية والأدب مع الدول الغربية ولا سيما مع اللغة الإنجليزية.

مقالاته وبحوثه:

كتب الدكتورمجيب الرحمن مقالات عديدة باللغتين العربية والإنجليزية التي نشرت في الجرائد والمجلات العربية الهندية وهي في السطورالآتية.

1."محمود درويش، شاعر المقاومة والحب، نشر في مجلة "The World"، دبي، الإمارات، رقم الإصدار9 سبتمبر 2008.

٢. "القومية كما تنعكس في رواية عودة الروح " لتوفيق الحكيم " نشرت باللغة العربية ضمن أعمال الندوة العلمية التي نظمها قسم اللغة العربية ، بجامعة عليكره الإسلامية في 2008 .

3. "خصائص كتاب مدرسي جيد للطلاب الهنود" نشرت باللغة العربية في مجلة "ثقافة الهند"2007.

4. " Snatak (سناتك)" ترجمة لقصة باللغة الهندية، نشرت فى كتاب "فيشفا ساهيتيا تشونندا راشناين للدكتور تشوبى، عام2007م، بمركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو.

5. المراحل الابتدائية لتطور الرواية العربية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى" (الجزء الثالث) نشرت في جريدة "البعث الإسلامي"، لكناو، وصدرت في يوليو ،2007 .

6. " المراحل الابتدائية لتطورالرواية العربية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى" (الجزء الثانى) نشرت في جريدة "البعث الإسلامي"، لكناو، وصدرت في يونيو ،2007 .

7. "المراحل الابتدائية لتطور الرواية العربية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى" (الجزءالأول) نشرت في جريدة "البعث الإسلامي"، لكناو ، مايو،2007.13.

8. استعراض كتاب للدكتور أشفاق أحمد "مساهمة الهند في الأدب العربي خلال القرن العشرين" نشرت في مجلة "ثقافة الهند"، مجلد55، رقم2، 2004.

٩. عبقرية إدوارد سعيد نشرت في "البعث الإسلامي" لكناو، في يونيو،1995.

10. القضايا الاجتماعية في روايات بريم تشاند نشرت في "ثقافة الهند" ،المجلد 54 رقم، 3، 2003.

١١."إدوارد سعيد: عبقريات التنظير وفروسية ميدان الكفاح" نشرت في جريدة "الصحوة الإسلامية "حيدرآباد، المجلد51-52 ، في فبراير، 2005.

12. العالم الإسلامي بين الواقع والأسطورة نشرت في مجلة "إشاعت الإسلام الكلية العربية" ولاية كيرالا، فبراير، 2005.

١٣.(تذكار بمولانا أبو الكلام آزاد) نشرت في "ثقافة الهند"، نيودلهي ،المجلد 54 -رقم1-2 ، 2003.

14. (تأثيراللغة الإنجليزية على الصحافة العربية " نشرت في "ثقافة الهند" نيو دلهي، رقم،٤، ,١٩٩٨

١٥. "تعليم اللغة العربية في الجامعات الهندية، وفرص العمل :(الإيجابيات والسلبيات) نشرت ضمن أعمال الندوة العلمية التي نظمها قسم اللغة العربية ، جامعة آسام ، سيلتشار في عام 1999.

16. "سيد قطب: الحياة والإنجازات"، ريدينس ويوز ويكلي ، نيو دلهي، فبراير- مارس ,١٩٨٨

17. الإنسان"نشرت في جريدة "الرائد"، لكناؤ، مارس1987.

18.الإسلام فى العصر الحاضر، نشرت فى جريدة " الرائد"، لكناؤ، سبتمبر،1987.

الترجمات إلى العربية :

1. "لقاءات مع مولانا آزاد "نشرت في العدد الخاص بشخصية مولانا آزاد لمجلة "ثقافة الهند" المنشورة في 1989.

2. "مولانا آزاد وتصوره القومي" نشرت في العدد الخاص بشخصية مولانا آزاد لمجلة "ثقافة الهند" في 1989.

3 "الأدب والإسلام فى ميزان الواقع والتاريخ" نشرت في" البعث الاسلامي "، لكناو، أغسطس ، سبتمبر1988.

4.الأدب والإسلام في ميزان الواقع والتاريخ" نشرت في"البعث الإسلامي، لكناو، سبتمبر،1988.

الترجمات إلى اللغة الإنجليزية:

قام بترجمة المواد التالية من العربية إلى الإنكليزية و نشرت في عدد الذكرى السنوية الثلاثين لخليج تايمز، دبي، الإمارات، في٣٠، أبريل 2008.

1."الحب والعلاقات" التي كتبها عالية ماء العينين" (Maalainain)"، صفحة 232-233.

2. "الصندوق الأسود" الذي كتبه محمد فاهي، صفحة 231.

3. "شعر" الثورة "قصائد من العربية للشاعر الفلسطيني محمود درويش"والكاتب لم يذكراسمه، صفحة 254.

4. "الجوانب الشعرية في القصة الإماراتية" التي كتبها عبد الفتاح صبري،صفحة 248-249.

5. "الصحراء وحبيبته الساحرة" التي كتبها عالية ماء العينين (Maalainain) ، صفحة ٢٥٢ ـ ٢٥٣

الدكتور أشفاق أحمد الندوي(و١٩٧٣م)

هو أشفاق أحمد بن أحمد علي بن الحاج رضاء الله ، ولد فى 03/11/1973 في قرية كورسيل، مديرية، كتيهار، بولاية بيهار، الهند، أخذ مبادئ العلوم الدينية واللغتين الأردية والعربية في مدرسة "دارالهدى" كورسيل. وكان المرحوم المولوي إسماعيل (توفي عام

2008) أفضل أساتذته في مدرسة قريته، وهو لايزال يعتبره من أفضل أساتذته جميعا. ثم درس عاما في مدرسة بيلائماري، وعاما في المدرسة الرحيمية كتلاماري (كلتاهما في مديرية ماله، بنغال الغربية)، وعاما في بعض المدارس الإسلامية العربية في مئو، شرقي أوتربراديش، ثم التحق بدارالعلوم التابعة لندوة العلماء بلكنؤ عام 1986م حيث ظل يدرس العلوم الإسلامية والعربية أربعة أعوام، ونال شهادة العالمية عام 1990م، والتحق بقسم اللغة العربية للجامعة الملية الإسلامية بنيو دلهي عام 1990م حيث أكمل السنة الأولى من بكالويورس في الآداب عام 1991م. وفي نفس العام التحق بمركز الدراسات العربية والإفريقية، بجامعة جواهرلال نهرو، نيودلهي ونال شهادة بكالويورس في الآداب عام 1993م، وشهادة الماجستير في الأدب العربي عام 1995م، وماجستير ما قبل الدكتوراه عام 1997م بتقدير ممتاز. عن أطروحته : تطور النثر العربي في شمال الهند خلال القرن العشرين: دراسة تحليلية، ونال شهادة الدكتوراه عام 2002م، عن موضوع رسالته: مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين.

عضو الهيئات الأكاديمية:

هيئة الدراسات ما قبل الماجستير، جامعة آسام بشيلتشار.

هيئة دراسات الماجستيروالدراسات العالية، جامعة آسام بشيلتشار.

هيئة مدرسة اللغات للدراسات العالية، جامعة آسام بشيلتشار.

المجلس التنفيذي لاتحاد أساتذة جامعة آسام (2005-06)، بسيلتشار.

الجمعية التعليمية لوادي باراك، آسام.

هيئة مسؤولة لتصميم المناهج الدراسية العربية لجامعة إنديرا غاندي القومية في نيو دلهي.

ساهم بكل نشاط في إصلاح المناهج الدراسية للماجستير لقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آسام بشيلتشار.

ساهم في إصلاح المناهج الدراسية العربية للكليات الملحقة بجامعة آسام بشيلتشار في عام 2006.

المقالات:

(1) الطيب صالح:عبقرية الرواية العربية (بالإنجليزية)، مجلة بجامعة آسام، مجلد: 5، عدد: 5، يناير 2010، جامعة آسام، بسيلتشار، ص: 83-95

(2) المسلمون في آسام، مجلة الصحوة الإسلامية،دارالعلوم، حيدرآباد، نوفمبر 2009عدد: 61،ص: 45-52

(3) تطور اللغة الناغامية:من منظور تاريخي، مجلة ثقافة الهند،المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي، مجلد: 60 عدد: 3 2009 ، ص:118-129.

(4) سيد أبوالحسن علي الحسني الندوي: أشهر كتّاب العربية في الهند في القرن العشرين (بالإنجليزية)، مجلة جامعة آسام، جامعة آسام،سيلتشار، ولاية آسام، الهند، مجلد: 3، عدد: 3، يناير 2008 ،ص:51-63.

(5) الصحافة العربية في الهند، مجلة المجمع العلمي الهندي، المجمع العربي الهندي، جامعة عليكراه الإسلامية، عليكراه، الهند، مجلد 25، رقم العدد 1-2، 2005-2006، ص 56-63.

(5) المسلمون في مانيبور، مجلة الصحوة الإسلامية، دارالعلوم، حيدرآباد، الهند، يوليو 2006،عدد 54،ص 65-68.

(6) شمال شرق الهند: منطقة ثقافية متنوعة موغلة في القدم، مجلة ثقافة الهند، المجلس الهندي للروابط الثقافية، نيو دلهي، مجلد 55، عدد 4، 2004، ص 239-260.

(7) دورالهند في النثر العربي عبر القرون، مجلة ثقافة الهند، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي، مجلد 1-2، 2003، ص 53-71

(8) مساهمة العلماء في شمال الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين، مجلة ثقافة الهند، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيو دلهي، مجلد 49، عدد 1، 1998، ص 46-95.

(9)مساهمة (مولانا) آزافي التعليم (بالإنجليزية)،The Nation and the World ، الناشرالهندي المتحد، حضرت نظام الدين، القطاع الغربي، نيودلهي،مجلد9،عدد 212، سيبتمبر1، عام 2000، ص 22-25.

المؤلفات والكتب:

مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين، طبع في عام 2003 في ماكاف برنترس، 2827، بلبلي كهانه، تركمان كيت، دلهي-110006،ص: 400.

نفحة الهند: تراجم الشخصيات الهندية في الثقافة العربية الإسلامية، طبع في عام 2006 في برنتولوجي إنك، 2660، كوتشا تشيلان،دريا غنج، نيو دلهي-2 ،ص:10

المصدر والمراجع:

١- الدكتور أشفاق أحمد، مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين، الطبعة الأولى، 2003 ماكاف برنترس، 2827، بلبلي كهانه، تركمان كيت، دلهي-110006

٢- الدكتور أشفاق أحمد، نفحة الهند- تراجم الشخصيات الهندية في الثقافة العربية الإسلامية - الطبعة الأولى، 2006 م

٣ - - الدكتورعبدالحق شجاعت علي، الدراسات العربية في الجامعات الهندية الشمالية منذ الاستقلال في عام 1947م، نيودلهي

٤ - كبيرالدين فوزان، آ ينه فورنيه، (غيرامين وكاس سنستهاغنداواس)، فورنية

٥ - الدكتور محمد إقبال حسين الندوي، مناهج الدراسات العربية في الهند، حيدر آباد، الهند، الطبعة الأولى،٢٠٠٥ م.

٦ - أكمل يزدانى، روز نامه انسان، پورنيه نمبر، كشنغنج فورنية، سنة الطباعة، يناير 1955م

٧- أكمل يزدانى، پورنيه كے دو ولى، بهادرغنج فورنية، عام الطباعة،1، مارس 1984م

٨- بروفيسر طيب، جاده عرفان، سلطان غنج بتنه، ديسمبر1977م

٨- قمرشادان، تاريخ پورنيه ،سٹى پرنٹ ، دهلى 6، ڈگروا،1991م

١٠- أبو الكلام قاسمى شمسى، تذكره علماے بهار اول، شعبه نشرواشاعت جامعه إسلاميه قاسميه، بالاساته ،سيتا مرهى.

١١- عبد الحق حقانى القاسمى، رينو كے شهر ميں، زير اهتمام ،إداره دعوة القرآن، ڈوبا أرريا، موسم اشاعت- أكتوبر 2007م

الدراسات اللغوية

جَماليّات المثل والتّشبيه في القرآن الكريم

وأثرها في فكر جلال الدين الرومي

د/ خلدون سعيد صبح*

اعتمد جميع الشّعراء والكتّاب في إبداعاتهم على التشبيه والتمثيل وكان مرجعهم أسلوب القرآن الكريم الذي ضرب الأمثال البليغة والمتنوعة لتوضيح المشبَّه أو المُمثَّل له من خلال مثل أو مشبه به لتوضيح أفكارهم وتقريبها لأغراض بلاغية عديدة منها تزيين المشبه أو تقبيحه أو إمكانية وجود المشبه وإقناع المتلقّي بذلك، فتعدّدت الصور واغتنى خيال الشعراء، ونحن لا نلتفت إلى شعر شاعر إلا عندما يغرينا بصورة جديدة تسدُّ وتشبع فكر القارئ لتحوّل المشبه إلى صورة كائنة متمثلة أمامه تتحرّك أو تتجلّى شاخصة أمامه.

إنّ الباحث المتقصّي لأنواع المثل في القرآن الكريم سيكتشف أنّ أنواع المثل تتعدّد بتعدّد السياق الجمالي والمعنوي، فهناك المثل الصريح وهناك المثل الكامن، وهناك آيات خرجت مخرج المثل، وسنلاحظ أنّ طريقة السرد البلاغي لكلّ نوع من الأنواع السابقة تختلف بما يخصّ المثل، ولاشكَّ أنّ الأغراض العامّة للمثل القرآنيّ تعتمد على نمطين فإمّا أن يكونَ غرض المثل منفّرًا من قضيّةٍ يرفضها الدين، وإمّا أن يكونَ غرض المثل مرغّبًا في القضيّة الّتي يتحدّث عنها. وستكشفُ هذه الدراسة أنّ المثل القرآنيّ الصريح يعتمد على لغةٍ تتّجه نحو الاتّساع في المفردات والتفصيل في المشبّه به، فغرض المثل إيضاح الفكرة المُمثَّل لها من خلال المحسوسات.

* أستاذ زائر في جامعة جواهر لال نهرو، مركز الدراسات العربية والإفريقية، وأستاذ البلاغة، جامعة دمشق

أمّا المثل الكامن فسيعتمد على لغةٍ أقلّ تفصيلاً من لغة المثل الصريح لوضوح الفكرة فيه أكثر من المثل الصريح.

وفيما يتعلّق بالأمثال الّتي خرجت مخرج المثل فسنجدُها تعتمد لغةً مكثَّفةً تحمل الإيحاء والوضوح.

ولابدَّ من الإشارةِ إلى أنّ فكرة المثل في القرآن الكريم تختلف عن كتب الأمثال المعروفة في التراث العربيّ، فكتب الأمثال في التراث العربيّ تقوم على لغةٍ مكثّفة

تلخّص قصّةً قد تطولُ إلى صفحات، ولكنّنا في القرآن الكريم نقرأ أمثلةً لها طبيعتُـــــــــــها

داخل السياق القرآنيّ فتطولُ أو تقصر بما يتناسب مع طبيعة السرد في السورة القرآنيّة.

ولا يحلو المثل القرآنيّ إلاّ بفهم الجامع بين المشبّه والمشبّه به؛ فقوله تعالى: (مثل الّذين حمّلوا التوراة ثمّ لم يحملوها كمثل الحمارِ يحمل أسفارا)[١]، فالجامع المشترك بين اليهود والحمار هو عدم الفهم والاكتراث. فوجه الشبه أو الجامع بين المشبه وهو اليهود الذين أُنزل عليهم التوراة ولم يعملوا به وبين الحمير الذين نحمّلهم كتبا لكنهم لا يفهمون ما بداخلها هو عدم الفهم كما ذكرنا فجاء ذكر الحمار ليوضّح صورة اليهود في عدم العمل بأحكام التوراة.

الحكمةُ والمثل:

فرّق بعض العلماء بين الحكمةِ والمثل، فذكر أبو هلال العسكريّ في كتابه (جمهرة الأمثال) أنّ كلّ حكمة سائرة تُسمّى مثلاً، أمّا إذا كانت الكلمةُ صائبة وصادرة عن تجربة، ولكنّها لم

[١]. سورة الجمعة: ٥

تدُر على ألسنة، ولم تسرِ بينهم، فتسمّى (حكمة). فالمثل أعمّ من الحكمة من حيث أنّه جمعٌ بين أمرين: صواب الكلام وسيرورته، حتّى صار ممّا يُستشهد به ويتمثّل بمعناه.

وأصل المثل من المثول، وهو الانتصاب، والممثَّل: المُصوَّر على مثال غيرِه، يُقال: مثلُ الشيءِ: أي انتصب وتصوّر.[١]

أنواع المثل القرآني:

إنّ المتتبّع للأمثال القرآنيّة يلاحظ أنّها قد تأتي على إحدى صورٍ ثلاثٍ: وهي:

١- المثل الصريح[٢]: أي ما صُرِّح فيه بلفظ (المثل)، وهو كثيرٌ في كتاب الله تعالى، كما في قوله تعالى: (مثلهم كمثل الّذي استوقد نارًا)[٣]

وقوله تعالى: (ومثل الّذين كفروا كمثل الّذي ينعق بما لا يسمع إلاّ دعاءً ونداءً صمّ بُكمٌ عميٌ)[٤]

وقد ورد هذا النوع من الأمثال المصرّحة في كتاب الله على ثلاثةِ أشكالٍ تعبيريّة يجمع بينها جميعًا التشبيه الّذي هو أصلها، وهذه الأشكال الثلاثةُ هي:

أ- التشبيه: وذلك عند وجود الطرفين: المُمثَّل له، والمُمثَّل به، أي ما يُسمّى في البلاغة: المشبّه، والمشبَّه به، وذلك كثير في كتاب الله تعالى، ومنه قوله تعالى: (مثل الّذين حُمّلوا التوراة ثمّ لم يحملوها كمثل الحمارِ يحملُ أسفارًا بئس مثل القوم الّذين كذّبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين)[٥]

---

١. مفردات ألفاظ القرآن، ص ٧٥٨
٢. في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ص ١٦٥
٣. سورة البقرة: ١٧
٤. سورة البقرة: ١١٧
٥. سورة الجمعة:٥

ومن المثل الصريح نجد قوله تعالى: (ومثل الّذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلةٍ مائة حبّة، والله يضاعف لمَن يشاء)[١]

وهذا المثل في الإنفاق جاء فيه المشبّه به مثالاً لا يُحصى من حبّات القمح، وقد جيءَ بصورة المشبّه به وهي صورة تحمل من العطاء والخير أكبر ما يمكن أن يتخيّل الإنسان من عطاء الطبيعة الحيّة لكي تكافئ المُنفقين وتقرّب فكرة الإنفاق وتحبّبها إلى النفس.

وهذه الأمثال لها أثرُها في التوجيه والإرشاد، ودليلنا في ذلك قوله تعالى: (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلُها إلاّ العالِمون)[٢]

واسم الإشارة (تلك) جاء هنا للدلالة على كلّ الأمثال الّتي وردت في القرآن الكريم، لأنّه يحمل معنى البعد ليشمل كلّ الأمثال الّتي وردت والعبر والمواعظ الّتي سُرِدت، ثمّ جاء البدل الأمثال لتوضيح وتأكيد لفظ الأمثال فجاء المُسند إليه مُعرّفًا مرّتين تارةً اسم إشارة وطورًا معرّفًا بأل، ثمّ جاء الخبر بجملةِ (نضربها) وفي هذا الفعل من الإيجاز ما يحمل معنى جملة (أي نذكرها لتكون موعظة ومثالاً يتّعظون بها)، ثمّ جاء الجار والمجرور (للناس) ليحمل معنى العموم، وتبعه أسلوب القصر للتخصيص (وما يعقلها إلاّ العالمون)، وهو إطناب من نوع التخصيص بعد التعميم والغرض البلاغيّ من هذا الأسلوب تنبيه العقول إلى فائدة الأمثال.

ب- الاستعارة: وهي كذلك ضربٌ من التشبيه، ولكنّه يقوم على طيّ أحد الطرفين، وذكر الطرف الآخر، وهو في العادة المُمثَّل به، كما في قوله تعالى: (وما يستوي البحران هذا عذبٌ فراتٌ سائغٌ شرابُه وهذا ملحٌ أجاج)[٣].

[١]. سورة البقرة: ٢٦١
[٢]. سور ة العنكبوت: ٤٣
[٣]. سورة فاطر: ١٢

وقد ضرب الله مثال البحر للمؤمن والكافر، المؤمن كالبحر العذب الفرات، سائغ شرابه، والكافرُ كالبحر الملح الأجاج، وقد طُوي ذكر الممثَّل له، وهو المؤمن والكافر لأنّ السياق يدلّ عليه، فهو كذلك على شكل الاستعارة التصريحيّة.

ج- القصّة: وقد يُضرَب المثل بقصّة من القصص، كضرب المثل بقصّة أصحاب القرية في قوله تعالى (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسَلون. إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذّبوهما فعزّزنا بثالث)[١]

وإنّ ما جاء في القرآن الكريم من قصص الأنبياء والمُرسَلين، وأنباء الأمم الماضية، وما أجرى الله عليهم من سنن كونيّة، ومن آيات العقاب والثواب، والخذلان والتأييد، وما حفلت به هذه القصص من شخصيّات الخير والشرّ، والمؤمنين والصالحين، وغير ذلك، ليُعَدّ جميعه أمثالاً ونماذج ضُرِبَت للعبرة والموعظة، وسيقَت مساق الحجّة والرهان، وتصوير الغائب، وتقريب البعيد، وتجسيد المعنوي في صورة المعاين المحسوس، حتّى تُشبَّه بها نظائرُها، وتُقاس عليها، بمقتضى التماثل والتقارب.[٢]

٢- المثل الكامن: وهذا النوع من الأمثال لم يُصرّح فيه بلفظ المثل، ولكنّها أقوالٌ موجزة حكيمة، تدلّ على معانٍ رائعة لها وقعها وتأثيرُها، وتعبّر عن صورة تماثلها، ويجمع بينهما جامع المشابهة والتصوير.

نقل السيوطي[٣] فيما يتعلّق بالأمثال الكامنة: سُئِل الحسين بن الفضل فقيل له: (إنّك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله: خير الأمور أوساطها؟ قال: نعم في

[١]. سورة يس: ١٣ - ١٤
[٢]. في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ص ١٦٧
[٣]. الإتقان في علوم القرآن: ١٠٤٥ - ١٠٤٦

أربعة مواطن: قوله تعالى: (لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك)،[١] وقوله: (والّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتّروا، وكان بين ذلك قواما)[٢]

وقوله تعالى: (ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك، ولا تبسطها كلَّ البسط)[٣].

وقوله تعالى: (ولا تجهر بصوتكَ ولا تخافت بها وابتغِ بينَ ذلك سبيلا)[٤]

٣- المثل المُرسَل: وهذا النوع عباراتٌ جرت مجرى الأمثالِ، إذ جَمعَت بين الحكمةِ والإيجازِ والبلاغةِ، وسارت بين البلغاءِ والفصحاء.[٥]

قال السيوطي: عقد جعفر بن شمس الخلافة في كتاب الآداب بابًا في ألفاظ من القرآن جارية مجرى المثل، وهذا هو النوع البديعيّ المُسمَّى بإرسال المثل. وهذا النوع كثيرٌ في كتاب الله، منه: قوله تعالى: (الآن حصحص الحقّ).[٦]

وقوله تعالى: (أليس الصبح بقريب)[٧]

الخصائص الفنيّة للتشبيه:

تختلف نظرة البلاغيّين والنقّاد القدماء إلى وظيفة التشبيه وفنّيّته عن نظرة المحدثين، فقد دارت وظائف التشبيه لدى القدماء – عامّةً – حول الإيضاح والبيان، أو المبالغة والغلوّ، أو الإيجاز والاختصار.

١. سورة البقرة: ٦٨
٢. سورة الفرقان: ٦٧
٣. سورة الإسراء: ٢٩
٤. سورة الإسراء: ص ١١٠
٥. الإتقان: ص ١٠٤٦
٦. سورة يوسف: ٥١
٧. سورة هود: ٨١

يقول ابن سنان الخفاجيّ مُفسِّرًا وظيفة الإيضاح والبيان للتشبيه: (والأصل في حسن التشبيه أن يمثّل الغائب الخفيّ الّذي لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد، فيكون حسن هذا لأجلِ إيضاح المعنى وبيان المُراد، أو يمثّل الشيء بما هو أعظم وأحسن وأبلغ منه، فيكون حسن ذلك لأجل الغلوّ والمبالغة[١]

أمّا وظيفة الإيجاز والاختصار فيعرضها لنا عبد القاهر الجرجانيّ إذ يقول: (وهل تشكّ في أنّه يعمل عمل السحر في تأليف المتباين حتّى يختصر لك بُعد ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المشئم والمُعرِق. وهو يريك للمعاني الممثّلة بالأوهام شبهًا في الأشخاص الماثلة، والأشباح القائمة، وينطق لك الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد ....[٢]

أمّا المحدثون فقد نظروا إلى التشبيه نظرة تختلف عن القدماء اختلافًا كبيرًا إذ أصبحت له وظيفة نفسيّة شعوريّة تخاطب الوجدان، ولعلّ من أوائل مَن نبّهوا إلى جمود القدماء في التمسّك بالصور المحسوسة الّتي تعتمد على العقل في عقد الصلة بين المشبّهات، ممّا أفسد الكثيرَ في صورهم التشبيهيّة، وأنّهم قد نسوا أنّ لهذا الأسلوب تأثيرً نفسيًّا هو الأستاذ الكبير عبّاس محمود العقّاد الّذي نقد تشبيهات أحمد شوقي الشعريّة، فكانت ثورةً على الصور التشبيهيّة القديمة بشكلٍ عام[٣]. ودعوة إلى التجديد وخلق صور جديدة تقوم على التأثير النفسيّ. فليس التشبيه – في رأيه – أن تذكر شيئًا أحمر ثمّ تذكر شيئين أو أشياء مثله في الاحمرار فما زدت على أن ذكرت أربعةً أو خمسة أشياءٍ حمراء بدل شيءٍ واحدٍ، ولكنّ التشبيه أن تطبع في وجدان سامعك وفكره صورةً واضحةً ممّا انطبع في ذات نفسك)[٤]

[١]. سر الفصاحة، ص ٢٥٣
[٢]. أسرار البلاغة، ص ١٣٢
[٣]. علامات في النقد (البلاغة والأسلوب)، مجلد ٧١، جزء ٦٧، ص ١٢٧
[٤]. كتاب الديوان، ص ٤٥١ وما بعدها

وإذا انطلقنا من كلام المحدثين لدراسة المثل القرآني نجد ملامحًا للغرض النفسيّ في تفسير القدماء، ففي قوله تعالى: (فمَن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومَن يُرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقًا حرجًا كأنّما يصَّعَد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الّذين لا يؤمنون.)[١]

يقول القرطبيّ في تفسير الآية وشرح التشبيه: (كأنّما يصَّعَد في السماء) قرأه ابن كثير بإسكان الصاد مُخفَّفًا، من الصعود والطلوع.

شبّه الله الكافرَ في نفورِه من الإيمان وثقله عليه بمنزلة مَن تكلَّف ما لا يطيقه، كما أنّ صعود السماء لا يُطاق. وكذلك يصّاعد وأصله يتصاعد، أدغِمت التاء في الضّاد، وهي قراءة أبي بكر والنخعيّ، إلاّ أنّ فيه معنى فعل شيءٍ بعد شيء، وذلك أثقل على فاعله. وقرأ الباقون بالتشديد من غير ألف، وهو كالّذي قبله، معناه يتكلّف ما لا يطيق شيئًا بعد شيءٍ، كقوله: يتجرّع ويتفوّق.[٢]

فالقرطبيّ يشبّه مَن ضلّ وكان قلبه مختومًا على الكفر بالإنسان الّذي يرفع إلى طبقات الجوّ العليا فيضيق صدره من قلّة الهواء، ويختنق كلّما سمع بالإسلام.

وقد شبّه المعقول وهو عدم قبول الإسلام والضيق النفسيّ غير المرئي بالمحسوس وهو صعود الإنسان إلى مكانٍ شاهقٍ وشعورُه بالاختناق.

إنّ المناقشة العلميّة تدلُّنا على أنّ عدم القدرة على التنفّس في الأماكن العالية والضيق الّذي ينتاب الروح والوصول إلى مرحلة الاختناق ترجّح قول القرطبيّ الّذي أورد في المثل السابق، فالمقتضى البلاغيّ من هذا التشبيه هو نقل المعادل الموضوعيّ لحالة الضال الّذي لا يصل إلى قلبه الإيمان، أو بمعنى آخر تجسيد حالة الكفر النفسيّة وتوضيحها ورسمها

[١]. سورة الأنعام: ١٢٥
[٢]. الجامع لعلوم القرآن ٧/ ٧٥

بصورةٍ تتمثّل في النفوس وتتكشّف، فالقرطبيّ يغوص في المعاني البلاغيّة والنفسيّة الّتي يعانيها الكافرُ أثناء نزوعه إلى التصعّد نحو السماء، ويتعمّق لغويًّا أكثر فينتبه إلى لفظ (يصّعد) فيفسّره موضِّحًا الدلالة النفسيّة الّتي يؤدّيها اللفظ، ويربط بين المعنيين اللغويّ والنفسي البلاغي من دون أن يتناول أحدهما منفصلاً عن الآخر.

وتتكرّر أمثلة التشبيه في القرآن الكريم فنجد قوله تعالى: (مثل الفريقين كالأعمى والأصمّ والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون)[١]

وإذا حلّلنا الآية السابقة نجد أنّ الأعمى والأصمّ يُقصد بهما الكافر، والبصير والسميع يُقصد بهما المؤمن، ففي هذا الموطن نجد المقابلة لتوضيح الفكرة، والفرق بين الضلال والهدى، ونجد أيضًا من علم البديع مراعاة النظير بين العمى والبصر وبين الصمم والسمع من جهة، ومراعاة النظير بين الحواس الخمس من جهة أخرى.

والدليل السرديّ في الآية على أنّ المقصود هما المؤمن والكافر هو ألف الاثنين في (يستويان) وهو استفهام خرج إلى النفي أي لا يستويان.

وأشار أبو حيّان إلى بعض المواضع في المثل القرآنيّ شُبِّه فيها الأعلى بالأدنى في مقام المدح لا السلب كقوله تعالى (مثل نوره كمشكاة).[٢]

يقول أبو حيّان: " وهذا التشبيه كلّه إنّما جاء باعتبار ما يتخيّله الناس من انتشار هذا النور وإلاّ فالنور المنسوب إلى الله أعظم من كلّ نورٍ يُتخيَّل، ولقد أحسن أبو تمّام في قوله وقد

[١]. سورة هود: ١١
[٢]. سورة النور: ٣٥

مدح ملكًا فشبّهه بعمرو في إقدامه وحاتم في كرمه وأحنف في حلمه وإياس في ذكائه، فقال[١]: إقدامُ عمرو في سماحة حاتمٍ في حلم أحنفَ في ذكاءِ إياسِ

فقيل له: شبّهت ذلك الملك بأجلافٍ من العرب، فقالَ مُرتجلاً[٢]:

لا تُنكروا ضَربي له من دونَه مثلاً شرودًا في الندى والباسِ

فاللهُ قد ضرب الأقلّ لنورِه مثلاً من المشـكاةِ والنـبراسِ

والنبراس: المصباح"[٣]

واعتمادًا على ما سبق نكتشف أنّ المثل في القرآن :

١- هو عنصر أساسيّ في التركيب الجماليّ، والمعنى العام لا يتمّ إلاّ به.

٢- وهو مُكوِّن يُكسب النصَّ روعةً، ويقرّب المعنى، وهو ضروريّ لأداء المعنى متكاملاً من جميع الوجوه.

٣- مهمّة المثل القرآنيّ تهذيب النفوس وترقيق الطباع.

٤- وأهمّ وظائف المثل الترغيب في الشيء أو التنفير منه.

٥- ومن مهامّه إثبات الخيال في النفس من خلال صورة المشبّه به أو ما في معناه.

٦- يستند التشبيه في المثل القرآنيّ على الإدراك الحسّي والمشاهد المرئيّة.

[١]. ديوان أبي تمام بشرح التبريزي: ٢/ ٢٤٦
[٢]. المرجع السابق، ص ٢ / ٢٥٢
[٣]. البحر المحيط، ٦/ ٤٥٤

٧- وتتكاتف جميه أنواع السرد اللغوي لإظهار لغة المثل في أعلى أساليبه.

والحقيقة أني أحببت أن أدمج هنا فكر جلال الدين الرومي واعتماده على طريقة السرد القرآني أحيانا في المثل فهو يشبه في كتابه المثنوي الروح في شوقها إلى خالقها بالناي الذي يبكي حنينا وشوقا إلى أمّه الشجرة . فلا تظن أن الصوت الجميل الصادر عن الناي هو صوت الفرح وإنما هو صوت الشوق والعشق الدائم إلى الغابة والشجرة التي قُصّ منها الناي هي أصله الذي يحنّ إليه الناي دائما فيبكي حنينا وشوقا واعتمد الرومي على هذا المثل لتبيين مدى شوق الروح إلى خالقها .

وفي هذا المقام أعرض كتابا بعنوان قصص مثنوي جلال الدين الرومي صدر في دمشق للدكتور مراد مولوي وأبدأ بتعريف المفكر الصوفي جلال الدين الرومي .

. . . يُعدُّ محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين البلخي من أهم مؤسسي الطرق الصوفية (بالفارسي: جلال الدين محمد بلخي) (ولد في بلخ ٣٠ سبتمبر ١٢٠٧ - توفي في قونية ١٧ ديسمبر ١٢٧٣) عرف أيضا باسم مولانا جلال الدين الرومي، هو شاعر و فقيه و صوفي فارسي مسلم، ولد في بلاد فارس و آسيا الوسطى ثم انتقل إلى الأناضول حيث عاش بقية حياته في قونية في عهد دولة السلاجقة الأتراك ، تركت أشعاره ومؤلفاته الصوفية والتي كتبت بلغته الأم الفارسية تأثيرا واسعا في العالم الإسلامي وخاصة على الثقافة الفارسية و الأردية و البنغالية والتركية، وفي العصر الحديث ترجمت بعض أعماله إلى كثير من لغات العالم ووجدت صدى واسعا جدا بحيث وصفته البي بي سي سنة ٢٠٠٧ م بأكثر الشعراء شعبية في الولايات المتحدة. وحين وفاته في عام ١٢٧٣م، دفن في مدينة قونية وأصبح مدفنه مزارا إلى يومنا، وبعد مماته قام أتباعه وابنه سلطان ولد بتأسيس الطريقة المولوية الصوفية والتي اشتهرت بدراويشها ورقصتهم الروحية الدائرية .

وقد صدر كتاب جديد حول أعمال جلال الدين الرومي في دمشق وهو بعنوان (قصص مثنوي مولانا جلال الدين الرومي) لمؤلفه الدكتور مراد مولوي جمع فيه القصص التي وردت في كتاب المثنوي لجلال الدين الرومي[١]. يبدأ الكتاب بمقدمة تمهّد وتوضح سمات هذا العمل، وتوجز حياة جلال الدين الرومي وإبداعاته، ولكن ما يلفت النظر في المقدمة أنها صِيغت بقلم رجل مبدع وهب حياته للفن والأدب والفلسفة والاجتماع، وكلما تقدم به العمر ازداد شباباً وتألقاً، هذه الصفات هي صفات الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي الذي أغنى المكتبة العربية بمؤلفاته الفريدة وصياغته الخلاقة. ومن آخر ما أصدره "الشيرازيون الثلاثة ومقالات أخرى".

ومما جاء في مقدمة الدكتور عبد الكريم اليافي: "جلال الدين الرومي أشهر شعراء الصوفية الذين ألّفوا في اللغة الفارسية، وصدحوا بألحان الحب الرفيع، فزانوا الأدب الفارسي بأناشيدهم، وزانوا بترجماتها ذرا الأدب العالمي ولا سيما كتاباه "ديوان شمس تبريز" و "المثنوي".

ويتحدث الدكتور مراد مولوي عن كتابه فيقول: "وهذا العمل قمت به بعد طول دراسة وصحبة لشعر وفكر جلال الدين الرومي امتدت أكثر من عشرة أعوام، وكان عملي في هذا الكتاب هو استخلاص أحداث كل القصص من ثنايا موسوعة المثنوي لجلال الدين الرومي لإيضاح نظرات هذا الإمام الصوفية وفلسفته الأخلاقية.

أما مصادر شعر جلال الدين في المثنوي فأولها: القرآن الكريم، وثانيها: قصص الأنبياء. وثالثها: الصحابة وكبار الصوفية والزهاد. ورابعها: الملوك والخلفاء والفلاسفة.

[١]. د. مراد مولوي، قصص مثنوي مولانا جلال الدين الرومي، مطبعة اليازجي، دمشق

وتكمن روعة القصص في محاورتها وجمال بيانها وتكامل صورها وروعة أمثلتها، وقد تم استخلاص هذه القصص من ديوان "المثنوي" لجلال الدين الرمي، وهذا الديوان يتضمن ما يقارب (٢٦) ألف بيت شعر، استطاع الباحث مراد مولوي بالجهد والتعب مع المتعة أن يخرج ما فيها من قصص ضمّنها جلال الدين الرومي في أشعار "المثنوي".

قُسّم الكتاب إلى ستة أجزاء، وكل جزء احتوى على عدد من القصص على النحو الآتي: الجزء الأول: ٢٨ قصة. الجزء الثاني: ٤٥ قصة. الجزء الثالث: ٢٨ قصة. الجزء الرابع: ٢٤ قصة. الجزء الخامس: ٣٤ قصة. الجزء السادس: ٣٣ قصة.

ولا بد لنا من تحليل بعض قصص الكتاب لتعريف القارئ على معانيها الصوفية والفلسفية والأخلاقية. فأسلوب القص الشعري لدى جلال الدين الرومي يعتمد على المثل والرمز والإشارة والمصطلحات الصوفية. وهي تحتاج إلى وقفة متأنية متأملة.

فمن قصص الجزء الأول قصة بعنوان "التلميذ الأحول" وغايتها العرفانية والأخلاقية التنبيه إلى الغضب والشهوة لأنهما يجعلان الرجل أحول، فلا يستطيع أن يرى حقائق الأشياء، فتصبح محجوباً عن حقائق ومعاني الفضيلة، وكأن جلال الدين الرومي يومئ برسالة للإنسان لكي يبتعد عما يجعله يقع في فخ الغضب ونتيجة لذلك يحل الختم على القلب. ومما جاء فيها:

ـ فالغضب والشهوة يجعلان الرجل أحول، وهما يصرفان الروح عن استقامتها. والقصة الثانية في الجزء الأول جاءت بعنوان "البقال والببغاء" والغاية العرفانية الصوفية فيها نقد القياس المعوج لدى بعض الناس وعدم القدرة على التفريق بين أنماط البشر ومعرفة منزلتهم، ويستخدم جلال الدين الرومي في هذه القصة بعض المصطلحات الصوفية مثل "الدّلق" وهي جبة صوفية يلبسها الدراويش، ومما جاء في قصة "البقال والببغاء".

ـ وهذا يأكل فتنطلق منه القذارة، وذلك يأكل فيصبح كله نوراً إلهياً.

ـ وهذا يأكل فيتولد منه البخل والحسد، وذاك يأكل فيفيض منه عشق الأحد.

ـ وليس يدري الفرق بينهما سوى صاحب ذوق. فهو الذي يعرف الماء العذب من الماء المالح.

ويتابع في القصة نفسها، فيستمد قصصه من القرآن الكريم، ويقتبس المعاني المشرقة بنور الإيمان من الآيات القرآنية المشرقة دائماً، إذا يقابل بين عصا موسى وعصا السحرة لتوضيح **المعنى العرفاني:**

ـ فسحرة زمن موسى، بدافع من الحقد، أمسكوا عصا مثل عصاه، وبين هذه العصا وتلك العصا فرق واسع، وبين هذا العمل وذاك العمل طريق عظيم.

والحقيقة أن المتمعن في القصص يستنتج أن جلال الدين الرمي كان صاحب أفق صوفي واسع لأنه استطاع أن ينقل معاني الصوفية أو الأخلاق السامية في ثنايا قصصه. أضف إلى ذلك إجادته العزف على أكثر من موضوع.. فمن علم الاجتماع إلى علم النفس إلى علوم القرآن إلى علم الحديث الشريف إلى علم الأضداد، وكأن الدوران المولوي أو الرقص المولوي كما نتداول تسميته كشف له تلك العلوم، فحصل هل الوصول والسبر وأمسك بأسرار الحياة والإيمان.

وفي الجزء الأول أيضاً نجد قصة التاجر الذي حمّله الببغاء رسالة إلى ببغاوات الهند حينما ذهب للتجارة، وتتعدد أهداف هذه القصة، لكن قيمة الحرية تعلو في القصة مع مبدأ مهم من مبادئ الصوفية هو الانسجام الروحي، وتتلخّص في التاجر الذي يمتلك الببغاء، وحينما يهمّ التاجر بالسفر يطلب الببغاء من حابسه التاجر أن يخبر ببغاوات الهند عن حاله وعن كونه أسيراً، فيسافر التاجر ويرى في الهند عدداً من الببغاوات في البرية.. وعند ذاك يخبرهم

رسالة ببغائه ونتيجة الخبر يصعق أحد الببغاوات بالخبر ويسقط ميتاً، وبعد عودة التاجر من سفره يعلم ببغاؤه بما حدث، فيسقط متظاهراً بالموت ويفهم رسالة من انسجمت روحه معه من ببغاوات الهند فيلقيه التاجر خارجاً ويهب الببغاء طائراً حراُ في السماء وبذلك يتعلم التاجر طريق الرشاد من الطيور.

وتفرّد جلال الدين الرومي باستخدامه الموسيقى في الرقص المولوي.. فنعم الموسيقا موسيقا الوحدانية الإلهية الموصلة إلى الإيمان، ومن أجل ذلك نراه يستخدم أسماء الآلات الموسيقية مثل: "القيثار" و "الأرغنون" ويكرر أفعال الغناء والعزف مثل: "أدق" و"يتغنّى".

وإذا انتقلنا إلى الجزء الثالث من الكتاب نجد قصة بعنوان: "جواب العاشق على العاذلين والمهددين" وفيها يعذله العاذلون ويهدده المهددون بسبب عشقه الروحاني الصوفي وينهي القصة بحجة دامغة تمثل الفيصل في قوله: ثم أصير عدماً والعدم كالأرغنون، يُغنّي لي قائلاً: "إنا إليه راجعون".

إنّ العبارة السابقة تعود بنا لتوضيح معاني الصوفية عند جلال الدين الرومي، فالإنسان في النهاية سيعود إلى خالقه، وما دامت العودة واقعة فعلى الإنسان أن يعود إلى نور خالقه في حياته، ويستطيع بهذا الرد أن يفحم كل الذين يهددونه ويعذلونه لعشقه.

وفي الجزء الرابع: نجد الدكتور مراد مولوي يبدأ هذا الجزء بقصة "الواعظ الذي كان يدعو للظالمين" وخلاصتها الأخلاقية الإيمانية أن الواعظ الذي يدعو للظالمين كان يدعو لهم لشيئين. الأول: أن ضلالهم جعله يعرف قيمة الإيمان والابتعاد عن الدنايا والفساد والشر، فوقاه الله شر أفعالهم.

والثاني: أن دعاءه قد يجعل الظالمين يبتعدون عن ضلالهم، وعلى لسان الواعظ يقول جلال الدين في القصة: ـ ولما كانوا صناع السبب في صلاحي فالدعاء لهم واجب عليّ أيها الأريب.

ونقلب صفحات كتاب "قصص مثنوي" مولانا جلال الدين الرومي" فنصل ونحن في شوق وتوق إلى قصة "المجوسي الذي قيل له: ادخل في الإسلام" في الجزء الخامس من الكتاب. ونكتشف أن جلال الدين يفصل في علم الأضداد والمتناقضات ليصل إلى معاني الإسلام والإيمان الحقيقيين، وعلم الأضداد من العلوم الفلسفية التي تبرز فيها الحقائق، وتتزين، وكما قيل: والضد يظهر حسنه الضد، فاجتمع الجسد المكون من التراب الحقير والروح ذات النور الإلهي يجعلان الإنسان يحيا حياة صحيحة مشرقة. يقول جلال الدين في هذه القصة:

ـ والروح بلا جسد لا تستطيع العمل، وجسدك بلا روح يكون بارداً متجمداً.

ـ وجسدك ظاهر، أما روحك فمخفية، ويهذين كليهما صحَّت أسباب الدنيا.

وينتقل بنا الدكتور مراد مولوي إلى قصة جديدة لجلال الدين في الجزء الخامس من الكتاب بعنوان: "خلق جسد آدم" وتتميز القصة بطريقة عرض الحدث والشخصية والزمان. ويتلخص مغزاها العرفاني في غلبة الرحمة على الغضب عند ذكر اسم الله والتمسك برحمته.. ويبرز القرآن الكريم مصدراً أساسياً في هذه القصة بما فيه من آيات تتعلق بالملائكة وحملة العرش وقصة خلق آدم من تراب الأرض كرها، حيث يأمر الله الملك جبريل بأخذ قبضة من تراب لكن جبريل عندما يتناول القبضة الترابية يجد أن هذه القبضة الترابية بدأت تتحدث بأسماء الجمال والرحمة داعية مستغفِرة، فسدت على جبريل السبل، وترك القبضة ثم عاد قائلاً لملكوته:

لقد ذكر الاسم الذي من هوله أيها البصير، تتوقف الأفلاك السبعة عن السير فاستحييت، وخجلت من اسمك.

وأي قدر لقبضة التراب، وأية قوة لها للوقوف أمامك، لكن الرحمة غلبت.

وعوداً على بدء فإن كتاب "قصص مثنوي مولانا جلال الدين الرومي" يحتاج إلى دراسة فنية مطولة مختصة في فن القصة، وما فيها من سرد وحوار ووصف وبيئة وشخصيات وطرق عرض الأحداث، والأهم من ذلك كله الأهداف العرفانية والأخلاقية الكامنة في القصص. ويبقى هدفنا في مقالنا هذا عرض محتويات الإصدار الأول للكتاب لتعريف القارئ عليه وتوضيح اعتماد المولوي على امثل القرآني وإن لم أتعمق في دراسة ذلك ولكن يبقى البان القرآني واضحا في لغة جلال الدين الرومي.

وأخيراً يجدر بنا الإشارة إلى أن غلاف الكتاب رسمت عليه حركات الدوران المولوية أو كما نقول الرقص المولوي، ومعهم الشيخ الذي يدير الحلقة وضارب الدف، وفوقهم الأفلاك وهي حركات يقوم بها المريدون للوصول واستمداد الطاقة والرحمة في السماء، فيأخذون بيد الخير والطاقة والنور، ويعطون بيد أخرى المعاني السابقة لأنفسهم والآخرين.. ومجمل القول إن جلال الدين الرومي تجاوز في شعره كل نطاق محلي لأنه ينظر إلى الحالة الإنسانية في شمولها، ويبحث عن الصفاء، وهذا ما حقق له القبول والانتشار في جميع البلدان العربية والهند وتركيا والباكستان وغير ذلك.

طرق تدريس اللغة العربية بين التقليد والحداثة

الدكتور عبيد الرحمن*

اللغة العربية من اللغات السامية ونشأت في الجزيرة العربية ولم تمض عليه حقبة من الزمن كانت فيها خاملة الذكر غير منطوق بها فهي إحدى اللغات القديمة والحديثة معا. وهي اللغة الرسمية لكافة الدول العربية ويتكلمها كثير من الناس في مختلف أنحاء العالم في آسيا وإفريقيا وأوروبا وأمريكا فهي تحتل المرتبة الرابعة في اللغات العالمية الأكثر تحدثا. وعرف سكان شبه القارة الهندية بما فيها باكستان وبنجلاديش، هذه اللغة الحلوة منذ العصر الجاهلي بفضل التجارة السائدة بين العرب والهند. ومع ازدياد العلاقات التجارية والثقافية والسياسية بين الشعبين الهندي والعربي أقبل المسلمون على اللغة العربية إذ هي الوسيلة المثلى للتعرف الشريعة الإسلامية . فعنوا بها عناية كبيرة فتعلموا وعلموا وقاموا بمساهمة قيمة في نشر وترويج هذه اللغة بإقامة كتيبات ومدارس ومراكز دينية اسلامية عربية وأسهموا مساهمة قيمة من كل أجزاء البلاد بما فيه كشمير وأقاموا الجوامع والمدارس الأهلية لتعليم الدين الحنيف واللغة العربية واليوم نرى آلاف مؤلفة من الكتاتيب والمدارس الإسلامية المنتشرة في طولها وعرضها.ومن بين هذه المدارس الدينية ما تعادل الكليات والجامعات وتقدمت الحكومة الهندية بإقامة أقسام عربية مستقلة في الجامعات الحكومية وكذلك تدرس هذه اللغة في بعض كليات العلوم الانسانية واللغات في العديد من الجامعات الشهيرة للبلاد.

* د/ عبيدالرحمن طيب، الأستاذ المساعد بمركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية اللغات، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي

أما طرق تدريس اللغة العربية فهي تدرس في كافة هذه المؤسسات بطريقة تقليدية فأولا المدارس الدينية التي هي معاقل العلوم الإسلامية والعربية وتدرس اللغة العربية لتعليم الدين الحنيف وفهمه وتفهيمه ونشره في الناس فالغاية والهدف من وراء تعليم هذه اللغة هي تعليم الدين وهي الوسيلة ليست الغاية. فيدخل طالب في سن مبكر ويبدأ تعلم النحو والصرف والشعر والنثر مع دراسة العلوم الإسلامية من الفقه والحديث والتفسير وما إلى ذلك ويتعلم اللغة العربية في خمس سنوات إلى عشر سنوات ويشدد على ضرورة إجادة اللغة لفهم الدين الحنيف والطريقة السائدة هي تعلم اللغة عن طريق الترجمة. فيدرس المعلم الطلبة الكتب النحوية والصرفية درسا درسا حيث يقرأ طالب بصوت عال ويشرح الأستاذ القواعد مع شرح الأمثلة المذكورة فيها. التمارين المدرجة في الكتاب هي من واجبات الطالب ثم يقوم المعلم بتصحيحه وهكذا يستمر الأمر إلى أن يدرس الطالب عدة كتب في النحو والصرف ويتقن قواعدها وإلى جانب ذلك يدرس دروسا من الشعر والنثر وتدريجيا يدرس الكتب الدينية وتكون الوسيلة هي اللغة الأردية والعربية .فهنا نلاحظ التشديد والتوكيد لا يكون على إتقان اللغة تحدثا وكتابة إذ الغاية تعلم الدين وثانيا لاتستخدم الأدوات الجديدة للتعليم مثل الصور والجرافيكس والمسجلات السمعية والبصرية والفيديو وما إلى ذلك.

أما المدارس والكليات والجامعات الحكومية حيث تدرس اللغة العربية فإن طريقة التدريس نفسها أي ما تسود في المدارس الدينية لتدريس النحو والصرف واللغة والشعر والأدب إلا أن هناك بعض الجامعات مثل جامعة جواهر لال نهرو وجامعة اللغة الإنكليزية واللغات الأجنبية بحيدرآباد التي تستخدم معمل اللغة لتعليم اللغة العربية ويتوقف الأمر تماما في هذه الجامعات على أستاذ المادة كيف يدير الأمر . كما أن هناك تقليد سائد على مستوى الجامعات أن الأستاذ يلقى محاضرة ثم يفتح المجال للنقاش وينتهي الأمر وأما بالنسبة لتدريس اللغة العربية كلغات أجنبية أخرى واتباع طرق التدريس لها كما تهتم الدول العربية حاليا فنفقدها كثيرا.

نظرة عابرة على طرق تدريس اللغات الأجنبية

تعلم لغة أجنبية ليس بشيء جديد ولا يزال الناس منذ العصور الوسطى حتى العصر الحاضر يتعلمون ويدرسونها بل ازدادت الرغبة فيها في عصر العلوم والتكنولوجيا هذا. و كذلك طرق تدريس لغة أجنبية ليست بجديدة بل طورها علماء اللغة والتربويون من خلال تجاربهم وخبراتهم طرقا عديدة لتدريس اللغات الأجنبية تحت مسميات مختلفة وهي في الحقيقة تطوير طريقة أو طرق من أحسن إلى أحسن.ويقول اللغويون مثل (Kelly 1969 و Howatt 1948) إن كثيرا من القضايا بتدريس اللغة ليست بجديدة ، وكانت الطريق لتدريس أية لغة قبل أربعة وخمسة قرون مرتبطة بإجادة اللغات الكلاسيكية المعنية مثل اللاتينية واليونانية أو السنسكرتية . وكان الهدف من وراء إجادتها وإتقانها بناء شخصية إنسانية (أخلاقية وفكرية) وإظهارها والتأثير في المجتمع فإن اللغات كانت تدرس أكثر لشرح وترجمة وتفسير النصوص الكلاسيكية ونقلها بصورة كتابية وكان التوكيد على تعلم النحو وتطبيق القواعد النحوية بطريقة جافة والتدريب على كتابة الجمل غير مرتبطة وكانت اللغة تحتل مكانة هامة في مقررات المدرسة الكاملة.

وانحطاط استخدام اللغات الكلاسيكية أدخلت اللغات الحديثة في مقررات المدارس المعاصرة ونحو ٦٠% من سكان العالم متعدد اللغات. وبوجهة نظر تاريخية ومعاصرة تعددية اللغات هي أصبحت norm بدلا من الاستثناء. (Richards & Rodgers ريتشاردس وروجرس ١٩٨٦م) ولذا تعلم لغة أجنبية أو لغة ثانية هي قضية عملية هامة ولا ينكر أحد أن اللغة الإنكليزية هي أكثر لغات العالم الأجنبية دراسة. ولكن طريقة تدريس اللغات الكلاسيكية لم تنته. حتى إننا نرى طريقة التدريس التقليدية سارية في تدريس اللغات الحديثة. وعلى سبيل المثال التحدث باللغة الأجنبية لم تكن هدفا وعملية التعبير كانت مقتصرة على قراءة الجمل جهريا. وكانت استخدام اللغة لمجرد ترجمة الجمل وليست

التواصل / النقل communication حتى منتصف القرن التاسع عشر. وهي الخصائص التي احتفظت بها اللغات الكلاسيكية. ولكن مع مضي الوقت ظهرت عدة طرق لتدريس اللغات ومنها :

١- طريقة التدريس بواسطة الترجمة والقواعد النحوية

Grammar-Translation or Traditional Method

لهذه الطريقة ميزتان هامتان (١) تدريس قواعد اللغة الثانية (٢) والتقنية العملية كانت الترجمة من وإلى اللغة المستهدفة. وسادت هذه الطريقة في تدريس اللغات الأجنبية والأوربية لقرن (١٨٤٠-١٩٤٠) وبصورة معدلة لا تزال تستخدم في بعض أجزاء العالم الغربي والشرقي ، حتى يومنا هذا . والممارسون لهذه الطريقة ، يدافعون استخدامها بصورة رئيسية في دراسة الأعمال الأدبية . وإضافة إلى ذلك، اكتسبت أهمية تعليمية إذ تثري العقل والتفكير بطريقتها الخاصة. وقلما كان هناك توكيد على التحدث باللغة الثانية. وتعلم اللغة بطريقة نحوية أدت طبعا إلى تعلم اللغة مبنيا على الكتب. وبما أن الترجمة – النحوية هي طريقة دراسة لغة تهدف اللغة أولا بواسطة تحليل مفصل لقواعد النحو، وتطبيق ذلك العلم على عمل ترجمة الجمل والنصوص في وإلى اللغة المستخدمة التي تؤدي بالضرورة إلى حفظ القواعد وشوهدت انه يتم التوكيد على قواعد النحووالصرف كجزء من هذه اللعبة التحليلية.واللغة الأولى تحافظ عليها كمرجع مستند لاكتساب اللغة الثانية"(Stern 1983) وانتقاء الكلمات يبني تماما على النصوص المقروءة المستخدمة. والكلمات تدرس بواسطة قائمة الكلمات ثنائية اللغة. ودراسة القاموس حيث تعرض مع بدائله مترجمة، وكانت الجمل هي الوحدة الأساسية للتدريس إذ أنها كانت من الممكن أن تترجم. كانت لغة الطالب الأم هي وسيلة التعليم في هذه الحالة . وهذه الطريقة يدافع عنها كاستراتيجية للطريقة ذات اللغتين حتى من قبل خبراء اللغات اليوم. وهناك توكيد بصورة

بالغة على تعلم القواعد في الهند. وهناك اعتقاد متفش بأنه يجب ألا تضحي الصحة في تعلم اللغة على أية أحوال .

٢- طريقة تدريس اللغة شفويا وفي أوضاع اصطناعية

Oral & Situational Language Teaching Practices

وفي وقت قصير جو التفاعل الاجتماعي في الغرب أبرز أهمية الاجادة التعبيرية في اللغات الأجنبية / الثانية. واقترح أنه يجب التوكيد على المعنى والقراءة يجب أن تدرس قبل المهارات الأخرى. ووجهت العناية إلى مشاهدة ميكانيكيات تعلم طفل لغة. والأمر كهذا جعل الخبير اللغوي (Predergast 1806-1886) أن يقول أن الأطفال يستخدمون إشارات الأوضاع ، الأجواء لتعبير الكلام / البيانات، كما شوهدوا يستخدمون الجمل والتراكيب التي حفظوها عن ظهر قلب من اللغة المستهدفة. وظهر منه شيئان (١) أنه يجب التمسك بالمعنى وراء اللغة من قبل المتعلم وهذا يمكن إذا توفر أمام المتعلم الوضع المناسب ذي دلالات وإشارات. (٢) ويمكن التحدث بواسطة الجمل المحفوظة عن ظهر قلب من الجمل والتراكيب المستخدمة في الحياة العادية. وهكذا ظهرت "المقررات البنوية" إذ أن بعض الأساليب البنوية كأدنى عنصر يعتبر ضروريا في تعلم لغة جديدة – والبنى قد حصل تقدما ملموسا في الممارسات مكونة السياق / السلسلة الأحداث والنشاطات / الأعمال المتعلقة .

ويعتبر اللغوي الفرنسي (F.Gouin1841-1896) رائد هذه الفكرة أي من محامي تدريس اللغة بطريقة وضعية situational language teaching في منتصف القرن التاسع عشر.

واسلوب تدريس اللغة المعروف بـ التعبير الوضعي تم تطويره من قبل اللغويين البريطانيين خلال ١٩٣٠ – ١٩٦٠م وحتى في عام ١٩٨٠ الأسلوب الشفوي أو تدريس اللغة بطريقة وضعية يوفر أساسا للكتب النصوصية والتخصصات تستخدم في يومنا . وهذه الطريقة والمبادئ الخاصة بهذا الأسلوب لاتزال تسيطر على الكتب النصوصية في عدد كبير من المدارس الحكومية في شبه القارة الهندية.

وهناك اسمان معروفان في توجيه هذه الحركة وهما Harold Palmer و A.S. Hornby الذين قادا هذه الحركة في بريطانيا في القرن العشرين.

والمبادئ الأساسية والممارسات لتدريس اللغة وضعيا وشفويا قد وفرت أساسا علميا للأسلوب الشفوي وفي بعض الأماكن هذا الأسلوب يختلف بشدة من الطريقة البريطانية . وكان بالمر يعتقد بأن الكلمات تشكل أحد أهم الجوانب لتعلم اللغة الأجنبية. وإلى جانب ذلك تم إدراك الحقيقة أنه يجب التوكيد على تنمية مهارات القراءة كهدف لدراسة لغة أجنبية في بعض الدول. ونرى أن Michael West لغوي كبير قد ساهم بصورة كبيرة في هذه الفكرة لدور مهارة القراءة في تدريس لغة أجنبية. وهكذا تطوير ذخيرة الكلمات تعتبر أهم جزء / عنصر لإجادة القراءة . وهذه الفكرة تمخضت عن اعتقاد لاختيار كلمات أكثر استخداما في النصوص المكتوبة وعلم هذه الكلمات يساعد بصورة كبيرة في قراءة لغة أجنبية . وهكذا أصبح اختيار الكلمات مهمة وكتاب مائكال ويست المسمى بـ A General Service List of English Words" مرجعا موثوقا به في تطوير المواد التدريسية.

إذا كان اختيار / انتقاء الكلمات على أسس علمية في اتجاه واحد فكان التركيز على محتويات نحوية للغة لمتعلم أجنبي . وبذلت جهود خاصة لتطوير فعاليات قاعة الدرس تتلاءم مع تدريس أساليب نحوية أساسية شفويا فإن اللغويين مثل بالمر وهورن بي والآخرين قاموا بتحليل اللغة الإنكليزية وتصنيف البنى /الهيكل النحوي في أساليب الجمل

وهكذا تم على الأقل بناء أساسيات لتدريس لغة أجنبية على قاعدة منهجية شاملة بما فيها محتويات نحوية ومعجمية. وأولا تضمن سياق اللغة لمتعلم أجنبي مبادئ الاختيار (الكلمات والنحو)، تدريج (تنظيم وتنسيق) والعرض (ممارسة التدريس) والطريقة الشفوية استخدمت الأساليب الشفوية كطريقة مباشرة ولكن الأخير قد انتقد بأنه ليس مبنيا على مبدأ وممارسة لغوية تطبيقية .

وقد تم إبراز بعض الأسس بطريقة التدريس هذه لأن تستخدم فاللغة المتحدث بها ينبغي خطوة بدء إذا يتم معالجة المواد شفويا ثم بشكل كتابي. واللغة الثانية أو اللغة المستهدفة تصبح لغة للاستخدام في الصف ، فإن المواد الأخرى للغة يتم ممارستها حسب الظروف. وفي نفس الوقت معالجة ذخيرة الكلمات و مواد النحو يجب أن تدرس على أساس من السهل إلى المعقد. وثم تأتي القراءة والكتابة إذا يتم حصول قاعدة نحوية ومعجمية بصورة كافية.

٣- Language Teaching & Linguistic Way

وفي وقت قصير تقدم الباحثون في علم اللغة بآراء جديدة لمساعدة مدرسي اللغة . والقادة المفكرون حملوا آراء المصلحين من اللغويين البريطانيين والألمانيين والفرنسيين مثل (Sweet , Parry, Victor) وتقدموا بها إلى الأمام وأضافوا مدخلات إلى عملية التحدث / الكلام. والمحادثة بدلا من الكتابة اعتبرت الشكل الأساسي للغة. دراسة علم الأصوات بإنشاء رابطة علم الأصوات الدولية International Phonetic

Association (IPA) عام ١٨٨٦م فتحت آفاقا جديدة للتفكير في تدريس اللغات الحديثة. وأدخلت تعديلات جديدة مثل دراسة اللغة المتحدث بها ، التدريب على علم الصوت للتعويد الجيد على النطق الصحيح (التلفظ)، التعريف وممارسة الأمثال السائرة والتراكيب

الخاصة بالتحدث، تدريس النحو بطريق جديدة. وحصل النقل الأكثر أهمية في تقديم وعرض المواد التدريسية الجديدة باللغة المستهدفة بدلا من اللغة الأم أو اللغة الأولى.

وهناك ظهر نوع من السباق في البيئة المعاصرة آنذاك حول الطرق العملية لتدريس لغة جديدة وقد دافع sweet 1899 كمبدأ لازم، اختيار / انتقاء دقيق للمحتوى الذي يدرس، تحديد حدود نقاط تدرس، تنظيم وترتيب تلك النقاط حسب المهارات الأربع لتعلم لغة، وتدوين تلك المواد على أساس من السهل إلى المعقد. وهذا مما ساهم في تطوير المنهجية ، وأدخلت إجراءات خاصة مثل تدريس اللغة ينبغي أن يكون عملا شفويا يعنى لازم أن يكون البدء بالتحدث أي بالكلام بدلا من النظر إلى المكتوب.والكلام الشفوي لازم أن يكون صحيحا حسب علم الأصوات لكي يصبح المتعلم متعودا على استماع ملائم قبل رؤية أشكال مكتوبة. والكلمات في السياق يمكن أخذها بصورة أحسن ويلي ذلك قواعد النحو التي تكون وظيفية النوع. ويتجنب الترجمة طالما أمكن ولو أن ترك استخدام اللغة الأم قد يكون لازما. وهكذا مما مهد الطريق إلى أسلوب طبيعي لتدريس اللغة .

٤- الطريقة المباشرة

Direct / Natural Method

تطبيق المبادئ الفطرية / الطبيعية في تدريس اللغة قد أدت إلى ظهور طريقة جديدة تسمى بـ الطريقة المباشرة / الطبيعية وهذه تؤكد على أن يجعل تعلم اللغة الثانية/ الأجنبية مثل تعلم اللغة الأولى مباشرة.

ويتم تطبيق هذه الطريقة عن طريق الأسئلة – الأجوبة. واستخدام اللغة الأم للمتعلم قد لايتطلب إذا ويتم نقل المعنى مباشرة بالمظاهرة، العمل، الصور، الأغراض / الأشياء، الحكاية، الإملاء، المحاكاة وغيره من أدوات وأساليب التقديم والعرض.

ولو أن الفعل / الإجراء يتضمن عرضا في الفصل حول "نص" تبذل جهود لأن يجعل الفصل مركزا لاستخدام اللغة . ويدرب المتعلم على أن يترك استخدام اللغة الأولى ، وهكذا نرى المبادئ والأسس في هذه الطريقة هي : (١) التعليمات ينبغي أن تكون في اللغة المستهدفة (٢) تنمو اللغة باستخدام الكلمات والجمل المحتاجة في الحياة اليومية. (٣) والتحدث القصير يجب أن يجعل بتبادل الأسئلة والأجوبة بصورة تدريجية (٤) النقاط الجديدة للتدريس يجب أن تدخل فيها قواعد النحو بصورة غير مباشرة. وكذلك تلفظ / نطق الكلمات الجديدة بصورة صحيحة لازم. وهذه الطريقة مبنية على علم الأصوات وقواعد نحوية تطبيقية أعدت بصورة علمية شريطة أن يعالج مدرسو اللغة هذين العنصرين بصورة مؤثرة.

٥- طرق القراءة

Reading Method

يؤكد في هذه الطريقة على القراءة وتنمية مهارة القراءة وتطوير ذخيرة الكلمات ودعا إلى ذلك التربويون الأمريكيون والبريطانيون وخاصة Michael West 1926 الذي أقام في الهند لفترة وتمخضت هذه الفكرة عن تعداد الكلمات التي تستخدم مرارا وتكرارا في التحدث وحفظها واستخدامها وقد ساعد ذلك كتاب Thorndike اسمه Teacher's Word Book (1921)

٦- Cognitive Approach to Language Learning

******

تعلم اللغة وعناصرها الأربعة:

وخلال استعراض طرق تدريس اللغة العربية في الهند وطرق تدريس اللغات الأجنبية توصلنا إلى نتيجة هامة أنه يجب التوكيد على تعلم اللغة بطريقة طبيعية ويجب الاستفادة من الطرق السائدة لتعليم اللغات الأجنبية إذا نريد إتقان اللغة العربية تحدثا وكتابة.ولقد أكد معظم الباحثين اللغويين أن اللغة تتكون من أربع مهارات أساسية هي : الاستماع (Listening) والتحدث (Speaking) والقراءة (Reading) والكتابة(Writing) . ولا يمكن إتقان لغة بدون تنمية كافة أجزائها بصورة ملائمة.

مهارة الاستماع :أبعادها النفسية وطرائق تدريسها :

الاستماع يأتي في مقدمة فنون اللغة الأربعة الاستماع والحديث والقراءة والكتابة فهو أسبق وجودا منها، فقد قامت أمم وبنيت حضارات وعاشت صروح ما قدر لها أن تعيش من غير القراءة والكتابة فالاستماع منطلق كل نشاط إنساني على امتداد التاريخ فلولاه ماأنجزت أعمال ولاتحققت غايات ولاحلت مشكلات ففي كل موقع من مواقع العمل في الحياة الإنسانية يتخذ من الاستماع دافعا إلى النشاط والعمل وسبيلا إلى الإنجاز فالفرد يؤدي واجباته في موقع عمله ومن خلفه صدى ما استمع إليه من توجيهات تدفع إلى إتقان العمل وإحسانه ويتحدث رائد المجموعة إلى إخوانه في المشروع فيبدأ تحرك الجميع نحو الغاية وينساب غناء الحادي خلف القافلة فيتجدد النشاط ويدفع إلى مواصلة المسير .

إننا نستقبل صباحنا بالاستماع ونودع ليلنا بالاستماع ويزداد رصيد علمنا وخبراتنا بالاستماع وقد أمدنا العصر بأسباب الاتصال فنستيقظ على صوت القرآن الكريم يملأ قلوبنا خشوعا للخالق جل شأنه. فالاستماع هو الطريق الطبيعي للاستقبال الخارجي لأن الأذن أسبق من العين فالوليد يسمع الأصوات ثم ينمو فيسمع الكلمات ويفهمها قبل أن يعرف

القراءة بالعين والبشرية بدأت بالأذن حين استخدمت ألفاظ اللغة وتراكيبها ولهذا يقول بشار بن برد:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا

والاستماع عماد كثير من المواقف التي تستدعي الإصغاء والانتباه كالأسئلة والأجوبة والمناقشات والأحاديث وسرد القصص، والخطب، والمرافقات،والمحاضرات، وبرامج الإذاعة، وفيه تدريب على حسن الإصغاء، وحصر الذهن، ومتابعة المتكلم، وسرعة الفهم وتبدو هذه الأهمية بارزة لطلبة الجامعات والمرحلة الإعدادية لأنها عماد الدراسة لديهم المحاضرات والاستماع إليها.

تؤكد الدراسات الحديثة أن الطفل يقف على عتبات المدرسة الابتدائية وقد اصطحب معه ما بين (٤-٥) آلاف كلمة تؤديها مئات من الجمل والتراكيب اللغوية. وقد أثبتت بحوث كثيرة أن الإنسان العادي يستغرق في الاستماع ثلاثة أضعاف ما يستغرقه في القراءة ووجد أن الفرد يستغرق ٧٠% من ساعاته يقظته في نشاط يتصل باللفظ يتوزع عنده هذا النشاط بالنسبة التالية ١١% للكتابة و١٥% للقراءة و٣٢% للحديث و٤٢% للاستماع .

وقد خاطر نتيجة استطلاع رأي المعلمين في نسبة ما يتعلمه أطفال المرحلة الابتدائية عن طريق الاستماع أنهم يتعلمون عن طريق الكلام بنسبة ٢٣%وعن طريق الاستماع ٢٥% وعن طريق القراءة بنسبة ٣٥% وعن طريق الكتابة بنسبة ٧% .

فالاستماع سبيل من سبل الإنسان لزيادة ثقافته وتنمية خبراته بالمجتمع وأن التعليم – بصرف النظرعن صوره وأشكاله – نظام حياتي للنشأ منذ بداية المجتمع الإنساني واستمر يلازمه حتى يومنا هذا .

لقد أدى الاستماع دورا مهما في عملية التعليم والتعلم على مر العصور وذلك في عصر كان الاتصال يعتمد فيه على الكلمة المنطوقة ولا يخفى ما للرواية الشفهية من فضل عظيم في نقل التراث العربي الإسلامي من جيل إلى جيل عبر الاستماع شعرا ونثرا إلى أن جاءت الطباعة في القرن الخامس عشر الميلادي.

وبالاستماع يتلقى التلميذ المقروء أوالمقول عن طريق الأذن وهذا النوع من القراءة يبدو عظيم الشأن في تعليم غير المبصرين وفي القراءة الاستماعية يعلم المعلم تلاميذه على الإصغاء الواعي إلى الموضوع يقرأ لهم أو حصة تلقى عليهم فيعتمدون على آذانهم في إدراكهم مضمون الموضوع أو إحداث القصة من غير ان ينظروا في كتاب ثم يناقشهم المعلم فيما سمعوا (عامر)

وبعد كل هذه فإنه ليس بغريب أن يقول المفكر العربي الكبير ابن خلدون (إن السمع أبوالملكات اللسانية) . فالاستماع شرط أساسي للنمو اللغوي بصفة عامة، وبدونه لا توجد اللغة بمعناها الاصطلاحي لدى الانسان. كما أن له مهارات كثيرة من الأهمية والتعقيد بحيث لا يمكن تنميتها مصادفة،لأنها تنمو بطريقة تلقائية دون تعلم وتدريب. (جبر)

مهارات الاستماع:

مهارات الاستماع تتمثل في: إدراك هدف المتحدث، وإدراك معاني الكلمات، وفهم الفكر، وإدراك العلاقات فيما بينها، وتنظيمها ، وتبويبها واصطغاء المعلومات المهمة واستنتاج ما يود المتحدث قوله وما يهدف إليه، وتحليل كلام المتحدث والحكم عليه وتلخيص الأفكار المطروحة، القدرة على تركيز الانتباه، والإستمرار فيه، والقدرة على تدوين الملاحظات، وتذكر النقاط المسموعة، والتميز بين الآراء والحقائق مع مراعاة آداب الاستماع .

وسائل التدريب على الاستماع:

١- أن يكون المعلم قدوة لتلاميذه وذلك باستماعه إليهم واصغائه في أثناء حديثهم.

٢- اتباع توجيهات لفظية يستخدمها المعلم مع طلابه مثل :أرجو الاستماع، أرجو عدم التحدث مع زميلك، عليك إعادة ما سمعت وتلخيصه وشرحه.

٣- التدرج في التدريب على مواقف الاستماع كأن يسألهم عن أسمائهم وعن اليوم أو عن أشكال التحية ، والمجاملات العادية والتهنئة في المناسبات.

٤- تهيئة التلاميذ لسماع قصة سهلة ، ومفهومة، وشائقة وقياس مدى فهمهم لها.

٥- تهيئة الأطفال تدريجيا لتمثيل دور المتحدث أو المستمع.

٦- متابعة المعلم تدريب التلاميذ في مواقف الاستماع في دروس اللغة العربية بالمطالعة والأسئلة التابعة لها وعن طريق القطع النثرية والشعرية المختار وعن طريق الإملاء وفي التعبير الشفوي والإذاعة المدرسية واللقاءات المدرسية.

٧- وضع التلاميذ في الأماكن الملائمة وضبط النظام والتقليل من الضوضاء.

٨- ربط المادة المسموعة بخبرات التلاميذ وتوضيح معاني الكلمات الجديدة وإلقاء الأسئلة المثيرة.

٩- مساعدة التلميذ على إدراك الهدف من الاستماع.

١٠- تحديد بعض البرامج الإذاعية أو التلفازية المناسبة للمنهج لتكون مجالا لنشاطات لغوية.

طريقة تدريس الاستماع:

لا يكفي تعليم اللغة على أنها حقائق علمية لتكوين مهارة ويتطلب تدريس الاستماع ما يأتي:

١- الإعداد: وفيه تتم مساعدة التلميذ على فهم طبيعة الموقف الذي سيستمع فيه أو إليه وتزويده ببعض أساليب الاستماع الناجح.

٢- الاستماع : في أثناء الاستماع يوجه المعلم التلاميذ إلى ضرورة استخدام المعلومات التي يحصلون عليها في أثناء الاستماع للتركيز على النقط البارزة المؤكد عليها في الإعداد ويقوم المعلم قبل أن يطلب من التلاميذ كتابة تلخيص ما استمعوا إليه بمناقشتهم فيه وشرح المصطلحات غير المألوفة.

٣- المتابعة : وتعني تقويم ثلاثة عناصر رئيسية هي: المتكلم، المستمع، الحديث

وهناك عوامل كثيرة يمكن أن تؤثر في تنمية مهارات الاستماع:

١- مادة الدرس: يختار المعلم درسا (حكاية) ثم يوجه الأسئلة ويناقش معهم .

٢- خطوات الدرس:

أ- التمهيد: يهيئ المعلم أذهان تلاميذه للمحتوى حتى يلهب حماسهم إلى استماعه وكان يسألهم الأسئلة عن الحكاية .

ب- أداء الدرس: يعطي توجيهات حول الاستماع :

١- التزام الهدوء والاستماع

٢- يلتقط التلاميذ الكلمات أو التراكيب التي لايفهمونها .

٣- محاولة فهم غرض القصة.

٤-السؤال عن الشيء غير المفهوم بعد الاستماع.

٥- يجري النقاش بين الطلبة ويعطي لهم الحرية لمناقشة الموضوع.

٦- يتلقى إجابات التلاميذ ويناقش الأخطاء ويصححها.

٧ – إذا يستخدم القرص / الفيديو فممكن له أن يعيد التسجيل مرة أخرى ويسأل في النواحي التي حددها ليحقق أهداف الاستماع.

٢- مهارة التعبير:

قالوا :"المرء مخبوء تحت لسانه"

ويكاد يجمع الباحثون على أن التعبير أهم فروع اللغة العربية وغايتها فهو وسيلة الإفهام، وأحد جانبي عملية التفاهيم، يساعد الفرد على الاتصال والتواصل مع الآخرين ، فيؤدي إلى تقوية الروابط الفكرية والاجتماعية على صعيد الأفراد والمجتمعات القريبة والبعيدة، والتعبير الجيد يساعد الفرد على تحقيق ذاته وشخصيته، فالفرد الذي يستطيع نقل فكرة ما إلى الآخرين بفصاحة وسهولة من خلال عبارة دقيقة موجزة ينال رضا الجميع، فتزداد ثقته بنفسه وقدراته.

والتعبير قسمان من حيث الأداء، **التعبير التحريري** وهو :إيصال الأفكار والعواطف للآخرين عن طريق الكتابة والقلم.

والتعبير الشفوي: وهو إظهار الفرد لأفكاره ومشاعره ونقلها إلى الآخرين عن طريق الكلمة واللسان.

إن مجالات التعبير الشفوي في الحياة أوسع بكثير من مجالات التعبير التحريري فقد تعددت مواقف التحدث بتعدد مجالات النشاط الحيوي للإنسان، كقاعات الدرس والبحث ومجالس العلماء والأدباء، ولقاءات الأفراد والجماعات في ميادين العمل، وفي المؤسسات على اختلاف وظائفها وأهدافها وخططها.

فالتحدث هو الدعامة الأولى للنشاط الإنساني ومن دونه لا حياة ، ووسيلته الكلمة التي هي سر الحق العميق، ووراء البغض العريق، الكلمة تشعل حروبا وتهدم صروحا وتبيد وجودا، الكلمة تحيل الصحراء جنات وارفة الظلال لولاها ما كانت الرابطة الخالدة بين أبناء الأسرة.

اللغة والتعبير:

إن الوظيفة الأساسية للغة ، هي التعبير عن الأفكار ، والعواطف ، والتبليغ من المتكلم إلى المخاطب، فاللغة بهذا الاعتبار وسيلة التفاهم بين البشر بالتعبير، وأداة لا غنى عنها للتعامل بها في حياتهم، وهذا المعنى يتماشى مع المفهوم الجديد في تدريس التعبير الذي يقوم على أساس النظرية الوظيفية في التربية التي جعلت المجتمع من الأسس المهمة التي تعتمد على مناهج التربية، وتشتق منها أهدافها، فضلا عن المتعلم وحاجاته ليكون قادرا على القيام بالمطالب، والوظائف التي يتطلبها المجتمع ، ذكر ابن خلدون في مقدمته إن الطريقة الفضلى في اكتساب اللغة هي :"أن تؤخذ سماعا بمعايشة أهلها الناطقين بها".

إن التعبير الشفوي هو من أهم أغراض دراسة اللغة ، وإتقانه بعد أقصى الغايات التي يجب على المعلمين أن يحرصوا على تمكين التلاميذ منها أو التعبير، وإن كان أحد فروع اللغة ، يعد الثمرة والمحصلة النهائية لتعلم اللغات، وأما باقي الفروع فهي روافد له، وسواقي ترفده، وتقيم أركانه ، وتدعم بناءه ، فالقراءة تعد مادة التعبير وأفكاره ، والنحو ضابط، والأدب المصدر الذي يثريه، ويغذيه والإملاء محصنة من أخطاء الرسم والكتابة، أما الخط فهو جمال هذا الرسم ورونقه .

مهارات التعبير الشفوي تتكون من عدة عناصر وهي كما يلي :

١- اختيار الألفاظ المناسبة للمعنى

٢- تنويع الألفاظ وعدم تكرارها بصورة متقاربة.

٣- اختيار الأفكار الملائمة للموضوع.

٤- عرض أهم ما يتعلق بالموضوع بموضوعية من دون إطالة أو إخلال.

٥- الإقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف والأدب العربي

٦- أصالة الفكر

٧- القدرة على استخدام النبر والتنغيم وتنويعه ليناسب المعنى.

٨- إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة.

٩- القدرة على استخدام الوصل والفصل والوقف للوصل والفصل والوقف في التحدث.

١٠- جهاز الصوت وعذوبته.

١١- الموائمة بين سرعة الحديث وانتباه المستمعين ومستواهم.

١٢- ضبط بنية الكلمات المنطوقة ضبطا صحيحا

١٣- الجراءة والثقة بالنفس

١٤- تنويع الحركات والإشارات المعبرة عن المعنى والابتعاد عن التصنع والتكلف.

١٥- الانطلاق في الحديث من غير لجلجة أو لعثمة أو توقف ينبئ عن عجز.

١٦- استهلال الحديث بالبسملة والتحية المناسبة.

١٧- مراعاة آداب الحديث باحترام الآخرين والنظر إليهم والجلوس جلسة المكترث وكذلك الوقوف واستخدام الألفاظ المناسبة الموحية بالاحترام للمستعمين.

١٨- التأثير في المستمعين وجذب انتباههم.

مبادئ تعليم التعبير:

هناك مبادئ ضرورية تراعي عند تعليم التعبير هي :

- يطلب من الطالب الكتابة عندما تتوافر لديه رغبة حقيقية في الكتابة ، فتشكل عملية اتصال حقيقية.

- ربط التعبير بمواد اللغة الأخرى وبمواد الدراسة كلها.
- تدريب الطلبة على ترتيب الأفكار وترابطها والتفكير المتسلسل ، تمهيد، عرض ، خاتمة.
- منح الطالب الحرية في التعبير.
- التشجيع على زيارة المكتبات، والمطالعة أو كتابة البحوث والملاحظات.
- الحرص على تجنب الخطأ النحوي، أو الصرفي ، أو الإملائي.
- التدريب على تلخيص كتب مختارة أو موضوع من مواد اللغة العربية.
- تشجيع الطالب أن يكتب ويتحدث عن أي موضوع يختاره، ويسعى لمتابعة مذكراته اليومية أو صور من الحياة العامة.
- التنويع في موضوعات التعبير وظيفية و ابداعية.
- اعتماد التصحيح التحليلي لكتابات الطلبة وأحاديثهم ، ليشعر الطلبة بالمتابعة ويتعرفون على مهارات التعبير.
- قناعة المعلم بأن أحاديث الطلبة وكتاباتهم لغرض التعليم والتدريب بالدرجة الأولى وليس للتقييم والنجاح والرسوب.
- ضرورة الاهتمام بالجوانب النفسية للطلبة، وما يعانونه من خجل ، لو تردد وفنية التعامل مع هذه الجوانب.

ضعف الطلبة في التعبير:

هناك أسباب عديدة لضعف الطلبة في التعبير أهمها:

- ضعف إعداد معلمين اللغة العربية أكاديميا وتربويا وقلة رغبتهم في مهنتهم مما ينعكس على أدائهم المهني ، في اختيار اساليب التدريس المناسبة ، ومدى مراعاة الفروق الفردية، واعتماد أساليب التقويم الملائمة ، وفشلهم في أن يكونوا قدوة لطلابهم في أدائهم اللغوي.

- اقتصار التدريب على التعبير في درس التعبير فقط، ولا بد أن يتسع ليشمل فروع اللغة الأخرى، والمواد الدراسية المتنوعة.

- لم يجر تصحيح التعبير وفق أسس موضوعية تؤدي إلى تنمية قدرات الطلبة التعبيرية.

- بعد الموضوعات المختارة لتعبير الطلبة في الحديث أوالكتابة عن واقعهم وعن رصيدهم المعرفي السابق.

- ضعف القاموس اللغوي لدى الطلبة من المفردات والتراكيب وندرة وسائل تنمية الذخيرة اللغوية لديهم.

- قلة المحفزات والفرص التي تمنح للطبة لإظهار قدراتهم التعبيرية وتطويرها كالمؤتمرات الخطابية، والمسابقات الأدبية ، والمهرجانات الشعرية، وكتابة البحوث العلمية.

- ندرة محفوظ الطلبة من القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة، والموروث الأدبي العربي.

مشكلة ضعف الطلبة في التعبير اللغوي :الأسباب والعلاج

يقول البعض : "إن اللغة ليست وسيلة تخاطب وتفاهم فحسب وإنما هي أداة وطريق فكر أي أن التفكير يأخذ لون اللغة ويتأثر بها ".

علاج ضعف الطلبة في التعبير

١- أن تتغير نظرة المدرسين إلى مادة التعبير وأن يمنح الوقت الكافي لممارسته والتدريب عليه ، بحيث لا تطغى عليه فروع اللغة والمواد الدراسية الأخرى.

٢- أن يثير المدرس في طلابه دافعية التعلم للتعبير والإقبال عليه والدوافع كثير منها اهتمام المعلم بإعداد دراسة والتخطيط بحيث يكون داعيا إلى إقبال الطلبة على ممارسة التعبير الشفهي والتحريري ومنها إثارة روح التنافس بين الطلبة أو تعزيز المبدعين منهم، وبث الحوافز الأدبية، وتوضيح أهداف تعلم التعبير السليم.

٣- أن تكون اللغة العربية الفصيحة لغة التعليم، ليس لفروع اللغة فحسب بل للمواد كلها، وأن يكون التزام تربوي من كل مدرس وهو التزام أخلاقي نحو الدين واللغة والقومية والتراث والمقومات الشخصية للأمة العربية ابتداء من المدرسة الإبتدائية وحتى الجامعة ومتابعة تطبيق التعليمات الصادرة حول ذلك ومحاسبة المقصرين في هذا الميدان وأن يعتمد نجاح الطالب إلى صف أعلى على نجاحه في مادة اللغة العربية.

٤- الاهتمام بإعداد مدرسي اللغة العربية وغرس حب اللغة في نفوسهم حتى لا ينتقل عجزهم وكراهيتهم إلى طلابهم وإدخالهم في دورات تدريبية تطبق فيها الأساليب الحديثة من عرض المادة، وفاعلية الطلبة، دور المدرس، وكيفية اختيار الوسائل التعليمية واستخدامها، وإقامة دروس نموذجية في المادة وإدخال مادة التعبير في مناهج أقسام اللغة العربية في كليات التربية .

٥- العناية بمكتبات المدارس وتشجيع الطلبة ومعلميهم على الإفادة منها وتوفير الكتب المنوعة والمناسبة لمستوى الطلبة الدراسي واللغوي وتذليل مشكلات الاستعارة وتشجيع إقامة النشاطات الأدبية في المدارس وجعل المكتبة درسا منهجيا وتنويع نشاطاتها لأهميتها القصوى في علاج ضعف الطلبة في التعبير.

٦- تزويد المدرسين بكتاب (دليل المدرس) يعرفهم بأهداف تدريس التعبير وسبل تحقيقها، ويرشدهم إلى طرائق تدريس المادة وأساليب تصحيحها .

٣- مهارة القراءة:

ومن بين فروع تدريس اللغة العربية القراءة فالقراءة عماد اللغة المكتوبة فضلا عن كونها وسيلة لنقل المعرفة فهي تختصر عاملي الزمان والمكان وتسهل عملية الاتصال وبناء على ذلك عدت القراءة أعظم ما لدى الإنسان من مهارات لأنها وسيلة اتصال الفرد بغيره وهي أساس كل عملية تعليمية ومفتاح لجميع المواد الدراسية، ولولا القراءة لما تثقف الإنسان

وحافظ على تراثه الفكري ولما تنوعت وسائل تقدمه وتطورت أساليب حياته، فالقراءة تزود الإنسان بالمعلومات وتفقه على تراث الجنس البشري لأن الانسان يستسقي معلوماته من ثلاثة ينابيع: التجارب الشخصية والحديث مع الناس والقراءة والأخرى أوسعها دائرة وأقلها كلفة وأبعدها عن الخطأ وهي من أهم الوسائل التي تدعو إلى التفاهم والتقارب بين عناصر المجتمع فضلا عن كونها وسيلة لجودة النطق وحسن الأداء وتمثيل المعنى وكسب المهارات القرائية كالسرعة والاستقلال بالقراءة والقدرة على تحصيل المعاني ويبين (Yorkey) أن الطالب الذي لايقوى على اختيار النشاط القرائي الملائم للحصول على المعلومات المهمة لا يستطيع تنظيم هذه المعلومات وتوظيفها وأنه سيفشل في استيعاب مضامين المقروء، وأن الطلبة من ذوي المهارات الضعيفة في القراءة يعانون من سوء الفهم وطول الوقت المخصص لانجاز المهمة القرائية.

ومن المعتاد أن هناك نمطين أو أسلوبين للقراءة هما القراءة الجهرية والقراءة الصامتة، ومع أهمية القراءة الجهرية في حياة الطالب ، إلا أن الصامتة أكثر أهمية له ، فهي تستخدم لأغراض كثيرة داخل المدرسة وخارجها، إذ يشير يونس إلى أنها تستخدم في حوالي ٩٥% من مواقف الحياة.

لكن القراءة الصامتة عيوبا كثيرة منها إن موضوعات القراءة المقررة في المنهج الدراسي لا تصلح للقراءة الصامتة فكلماتها مفهومة وعباراتها واضحة ومن تلك العيوب أن للقراءة الصامتة لا تشجع على التعليم التعاوني وتجعل الطلبة في موقف ذاتي ينعكس على حالتهم الاجتماعية والنفسية وتضعف قابلية الاستماع التي تنمي حاسة السمع ، فضلا عن أن القراءة الصامتة لا يهتم قارئها بتنمية حسن النطق وتمثيل المعنى وتقمصه ويدرك أخطاء حواسه أحيانا فيصبح بذلك قادرا على التجريد الذي يقتضي إدراك الأشياء البعيدة عن عالمه الحاسي، كما أنه يستطيع التصور العقلي السليم والإدراك الذهني الصحيح. إن استخدام

أساليب تدريسية جديدة في عملية تعويد الطلبة على القراءة الصامتة بأسلوب علمي سليم يعني إمكانية توصل المادة الدراسية المقروءة بأقل جهد ووقت إلى نفوس الطلبة وعقولهم.

علاج عيوب القراءة الصامتة:

يجب الاهتمام بالقراءة الجهرية إلى جانب الاهتمام بالقراءة الصامتة لكي يتلافى المعلم عيوب القراءة الصامتة من حيث تدريب الطلبة على النطق السليم وتقويم لسانهم على اللغة العربية الفصيحة.

يجب تخصيص دروس مستقلة للقراءة الصامتة وتخصيص كتاب مستقل لها لأن طبيعة القراءة الصامتة تختلف عن طبيعة القراءة الجهرية، فموضوعات القراءة الصامتة تميل للطول وتحتاج إلى وقت للتأمل.

يتطلب من المعلم أن يهيئ أذهان طلبته إلى أهمية القراءة الصامتة وأن يشجعهم على شراء الكتب التي تناسب تفكيرهم وتنمي فيهم هواية حب القراءة والاطلاع وأن يشجعهم على كتابة التقارير عن الموضوعات التي يقرؤونها.

٤ - مهارة الكتابة:

من المهارات الأربع التي يكتمل منها تعلم لغة الكتابة وهذا يشتمل كتابة بمعنى writing ولايمكن التعبير عن مشاعر ونقل أفكار إلا بالكتابة . والتدريب على الكتابة شيء مهم ولـــــــــها بقاء ودوام وكذلك مجالاته واسعة جدا جدا. ففي أي مجال يريد المتعلم الإجادة يجب الممارسة والتدريب فيها مثل الصحافة ، المقالة، القصة، الرواية وما إلى ذلك.

تحقيق المهارات الأربع للغة : ومن هنا أصبحت طريقة التدريس حجر الزاوية بين عناصر المنهج الأخرى التي هي الكتاب والمدرس والطالب. ومع ذلك فإنه لا يمكن تقييد المدرس

بطريقة واحدة أو بطرائق محددة فهو على ما يقولون (سيد الموقف التعليمي) فيتبع لذلك في الدرس الواحد أكثر من طريقة استنادا إلى ما يواجه المدرس أو الطالب من مواقف ذات أهمية في توضيح تلك المادة وهذا ما تسعى إلى تحقيقه الطريقة الحديثة في التدريس.

تعلم لغة أيا كانت يتكون من ثلاث عناصر : الأستاذ ، المتعلم أو الطالب والمقرر الدراسي.

ولكل منه دور هام ولكل منه خصائص وميزات مثل الأستاذ يشتغل بمهمة النبوة يعلمهم الكتاب والحكمة فعليه أن يتحلى بصفات النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وكذلك على الطالب يجب أن تكون فيه رغبة حقيقية للتعلم والنية الصادقة لتضحي بكل شيء في سبيل التعلم ويتزود بصفات أهل الصفة. وأما المقرر الدراسي لتعليم لغة فيجب أن يكون حسب الهدف من تعلم اللغة ومستوى الطالب.

-----×××××-----

بين اللغة والأدب والمعجمية

د/ قمر شعبان الندوي*

المعاجم اللغوية، هي المجموعة التي لها الفضل العظيم في الاحتفاظ بما تنطق الأمم فيما بينها من ألفاظ، وكلمات، وجمل، وبما تعبر عن حاجاتها، وضروراتها، في غدواتها، وروحاتها.

وكل لغة من لغات العالم، وكل أمة من أمم الكون مفتقرة إلى هذه الدواوين، والدفاتر، والسجلات اللغوية، لحفظ كلامها من الضياع، ولصيانتها من الخمول والنسيان. ولا توجد في الكون أمة ذات حضارة، وثقافة اتخذت هذه الذخائر اللغوية هجرا مهجورا.

وأما الأمة العربية، وصلتها بآدابها، وافتخارها بلغتها فليس بشيء يستغرب، فما لبثت أن زعمت أنها أمة أدب، وشعر، وأمة لغة، فيها الحيوية، وفيها صلاحية التعبير عن كل سلوك، وحاجة، وعمل، وهي قابلة للتعبير عن أحاسيس الحزن، ومشاعر الفرح، والغبطة، والسرور، والانطباعات عن مواقف النجاح، والرثاء عند الأموات، والقلق عند الفشل.

وقد زعم الزاعمون أن العربية ليست لها طفولة، ولاشيخوخة، إنما هي ولدت شابة ناضجة مكتملة، ذات قوة فاعلة، فيها العاطفة، والمنطقية، وفيها جمال يلتذ من نطقه اللسان، وتستعذب من سماعه الآذان، وأنها من أغنى لغات البشر ثروة لفظية، تستوعب، وتستقصي، وتكمل حاجات الأمة الحسية والمعنوية، ولديها ألفاظ دقيقة المفاهيم للتعبير عن كل صفة من صفات المخلوق، حتى للحيوانات من الأسد، وللخيل مئات الأسماء، فقد كتب الوافي أن للأسد خمسمئة اسم، وللثعبان مائتا اسم، وللعسل أكثر من ثمانين اسما، وللسيف

* جامعة جواهرلال نهرو، نيو دلهي، g.shaban82@gmail.com

ألف اسم[١]، ولشعر الإنسان عشرات، وللكواكب وللأسلحة الحربية كذلك، مما يدل على صفاتها وهيئاتها المختلفة.

واللغة العربية سبقت اللغات في مغازلة الحسان، والخرائد، إذ أنشد الملك الضليل امرؤ القيس:

تسلت عمايات الرجال عن الصبا وليس فؤادي عن هواك بمنسل

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجمل

وفي وصف الحصان، والركائب، فينشد الشاعر نفسه وصفا بالفرس:

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من علِ

حتى لم يترك الليل إلا وقد وصفه، وحلكته، فما أبدع هذا الوصف!

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي

وفي الحماسة في ساحات الوغى، وفي الافتخار بالقبائل، والآباء، إذ غنّى بمجد قومه الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم التغلبي :

أباهند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا

بأنا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قدروينا

حتى افتخر التغلبي بالطفل الرضيع من قبيلته:

إذا بلغ الفطام لنا صبيّ تخر له الجبابر ساجدينا

ثم انظر مدى بلوغ افتخار ابن كلثوم بقومه، وبسطوته، ونخوته، وجبروته:

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

وقال زهير في الحكمة :

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

[١]- عبد الواحد الوافي، فقه اللغة، مصر، ط: ٧، سنة الطباعة غير مذكورة، ص: ١٦٣.

ثم ظهرت في هذه الآونة صنوف من الأدب، من: الخطبة، والوصية، والكهانة، والحكاية التي يمكن أن تسمى: أدب المسامرة.

وأما الشعر فقد قيل في أغراض من: الوصف، والفخر، والهجاء، والحماسة، والمدح، والغزل، والتشبيب، والرثاء، فلكلٍّ لغة، وتعابير، وأسلوب، ومستويات.

وبعدما بعث النبي– صلى الله عليه وسلم - شاهدت الجزيرة العربية، بل العالم العربي، والعالم كله لونا جديدا للأدب، متصبغا بصبغة ربانية، وإسلامية، رفض ألفاظ الخلاعة، والمجون، ورحّب بألفاظ الحب، والمودة، والمساواة، والمواخاة، والعقيدة الصافية، والعبادة، والطهارة، والتزكية، والتربية الخلقية، والاستسلام لله الواحد الأوحد الفرد الصمد، بدل الاستسلام للطواغيت، واتباع الخرافات الجاهلية، فقد ولّد هذا الأدب ألفاظا من نوع جديد، لم يعرفها العرب فيماقبل عبر التاريخ، وقد تمحور هذا الأدب حول القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والخطب الإسلامية الدينية الخلقية، وأما أغراض الشعر فظلت باقية كما هي، ولكن قد تغيرت النيات، وتغيرت المضامين، فالفخر أصبح الفخر بالدين، والعقيدة، والمدح أصبح لمديح الرسول العربي المبعوث-عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم-، والحماسة تبدلت بحماسة دينية إسلامية، والهجو أصبح الهجو ضد من يحارب الإسلام، ورسوله-صلى الله عليه وسلم-، فلمع هناك نخبة من الشعراء الإسلاميين، من أمثال: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن زهير، إضافة إلى غيرهم من الصحابة البررة الذين خاضوا في معركة الشعر، لقد أثرى هذا العصر الإسلامي المكتبة العربية بالنصيب الأكبر، والأذخر للمفردات، والمصطلحات.

القرآن مع تفاسيره المتعددة الجوانب، والحديث مع الصحاح الستة إلى الصحاح التسعة، والشعر الإسلامي مع كل الأغراض التي قيل فيها، ثم الخطابة مع كل المستويات، كل في حد ذاته بحر للكلمات، ومحيط للألفاظ، والتعابير، والأمثال، وزد على ذلك ما تركه كل من اعتنق الإسلام من أعراب البوادي، والأرياف، والقبائل، وأما الذين دخلوا الإسلام من غير

العرب، فإنهم أيضا جاؤوا بتعابير، وألفاظ لغاتهم، وخلطوها بالعربية، مما أدى إلى توفير الكلمات الدخيلة، والمولدة، والمعربة.

ولم ينقطع مسير هذا الركب اللغوي هنا، بل ما انفكت متواصلة، حتى شاهدت الأرض شعراء النقيض، والشعر الإباحي الخليع، والغزل العذري العفيف، وشعر الجنون، من أمثال: العاشق الهائم قيس بن الملوح، المعروف بمجنون ليلى، والفرزدق، وجرير، والأخطل، وجميل بن معمر المعروف بجميل بثينة، وعمر بن أبي ربيعة، الذي فتح العين بعد وفاة عمر الفاروق-رضي الله عنه-، فقد قال فيه من قال، وأحسنه: "أي خير رفع، وأي شر وضع".

ثم ظهر شعراء البلاط، والاكتساب، والتوسل، الذين أثروا المكتبة العربية بأنواع منوعة للكلمات، والتعابير بشعرهم، لهم مديح، ولهم غزل، ولهم هجو، ولهم حماسة، ولهم افتخار، ولهم، ولهم، ولهم.....، ومن عمالقة هذا العصر الذين اكتظت بمآثرهم الفضفاضة والكثيرة المكتبات من جديد، أجدرهم بالذكر: المتنبي، وأبو تمام الطائي، وأبو نواس، وأبو فراس الحمداني، وأبو العتاهية، وأبو العلاء المعري، والبحتري، وبشار بن برد، والبوصيري، وابن هانئ الأندلسي، وابن زيدون، وغيرهم الكُثُر الذين خاضوا في هذا المضمار.

ثم ظهرت أنواع من الرسائل، والكتابة، والخطابة، فقد خطب الحجاج، وزياد بن أبيه، وكتب عبد الحميد الكاتب، وابن العميد، ثم ترجم عبد الله ابن المقفع، وألف الجاحظ، ودوّن القاضي الفاضل، ثم برز أصحاب المقامات، والحوليات، علاوة على البلاغيين، والنقاد، ولكل منهم أساليب، واتجاهات، ووجهات نظر، مع بعض الخلافات فيها حينا، والموافقات عليها لحين آخر.

وأما العصر التركي الذي عرف بعصر الانحطاط الأدبي فقد زاد على العربية أدبا من ضرب آخر، التكلف سمته، والعباراة المقفاة المسجعة ظاهرته، وعنصره، وظل هذا الأدب

يثري العربية بكلمات، وبعبارات، وبمفردات من نوع الموحشة المثقلة العسيرة، حتى نهض أصحاب النهضة الحديثة مع نظريات، واتجاهات، ونزعات فكرية حديثة، وبعطاءات أدبية، ولغوية من صنوف جديدة، من: الرواية، والقصة، والقصة القصيرة، والمقالة، والشعر، والشعر الحر، متناولا القضايا السياسية، والاجتماعية، والخلقية، والعقائدية، والدينية، وزودوا العربية بكمية هائلة من الألفاظ، والتعابير الحديثة، لقد ظهر في هذه الآونة الأدبية اللغوية كل من: الطهطاوي، والبارودي، والمازني، والمنفلوطي، وجبران، وخليل مطران، ومي زيادة، وأحمد فارس الشدياق، ومصطفى صادق الرافعي، وأحمد أمين، وطه حسين، ومحمد كرد علي، ومحمد حسين هيكل، وميخائيل نعيمة، وعباس محمود العقاد، ومصطفى كامل، وأمين الريحاني، وحافظ إبراهيم بك، وأحمد شوقي، وناصيف اليازجي، وسليم البستاني، وجرجي زيدان، ومحمد المويلحي، ومحمد تيمور، ويحيى حقي، وأمين يوسف غراب، ويوسف الشاروني، ومحمد صبحي أبو غنيمة، ونجيب محفوظ، وتوفيق الحكيم، ويوسف السباعي، وإحسان عبد القدوس، وعبد الرحمن الشرقاوي، وشكيب الجابري، وحنا مينة، وغسان كنفاني، والأرناؤوط، وعلي الطنطاوي، وعبد الحميد جودة السحار، والسيد قطب، ومحمد عبده، وعبد الرحمن رأفت الباشا، وسعيد رمضان البوطي، ومحمد الغزالي، وشوقي ضيف، والطيب صالح، وأبو الحسن الندوي.

ثم ارتبطت البلدان بعضها ببعض في صلات سياسية، وتجارية، ودبلوماسية، ودفاعية، وحربية، مما تولدت في العربية، مصطلحات، وألفاظ، وتعابير جديدة مخلوطة من الإنكليزية، والفرنسية، والألمانية، والهندية، في الحقول التجارية، والسياسية، والدبلوماسية، والاجتماعية، والتعليمية، والمعرفية.

وعصارة القول، إن اللغة العربية متشعبة، ومتراكمة، ومتكاثفة، ومتغزرة في مادتها، وفي بلاغتها، وفي شعرها، وفي خطابتها، وفي كتابتها، وفي قصتها، وفي روايتها، وفي مقالتها،

وفي رسالتها، فما أذخر العربية! وما أغناها! وما أوسعها! وما أدقها! وما أعمقها! وما أقدمها! وما أفصحها لغةً، وكلماتٍ، ومفرداتٍ!.

******

إن المعاجم نتاج مختلف الصنوف الأدبية، وثمرة تنوع المسائل الحضارية، وحصاد ألوان من القضايا الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والعلمية، والمعرفية، فما أحوج العربيةَ إلى المعاجم اللغوية مع هذه الغزارة الأدبية واللغوية في شتى حقولها!

فما لبثت أن أنجبت هذه اللغة جيلا نجيبا رشيدا، أخذ على كاهله وضع مخطط مترامي الجوانب، محكم القواعد، والبنيان للاحتفاظ بمفردات هذه المادة الغزيرة اللغوية الأدبية، ولتأصيل جذروها، ولإحياء تراثها المجيد بحياة نشِطة، وبقوة فاعلة، ولنقلها إلى أبناء بجدتها مدى الدهور، والقرون جيلا تلو جيل، وأمة تلو أمة، ولم يأل جهدا من اشتغلوا بهذه العملية الجليلة قط، حتى لم يأت عليهم حين من الدهر الذي تسرب فيه إليهم الوهن، أو تسلل إليهم الضعف في إنجاز مخططهم الدقيق المجهد المتعب، وفي تحقيق غرضهم المنشود العملاق.

لقد خرجت مدى القرون منذ مطلع فجر الإسلام أنواع من المعاجم، من غريب القرآن، وغريب الحديث، وشرح المصطلحات الفقهية التشريعية، و معاجم المعاني، ومعاجم المباني، ومعاجم الألفاظ، ثم تنوعت هذه المعاجم، وتشعبت، وتفرعت، وتراكمت، من لدن أول من خاض في التأليف المعجمي إلى يومنا الحاضر، حتى تأسس هناك العديد من المدارس المعجمية العربية على أسس تأليفية، وتكوينية، وتصنيفية مختلفة.

وأول ما يرجع إليه فضل التأليف المعجمي العربي، هو غريب القرآن على يد حبر الأمة، وترجمان القرآن، الصحابي الجليل سيدنا عبد الله عباس- رضي الله عنهما-، وتكون أول

كتاب في ذلك مما أجابه ابن عباس عما سأله نافع بن الأزرق عن بعض الألفاظ الغريبة الواردة في القرآن، وهو كتاب: مسائل نافع بن الأزرق في غريب القرآن، منسوب إلى ابن عباس، ثم توالى التأليف فيه ولايزال حتى عصرنا الحاضر، وقد ظهرت على حيز الوجود مئات المعاجم اللغوية في غريب القرآن، ومفرداته، انطلاقا من القرن الأول الهجري ومرورا بالعصر العباسي، والعصر العثماني، حتى العصر الحديث،

ومن أوائل من خاض فيه: أبوسعيد أبان بن تغلب الجريري(ت١٤١هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، ومالك بن أنس(ت١٧٩هـ)، وأبو الحسن النضر بن شميل (ت٢٠٤هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت٢١٠هـ)، وأبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة (ت٢٠٢هـ)، ومحمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ)، ومحمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، والمفضل بن سلمة بن عاصم الكوفي (ت٢٩٠هـ)، وأبو الحسن علي بن سليمان بن المفضل الملقب بالأخفش الصغير (ت٣١٥هـ)، وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت٣٢١هـ)، وأبو بكر محمد السجستاني (ت٣٣٠هـ) ، وأبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي(ت٤٢١هـ)، وأبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ).[١]

ثم ظهرت مجموعة لغوية أخرى متمحورة حول القرآن الكريم، وهي مجموعة كتب الوجوه والنظائر، ومن أوئل المؤلفات في هذا النوع: "الوجوه والنظائر"، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني(ت١٥٠هـ)، وأبو الفضل عباس بن الفضل الأنصاري الواقفي (ت١٨٦هـ)، و"تحصيل نظائر القرآن" لأبي عبد الله محمد بن علي المعروف بالحكيم الترمذي (ت٣٢٠هـ)، و"كتاب الأفراد" لابن فارس الرازي (ت٣٩٥هـ).[٢]

[١]- أنظر: أحمد الشرقاوي إقبال، معجم المعاجم، بيروت، لبنان، ط:٢، ١٩٩٣م، ص: ٤.
[٢]- نفس المصدر، ص: ١٩.

وأثناء ذلك أخرج اللغويون كتبا لغوية في شرح "غريب الحديث"، ومن أشهر من أسهموا في التأليف اللغوي عن ذلك: أبو عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى من القرن الثاني الهجري، وأبو الحسن النضر بن شميل المازني، وله غريب القرآن أيضا، وأبو علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب(ت٢٠٦هـ)، والفرّاء، ومعمر بن المثنى التيمي، ومحمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي (ت٢٣١هـ).[١]

هذه طليعة التأليف اللغوي المعجمي، والحجر الأساسي للصناعة المعجمية، والنواة الأولى للشرح اللغوي، يرجع الفضل كله إلى القرآن الكريم، أولا، ثم إلى الحديث النبوي الشريف ثانيا، وكان من عادة السائلين لمعاني القرآن الكريم عند عبد الله بن عباس أن يستشهد بالشعري العربي القديم، من شعراء القبائل المختلفة، وقد تحدث عبد الواحد الوافي في كتابه فقه اللغة عن هذه القبائل بالتفصيل، ماهي القبائل التي لغتها قابلة للاستدلال؟ وماهي القبائل التي لايقبل الاستدلال بلغتها أو بلهجتها؟، وما هو السبب؟[٢]

وتلته المعاجم اللغوية من نوع معاجم المعرّب، ومعاجم التصويب اللغوي، ومعاجم الموضوعات التي تنقسم إلى كتب، من: كتاب الوحوش، وكتاب الحشرات، وكتاب الخيل، وكتاب اللهجات، ومعاجم النوادر، ومعاجم الصفات، ومعاجم الأبنية، ومعاجم النبات، ومعاجم الأنواء والفلك، ومعاجم الأمكنة، ومعاجم الأدوات الحربية، ومن أهم هذه المعاجم التي ظهرت على حيز الوجود: "كتاب العالم في اللغة" لأبي القاسم أحمد بن أبان الإشبيلي، و"فقه اللغة وسر العربية" لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، و"المخصص" لابن سيده المرسي، و"كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ"، لأبي إسحاق إبراهيم الطرابلسي المعروف بابن الأجدابي من أواخر القرن السادس الهجري، و"الغريب المصنف"لابن سلام الهروي،

[١]- المصدر نفسه، ص: ٢٢-٢٥.
[٢]- عبد الواحد الوافي: فقه اللغة، مصر ، الطبعة السادسة، ص: ١٦٥.

و"الألفاظ الكتابية "لعبد الرحمن الهمذاني (ت٣٢٠هـ)، و"مُتخيّر الألفاظ"لابن فارس(ت٣٩٥هـ)[١].

وقد ظهر منذ منتصف القرن الثاني الهجري نوع جديد للمعاجم اللغوية وهي معاجم الألفاظ والحروف، تألفت على أساس حروف المعجم/حروف الهجاء على الترتبب الصوتي، والترتيب الألفبائي، وقد تأسست على الأنماط التصنيفية المختلفة لهذه المعاجم فكرة المدارس المعجمية عند المحققين اللغويين المعاصرين، من أمثال: أحمد عبد الغفور عطار، وحسين نصار، والوافي، والآخرين،

وأما المدارس التي تأسست على المنهجية التأليفية المختلفة فهي: "مدرسة الترتيب الصوتي"، على كتاب:"العين" للخليل، و"مدرسة الترتيب التقليبي الألفبائي" على:"جمهرة اللغة" لأبي بكر بن دريد(٢٢٣-٣٢١هـ)، و"مدرسة التقفية" على:"تاج اللغة وصحاح العربية"، لإسماعيل بن حماد الجوهري (٣٣٢هـ-٤٠٠هـ)، و"مدرسة الترتيب الألفبائي الجذري"، على:"أساس البلاغة" لمحمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ)، و"مدرسة الترتيب الألفبائي المنطوق"، كالمعاجم الإنكليزية الحديثة.

ثم ظهرت معاجم تابعة لكل هذه المدارس المعجمية بصورة كاملة أو بصورة تشبهها مع بعض الاختلاف ، فقد ألف أبو عليّ القالي (٢٨٠-٣٥٦هـ) معجمه:"البارع"، وأبو منصور الأزهريّ (٢٨٢-٣٧٠هـ)"تهذيب اللغة"، والصاحب بن عبّاد (٣٢٤-٣٨٥هـ) كتابه "المحيط"، وابن سيده(٣٩٨-٤٥٨هـ) كتابه "المحكم والمحيط الأعظم"، وأبو بكر الزُبيديّ (٣٧٩هـ) كتابه: "مختصر العين"على منهج وأساس كتاب"العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي.

[١]- الشرقاوي، معجم المعاجم، ص: ٤٢-١٤٥.

وظهر معجم "مقاييس اللغة" لأحمد بن فارس(٣٩٥هـ)، و"مجمل اللغة" لابن فارس نفسه، على أساس مدرسة الجمهرة، لابن دريد.

وأما المعاجم التي ألفت على أساس مدرسة التقفية للجوهري، فهي: "العباب الزاخر واللباب الفاخر"، للصغاني (٥٧٧-٦٥٠هـ)، و"لسان العرب" لابن منظور(٦٣٠-٧١١هـ)، و"القاموس المحيط" للفيروزآبادي(٧٢٩-٨١٦/ ٨١٧هـ)، و"تاج العروس من جواهر القاموس" لمحمد مرتضى الحسيني الزَبيدي (١١٤٥- ١٢٠٥هـ)، و "معيار اللغة"(في مجلدين كبيرين) لميرزا محمد علي محمد صادق الشيرازي (من القرن الثالث عشر الهجري).

وصدر "مختار الصحاح" لمحمد بن أبي بكر الرازي (٦٦٦هـ)، و"المصباح المنير" لأحمد بن محمد المقرئ الفيومي(٧٧٠هـ)، و"محيط المحيط" لبطرس البستاني (١٨٨٣م)، و"المنجد" للأب لويس معلوف (1908م)، و"متن اللغة" لأحمد رضا العاملي(١٩٥٣م)، و"المعجم الوسيط"، و "المعجم الكبير" (٤ أجزاء) لمجمع اللغة العربية، القاهرة، و "المعجم اللغوي التاريخي" للمستشرق الألماني فيشر على نمط مدرسة الترتيب الألفبائي الجذري لأساس البلاغة للزمخشري.

كما وقد ألف بعض اللغويين الهنود معاجمهم الثنائية اللغة على هذا النمط، من أمثال: عبد الحفيظ البلياوي، ألف "مصباح اللغات" (عربي-أردي)، ووحيد الزمان الكيرانوي، ألف "القاموس الوحيد" (في مجلدين ضخمين)، وقد اتبع هانس قير في تأليف معجمه الثنائي (العربي-الإنكليزي) هذه المدرسة المعجمية، وأما القاموس (العربي-الإنكليزي) المفصل الضخم "مد القاموس"(ARABIC-ENGLISH LEXICON) (في ٨ مجلدات) لإيدورد وليم لين (E.W.Lane) فهو أيضا خرج على الترتيب الألفبائي الجذري.

وهناك قائمة طويلة للمعاجم العربية الموحدة، والمزدوجة، والمثلثة التي ألفت على الترتيب الألفبائي المنطوق، ومن أهم ما ألف عليه: "معجمي الحي" لسهيل حسيب سماحة، و"التوقيف على مهمات التعاريف" لمحمد عبد الرؤوف المناوي، و"القاموس الجديد" للجنة من اللغويين في تونس، و"الرائد" لجبران مسعود، و"المنجد الإعدادي"، و" نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد " لإبراهيم اليازجي.

ومن المعاجم (العربية – الإنجليزية - الفرنسية) التي نالت القبول، والرواج فيمابين الأوساط العلمية اللغوية الأدبية في العصر الحاضر من أهمها:"المورد" لمنير البعلبكي، و"قاموس إنكليزي عربي" لوليم طمسُن ورتياب، و"قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية" (إنجليزي – عربي - فرنسي) لإميل يعقوب، وبسام بركة، ومي شيخاني، و"معجم وسيط علمي لغوي فني" (عربي – إنجليزي - فرنسي) لعبد الله العلايلي، و"القاموس السياسي ومصطلحات المؤتمرات الدولية (إنكليزي – فرنسي - عربي) لمجموعة من المؤلفين من: س. م. لحام (لغة عربية)، وفرح (فرنسية)، وم. ا. ساسين (إنكليزية)، وهناك بعض القواميس القرآنية الثنائية اللغة، مثلا: "قاموس ألفاظ القرآن الكريم"(عربي - إنكليزي) لعبد الله عباس الندوي، و"سلك البيان في مناقب القرآن" (عربي - إنكليزي) لجون بينرك ب. أ. (John Penrice B.A.).

وما فتئت مسيرة التأليف المعجمي على قدم وساق في كل الفروع، والحقول منذ القرن المنصرم، حتى ظهرت هناك معاجم متخصصة معاصرة، من أمثال: "المعجم القانوني" لسليمان حارث الفاروقي، و"معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية" لسموحي، و "قاموس مصطلحات العلاقات والمؤتمرات الدولية" لحسن عبد الله، و"معجم المصطلحات المالية والمصرفية" للأسيوطي، و"معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية" لأحمد شفيق الخطيب، و"المعجم الطبي الموحد" الصادر في اتحاد الأطباء الرباط، و"المعجم العسكري الموحد" الصادر عن جامعة الدول العربية.

وقد أسست الحكومات العربية والإسلامية وعاونت في تأسيس مجامع لغوية عنيت بتوظيف وتشغيل الباحثين والمحققين والنقاد اللغويين على إجراء بحوث وتحقيقات حول التراث العربي الإسلامي المجيد، وإخراج أعمالهم المحققة في ثوب قشيب لإحياء التراث، ولتعميم نفعه على المستويات العلمية والأدبية طوال العالم، ومن أهم هذه المجامع اللغوية التي نشطت، واستمرت في عملها الدؤوب، وأسهمت في التأليف المعجمي إسهاما محمودا ومشكورا، أجدرها بالذكر: "مجمع اللغة العربية" بالقاهرة (أنشئ عام ١٨٩٢م)، و"المجمع العلمي العربي السوري للغة العربية" (تأسس في ١٩١٩م)، و"المجمع العلمي العراقي" (ظهر في أواخر ١٩٤٧م)، و"مجمع اللغة العربية الأردني" و"اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر" من عام ١٩٦١م، و"اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية" القاهرة (تأسس في شهر أبريل ١٩٧١م)، و"الاتحاد العلمي العربي" (١٩٥٣م)، و"مكتب تنسيق التعريب" بالرباط(من عام 1961م)، و"مجمع اللغة العربية" بدمشق، و"وزارة الإرشاد والأنباء" بدولة الكويت، التي أنفقت، وأشرفت على تحقيق "تاج العروس"، وإخراجه خير إشراف.

*****

ومن أضخم المعاجم العربية التي صدرت على يد عالم هندي مغترب في القرن الثامن عشر الميلادي ليس هو إلا :تاج العروس من جواهر القاموس" لصاحبه محمد مرتضى الحسيني البلكرامي الشهير بالزبيدي، ولقد تميز هذا المعجم من بين المعاجم العربية.

إن المعاجم العربية التي سبق ذكرها هي: مما يتضمن القرآن، والحديث، والنوادر، والأمثال، والصفات، والنبات، والحيوان، والفلك، والأجناس، والأدوات، والمعارف العامة، والعلوم المتخصصة، فإن التاج وحيدا يتميز بتضمن كل هذه الحقول السابقة الذكر، إذ استقى في مادته المشروحة من كل معاجم هذه الأنواع، ثم نظّمها تنظيما على نمط معجم الألفاظ متبعا خطة الجوهري في صحاحه، وشارحا "القاموس المحيط" للفيروزآبادي،

شرحا مفصلا حرا مبرهنا، ومستدلا بكل من: القرآن، والحديث، والشعر، والخطابة، والأمثال، والأقوال، والمعاجم، والكتب اللغوية والمعرفية القديمة، حتى خرج كأكبر موسوعة لغوية في اللغة العربية، متناولا بشرح مئة ألف وعشرين ألف كلمة(١،٢٠٠٠٠ كلمة)، مشتملا على عشرة مجلدات أولا، ثم على أربعين مجلدا ضخما بعدما حققه كبار المحققين اللغويين من أمثال: عبد الستار أحمد فراج، و الدكتور حسين نصار، الدكتور خالد عبد الكريم جمعة، الدكتور ضاحي عبد الباقي، الدكتور عبد الحميد طلب، الدكتور عبد الصبور شاهين، الدكتور عبد العزيز علي سفر، الدكتور عبد العزيز مطر، الدكتور عبد الفتاح الحلو، الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، الدكتور محمد سلامة رحمة، الدكتور محمود محمد الطناحي، عبد الستار أحمد فراج، عبد السلام محمد هارون، عبد العليم الطحاوي، عبد الكريم العزباوي، عبد المجيد قطامش، وغيرهم الذين بلغ عددهم ٢٢ محققا ، وقد صدرت هذه الطباعة المحققة من وزارة الإرشاد والأنباء بدولة الكويت خلال الفترة مابين: (١٩٦٥-٢٠٠٢م)

إسهامات أحمد عبد الغفور عطار في تقسيم المعجمات العربية إلى أربع مدارس

محمد عالمغير*

تناولنا هذا الموضوع اعتبارا بأهمية التراث العربي لأننا نغفل عنه في الوقت الراهن ولانهتم بالمعاجم القديمة لأنها لم يتخذ ترتيبها حسب الأسلوب الجديد أي حروف الهجاء. أو لايقف كثير منّا على ترتيب موادها.نرجو أن هذه الدراسة ستساعدنا في بحث الكلمات ومراجعتها إلى المصادر العربية من المعاجم. قبل أن نخوض في الموضوع يجدر بنا أن نسلط أضواء موجزة على حياته.

هو أحمد بن عبد الغفور بن محمد نور بكو عطار [١] وأصله من البنغال بالهند وهاجر منها أسلافه وسكنوا مكة المكرمة[٢]. أبصر الأديب اللغوي المؤرخ المحقق الشاعر السعودي **أحمد عبد الغفور عطار** النور عام ١٣٣٤هـ [٣] الموافق عام ١٩١٦م بمكة المكرمة. ونشأ وترعرع فيها[٤]. وتتلمذ عطار على علماء المسجد الحرام وأخذ منهم العلوم الشرعية.ولم يتوقف شغفه بالعلم إلى هذا الحد بل إنه كان مولعا بالاستزادة منه والنهل من بحوره. انتفع بالعلوم والفنون المختلفة من عباقرة مصر مثل عباس محمود العقاد وطه حسين.

وكرس عطار حياته كلها للكتابة والتأليف وتحقيق المعاجم والقواميس اللغوية الكبيرة. وحينما اشتد عليه المرض تم إدخاله إلى المستشفى بجدة ورغم ذلك فإنه لم يفترق عن

* **الباحث في جامعة جواهرلال نهرو، نيو دلهي**

١. مصطفى إبراهيم حسين، أدباء سعوديون، ص ٣١

٢. لزهير محمد جميل كتبي، عطار عميد الأدب، ص ٢٢

٣. أحمد العلاوة، ذيل الأعلام، ص٣٠، ومحمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر والخامس عشر للهجرة ج٤ ص ٤٣

٤. أحمد عبد الغفور عطار، الشيوعية و الإسلام، ص ١٠٢

صاحبيه: القلم والكتاب وقد لقي عطار جوار ربه عام ١٧ رجب ١٤١١هـ[١] الموافق عام ١٩٩٠م.

وخلف الشيخ عطار لنا مؤلفات كثيرة في التاريخ والتراجم والكتب الإسلامية والأدب العربي واللغة. وله قصب السبق في مجال تحقيق كتب التراث. فكانت له فيه اليد الطولى والملكة الراسخة فلا يكاد يذكر الشيخ عطار إلا بتحقيقاته ولقد اجتمع فيه من صفات المحقق الناجح ما جعله في طليعة المحققين العرب ولقب بشيخ المحققين السعوديين[٢]. كما قام بتحقيق الصحاح للجوهري وتهذيب الصحاح للزنجاني وليس في كلام العرب لابن خالويه وغيرها. ولن يتسع المجال لنا أن نستوعب جميع أعماله هنا.

أحمد عبد الغفور عطار هو أول من قسم المعجمات العربية إلى أربع مدارس:

نود أن نشير إلى أن أحمد عبد الغفور عطار أول من سبق في عمل التقسيمات إلى المدارس المعجمية. هذا مما جعل عطار يقول: " لعلي أول من قسم المعجمات العربية إلى مدارس معدودات"[٣]. ومن الممكن أن نثبت مكانته الأولوية من خلال العبارات التالية:

يقول عطار في "الصحاح" للجوهري: "وفي سنة ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) كنت بالمدينة المنورة. ودار الحديث بمجلس العالم الفاضل السيد علي حافظ في المعجمات العربية وفي "تهذيب اللغة" للأزهري و"التكملة والذيل والصلة" للصغاني وفي "جمهرة اللغة" لابن دريد. وعرضت على الحضور- وكانوا من أكابر أهل المدينة وعلمائها وأدبائها- رأيي في "مدارس المعجمات العربية" وعددهن. فقال السيد علي حافظ : **هذا شيء جديد أسمعه لأول مرة ولم أقرأه في كتاب أو صحيفة**. وأيده من حضروا ثم علم برأيي هذا الإمام اللغوي الشيخ عبد القدوس الأنصاري وسألني فأجبت فسُرَّ وهنأني وقال: **هذا جديد مبتكر غير**

[١]. عبد العزيز بن صالح العسكري، من أعلامنا، ص ٤٦، و محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر والخامس عشر للهجرة ج ٤ ص ٥٥، وأحمد العلاوة، ذيل الأعلام، ص٢٩ نزار أباظة ومحمد المالح، وإتمام الأعلام، ص ٢٩

[٢].هذا اللقب أطلقته عليه مجلة المنهل، المدينة المنورة ، العدد ٤٨٧. ٥٦ ، رمضان وشوال ١٤١١هـ ، مارس وأبريل ١٩٩١ م ص:٨

[٣]. الصحاح للجوهري،ج ١، ص : ص

مسبوق إليه"[١]. هذه العبارات المذكورة تشير إلى أن عطار سبق إلى تقسيم المعجمات العربية. كماأيد هذا قوله بنفسه: "ظهور رأيي في مدارس المعجمات على نطاق العالم العربي والإسلامي ومحافل الاستشراق والمعنيين بالعربية كما قد كان سنة ١٩٥٦م. وكان رأيي في مدارس المعجمات وأقَسامها أول رأي في هذا السبيل وسبق ظهور هذا الرأي بخمس عشرة سنة أي ١٩٤١م"[٢].

ويرى عطار أن "هذه المدارس أربع في رأينا إلا أن في وسعنا أن نجعل مرد أصولها إلى نبعين مختلفين وهي أربع لمن أراد التفصيل واثنان لمن أراد الإيجاز والإجمال. هاتان المدرستان هما: مدرسة المعاني ومدرسة الألفاظ. أما مدرسة المعاني فهي التي اتخذت معاجم ترتيبها حسب المعاني والموضوعات كالغريب المصنف لأبي عبيد والمخصص لابن سيده.ويدخل في فصول هذه المدارس كل الرسائل والكتب اللغوية التي اتخذت المعاني وسيلتها في ذكر الكلمات"[٣].

أما مدرسة الألفاظ فهي التي بنت قواعدها على علم الأصوات اللغوية ورتبت المعاجم حسب الحروف التي تبتدئ بها أوائل الكلمات على اختلاف في ترتيب الحروف. هذه المدارس اللغوية أربع. وهي كما يلي بقدر من التفصيل.

الأولى : مدرسة الخليل صاحب كتاب " العين " المتوفي سنة ١٧٥هـ. وتبعه في نهجه ابن دريد في "جمهرة اللغة " والأزهري في " تهذيب اللغة " وابن عباد في " المحيط " [٤]. والقالي في " البارع في اللغة " ومواد هذه المعجمات مرتبة على حسب مخارج الحروف ابتداء بحرف العين.

الثانية: مدرسة أبي عبيد القاسم بن سلام (١٥٤ – ٢٢٤هـ)

---

[١]. المصدر السابق ،ج ١، ص : ص ،ق

[٢]. المصدر السابق ، ج ١، ص : ق

[٣]. أحمد عبد الغفور عطار، مقدمة الصحاح، ص ٩٣

[٤]. المصدر السابق ، ص : ٩٥ .

ويذكرعطار هذه المدرسة قائلا : " قواعد هذه المدرسة بناء المعجم على المعاني والموضوعات وذلك بعقد أبواب وفصول للمسميات التي تتشابه في المعنى أو تتقارب وكانت طريقة أبي عبيد من أولى المراحل التي بدأ فيها التأليف اللغوي ولكنه بدأ بكتب صغيرة. كل كتاب يؤلف في موضوع مثل كتاب الخيل وكتاب اللبن وكتاب العسل وكتاب الذباب وكتاب الحشرات[١].

واتبع طريقته كثير من المؤلفين القدماء مثل أبي الحسن الهنائي الأزدي – المعروف بكراع النمل – في كتابه " المنجد فيما اتفق لفظه واختلف معناه " واتبعه ابن سيدة في "المخصص " وتوسع فيه كثير من المعاصرين مثل عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى في "الإفصاح". على سبيل المثال إذا نريد أن نبحث كلمة "الوجه" علينا أن نراجع إلى باب أعضاءِ البَدَن من الرَّأسِ إلى القَدَم[٢].

وذكر عطار عيوب هذه المدرسة بقوله: "ومن عيوب هذه المدرسة أن كثيرا من الألفاظ تأتي لمعان كثيرة والباحث لا يعرف في أي أبواب ذكر مطلبه وكثير من الصفات يشترك فيها الكائن الحي سواء أكان إنسانا أم حيوانا أم نباتا بل هناك من الصفات ما يشترك فيه الكائن الحي والجماد "[٣].

الثالثة: مدرسة الجوهري (٣٣٢ - ٣٩٣هـ)

هذه المدرسة تنتسب إلى الإمام المجدد إسماعيل بن حماد الجوهري الذي ابتكر منهجا في التأليف المعجمي قرّب اللغة إلى الباحثين ويسر لهم السبيل إلى الكلمة التي يقصدون إليها.

ونظام هذه المدرسة ترتيب المواد على حروف المعجم باعتبار آخر الكلمة بدلا من أولها ثم النظر إلى ترتيب حروف الهجاء عند ترتيب الفصول والأول سماه بابا والثاني فصلا. فكلمة

[١]. المصدر السابق ، ص : ٩٩ .
[٢]. معجم المنجد في اللغة لأبي الحسن علي بن الحسن الهنائي الأزوي ، ص: ٣١ .
[٣]. مقدمة الصحاح لأحمد عبد الغفور عطار،ص : ١٠٠

"بسط" يبحث عنها في باب الطاء لأنها آخر حرف فيها وتقع في فصل الباء لأنها مبدوءة بها.[١]

ومن أشهر أتباع هذه المدرسة الإمام محمد حسن الصغاني في معجماته المعلمات المشهورة "التكملة والذيل والصلة" و"معجم البحرين" و"العباب" والفيروزآبادي في "القاموس" وابن منظور في "اللسان"[٢] .

الرابعة : مدرسة البرمكي (المتوفى ٤١١هـ)

هذه المدرسة مرتبة على حسب الترتيب الألفبائي للمواد اللغوية أي على الحروف الهجائية مبتدئة بالهمزة منتهية بالياء مع مراعاة الحرف الثاني والثالث والرابع.[٣]

ويقول عطار: " وطريقة البرمكي أنه أخذ من الصحاح كل باب وفصلٍ الحرفَ الذي يريده. ففي باب الهمزة أخذ منه فصل الهمزة ومن باب الباء والتاء والثاء والجيم حتى الياء وفي فصل الهمزة رتبها على أوائل الحروف مراعيا الحرف الثاني والثالث ثم انتقل إلى باب الباء وصنع فيه ما صنع في الهمزة حتى انتهى إلى آخر حرف في حروف الهجاء[٤].

هذه المدرسة هي التي اتبعها اللغويون في العصر الحاضر مثل الزمخشري في " أساس البلاغة " ثم ألفت عشرات المعجمات على هذا المنهج الذي صار أسلوب العصر الحاضر في تأليف المعجمات.على سبيل المثال المعجم الوسيط وغيرها.

هذه مساهمة عطار في تقسيم المدارس اللغوية وذكر رائدها ومنهجها وأتباعها وهي من أعماله الجليلة الجديرة بالثناء عليها ولاننساها.

---

[١]. المصدر السابق ، ص : ١٠١ .
[٢]. المصدر السابق ، ص : ١٠٣
[٣]. المصدر السابق ، ص : ١٠٤
[٤]. المصدر السابق ، ص : ١٠٥

آراء أحمد عبد الغفور عطار في اللغة العربية الفصحى :

"كان عطار يحاول مواكبة ومشاركة الحركة الأدبية واللغوية المزدهرة في مصر ولبنان والعراق وسوريا وككل البيئات السعودية المتعلمة. وظهر في بيئة الحجاز شباب اهتم باللغة الفصحى تعلما وتعليما وبحثا وعاصر ذلك الجيل بعض الباحثين في مصر ولبنان من الدعاة إلى العامية واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية وهيهات....فقد تصدى لهذه الحركات شباب مثل عطار وحاولوا تفنيد مزاعم هذه الدعوات الهدامة ونددوا بها وبأصحابها بأسلوب رصين هادئ وجهود مستمرة لم تعرف الكلل ولولا تمكن هؤلاء الشباب من زمام الفصحى وأسرارها الذين استطاعوا أن يقفوا أمام هذه الحركات المتعددة المسلطة أسلحتها على الفصحى[١].

ونجد أحمد عبد الغفور عطار قد تناول قضايا التعريف باللغة الفصحى ومكانتها والذود عنها والرد على أعدائها خلال نشر أكثر من مقال وكتاب وحاول معالجة هذه المواقف في النقاط التالية.

مزايا اللغة الفصحى ذكرها عطار في صفحات كثيرة في مؤلفاته اللغوية وهي فيما يلي:

الفصحى لغة القرآن [٢]، الفصحى لغة العلوم والفنون والأدب الراقية [٣]، الفصحى لغة الإنسان لأنها لغة الحياة [٤]، الفصحى سمحة مرنة غير صعبة [٥]، الفصحى لغة شاعرية فنانة [٦]، الفصحى جامعة الشعوب[٧].

وتناول عطارموضوعات مختلفة في اللغة تحت عناوين متنوعة مثل اللغة الإنسانية والاهتمام بالعربية. والعامية أقدم من الفصحى وليس من الصحيح أن نقول إن عدم تناول

[١]. لمحمد حسن محمد بكلا، أعلام اللغة في المملكة العربية السعودية، ص ٣٠٥
[٢]. أحمد عبد الغفور عطار، الزحف على لغة القرآن، ص: ١١
[٣]. أحمد عبد الغفور عطار، وفاء العربية بحاجات هذا العصر وكل عصر، ص: ١٤
[٤]. المصدر السابق، ص : ١٠
[٥]. المصدر السابق، ص : ٢٢
[٦]. المصدر السابق، ص : ٣٧
[٧]. المصدر السابق، ص : ٤٤

عطار هذا العلم بالتفصيل ناتج عن عدم اطلاعه عليه أو جهله به وفي الحقيقة صلة عطار بهذا العلم بارزة جلية في بعض الأفكار والعبارات المتفرقة في كتبه والتي منها:

"استخدام عطار مصطلح "فيلولوجية"[١].واللغة جهاز من الرموز أو نسق من العلامات[٢]. واللغة نظام من العلامات الدالة على أفكار الإنسان ومشاعره[٣]. واللغة غير قائمة على الغريزة أو صادرة عنها"[٤] .

هذا غيض من فيض لمساهمة عطار الكبيرة في ترويج المعاجم وإغناء اللغة العربية. هذه العبارات وغيرها تدل على صلته الوثيقة بالدراسات اللغوية الحديثة وتشير إلى معرفته الواسعة العميقة في مجالها وهذه من الخزائن الثمينة للغاية في التراث العربي.

[١]. أحمد عبد الغفور عطار، الفصحى والعامية، ص : ٣
[٢]. أحمد الغفور عطار، آراء في اللغة، ص : ٩
[٣]. المصدر السابق، ص : ١٠
[٤]. المصدر السابق، ص : ١٥

علم الدلالة العربية ودوره في اشتقاق الألفاظ الجديدة

د/ ك. علي نوفل*

المقدمة:

علم الدلالة مصطلح فني يستخدم في الإشارة إلى دراسة معاني الألفاظ في اللغة. فالمعنى أو الدلالة هي أهم نقطة في علم اللغة لأن المعنى هو الهدف النهائي من أي استخدام لغوي في أي موقف من المواقف ولأي هدف من الأهداف، لأن اللغة ليست مجرد ضوضاء تلقى في الهواء وإنها تستخدم لأداء وظيفة من الوظائف المنوطة بها.

وقد أظهر صاحب "المعجم العربي وعلم الدلالة" رأيه في هذا المجال في كتابه بقوله "وإذا كان علم اللغة – بمستوياته التحليلية المختلفة – يدرس اللغة ويخصص لكل عنصر من عناصرها مستوى تحليليا فإن عنصر المعنى أو الدلالة قد خصص له علم الدلالة وإذا كان الأمر كذلك فإن علم الدلالة يعد أهم فرع من فروع اللغة فهو غاية الدراسات الصوتية والفونولوجية والنحوية والقاموسية إنه قمة هذه الدراسات".[١]

وأضاف قائلا "نقصد بالدلالة هنا: ما يشير إليه بعض الدارسين بالمصطلح الآخر "المعنى" (Meaning) وقد اختص بدراسة الدلالة، أو المعنى اللغوي، فرع من فروع علم اللغة هو علم الدلالة أو المعنى (Semantics) الذي تتفق الدراسات اللغوية على تعريفه بأنه

* **الأستاذ المساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كالكوت، كيرالا، الهند**

[١] المعجم العربي وعلم الدلالة ، د. محمد أحمد حماد وأحمد محمد عيسى وأحمد محمد كشك، دار النشر الدولي، الرياض، ص: ٢٣٩ – ٢٤٠

دراسة المعنى، أو البحث في المعنى ومشكلاتها، ولأن المعنى يعد جزءا من اللغة، يعد علم المعنى جزءا من علم اللغة".[١]

وقد عرفه الدكتور فريد عوض حيدر في كتابه علم الدلالة " علم الدلالة في العربية تركيب إضافي يدل دلالة الاسم على مسمى خال من الدلالة على الزمان، وهو يقابل المصطلح الإنجليزي Semantics وكلا المصطلحين العربي والإنجليزي يدلان على فرع من علم اللغة يدرس العلاقة بين الرمز اللغوي ومعناه، ويدرس تطور معاني الكلمات تاريخيا، وتنوع المعاني، والمجاز اللغوي، والعلاقات بين كلمات اللغة.

وواضح من هذا التعريف، أن علم الدلالة يهتم بدلالة الرمز اللغوي، سواء أكان مفردة مثل كلمة نجم التي تدل على النجم الظاهر في السماء وعلى النبات في الأرض، أم كان رمزا مركبا، مثل التعبيرات الاصطلاحية Idioms ، كبيت المال، ومجلس الشعب، وخضراء الدمن للمرأة الحسناء في منبت السوء، ومثله التعبير الإنجليزي it was raining cats and dogs للدلالة على شدة المطر. دلالة اصطلاحية خاصة، ويعتني علم الدلالة بتتبع التغير الدلالي لهذه الرموز اللغوية، بمرور الزمن، ويصاحب ذلك عنايته بالأسباب المؤدية إلى هذا التغير، كما يعتني بدراسة العلاقات الدلالية بين هذه الرموز، وهناك وجهة نظر خاصة عند علماء المعاجم في تعريف علم الدلالة، فهم يعرفون علم الدلالة بأنه فرع من علم اللغة الذي يقوم بدراسة المعنى المعجمي، ولكن هذا التعريف يقصر علم الدلالة على مجال واحد من مجالات اهتمامه، إذ يدل على أن علماء المعاجم ينظرون إلى علم الدلالة على أنه يختص بدراسة الألفاظ المفردة، دون القضايا أو النظريات المختلفة التي قد يتناولها علماء اللغة عند دراستهم لعلم الدلالة، ويشير هذا التعريف إلى نظرة ضيقة قنعت بالأمور السطحية، ولم يأت بجديد في هذا الشأن أكثر من تقديم تسمية جديدة، لدراسة قديمة معروفة، هي صناعة المعاجم، وما يرتبط بها من تصنيف كلمات اللغة وإعطائها معانيها العامة. فهذا

[١] المرجع نفسه، ص: ٢٤٣

ما أحاول أن أبحث في هذه المقالة من المعاني والدلالات المختلفة للألفاظ في تقليد أصالة اللغة العربية قديما وحديثا.

معاني الألفاظ العربية

معاني الألفاظ تهتم كثيرا في علم الدلالة عامة وفي مجال اشتقاق الألفاظ الجديدة خاصة حيث إن المعاني هي الغاية في اشتقاق الألفاظ والكلمات. والمعنى في علم اللغة قسمه علماء اللغة بما فيهم صاحب "المعجم العربي وعلم الدلالة" إلى ثلاثة أقسام وهي المعنى الوظيفي، والمعنى السياقي، والمعنى المعجمي.

- **المعنى الوظيفي:** هو يستفاد من إحدى الوحدات اللغوية الثلاثة: الوحدة الصوتية، الوحدة الصرفية، والوحدة النحوية. والمعنى الوظيفي المستفاد من الوحدات الصوتية هو التفريق بين الكلمات، أي إن الوحدات الصوتية تشير إلى فروق في المعنى، ومعروف أن هذا المعنى الذي تغيره الوحدة الصوتية، أو تفرق بينه وبين غيره، معنى معجمي في الأساس، كالقاف في (قام) التي تشير إلى الفرق بين هذه الكلمة وبين كلمات أخرى تتفق معها في الوحدات الصوتية الأخرى مثل: صام – نام – رام – عام.

وتقوم الوحدة الصرفية بالتفريق بين المعاني الصرفية، فالهمزة المفتوحة في (أقام) فرقت بينها وبين (قام) صرفيا، إذ إن الهمزة في (أقام) حولت الفعل اللازم قام إلى فعل متعد، ومن ثم أدى هذا إلى اختلاف في الوظيفة النحوية والوظيفتان الصرفية والنحوية شاركتا في اختلاف المعنى العام للكلمتين.

ويظهر اختلاف نحوي بوضع الصيغتين في تركيبين متقابلين (قام محمد) و (أقام محمد حفلا)، فالأول اكتفى بفاعل والثاني تعدى إلى المفعول به. والهمزة في (أقام) هي همزة التعدية.

فالمعنى الوظيفي المستفاد من الوحدة النحوية، فغالبا ما يتصل بالعلاقات التي بين الكلمات، والأشياء التي تشير إليها الكلمات، فإن ترتيب الكلمات على نحو معين يمكن أن يعطي معنى نحويا مختلفا مثلا: (الكلاب تكره القطط، والقطط تكره الكلاب) فالمقابلة بين هاتين الجملتين تحدد العلاقة بين كلمتي (القطط)، (والكلاب) حيث تبادلتا موقعي المبتدأ، والمفعول به مع ما يشتمل عليه هذا الموقع من نسبة الحدث أو الفعل إلى كل منهما، فالمبتدأ – الذي هو فاعل في المعنى – يقع منه الفعل، والمفعول به يقع عليه الفعل.

- **المعنى السياقي:** هذا العنصر من عناصر المعنى اللغوي قد يطلق عليه أيضا المعنى المقامي والمعنى الاجتماعي، أو المعنى العام. وهذا المعنى هو المحصلة النهائية للحدث اللغوي في الموقف المعين، وهو هدف الاستعمال اللغوي بالنسبة للمتكلم، والسامع في غالب الأحيان، وهو هدف للباحث اللغوي أيضا.

والسياق يشتمل على جانبين جانب اللغوي وجانب غير اللغوي، مثلا: جملة (هل سيكون لمثلك قبر) وهي تصلح للتعبير عن الاستفهام، أو التقرير، أو النفي، أو التمني، أو الرجاء، أو السخرية، أو لدعابة، أو التحقير، أو التعجب، أو الإعجاب. أما السياق غير اللغوي وهو يشتمل على العناصر مثل: المتكلم، والمخاطب.

- **المعنى المعجمي:** وهو المستفاد من المادة المركب منها اللفظ، لا من هيئة صياغته، أي هو المعنى الذي تدل عليه الكلمة المفردة. ويقصد به معاني الكلمات، وأكثر أنواعها شيوعا يمكن أن يقال إنه إشاري أو مرجعي، ومثاله تسمية الأشياء، ويغلب أن تدل عليه الكلمة حال انفرادها. والذي يحدد هذا المعنى المعجمي للكلمات هو العرف العام، ومعنى

العلاقة العرفية أنها علاقة تقليدية لا سند لها إلا ما يقع من اتفاق الناس وتعارفهم على إنشائها وفهمها، دون أن يكون ذلك راجعا إلى الطبيعة ولا إلى الذهن، والمنطق.[١]

والمعنى المعجمي هو الأهم من أقسام المعاني في علم اللغة العربية حيث إنها تتعلق بتسمية الأشياء بما فيها المخترعات والمنتجات في العصر الحديث. ومن المقرر لدى اللغويين أن الجانب الدلالي هو أكثر القطاعات اللغوية تعرضا للتطور لارتباطه بحركة الحياة البشرية في المجتمع وتطور هذه الحياة من وقت لآخر. وللتطور الدلالي أسباب عرضها اللغويون[٢]، وأهمها الوضع والارتجال أو الابتداع حيث إنه يستخدم في صوغ المصطلحات العلمية، وتسمية المخترعات وغيرها من الألفاظ الجديدة في مختلف العلوم.

إن التطور الدلالي كما هو المعلوم تنشأ عنه نتائج كثيرة بما فيها النتائج اللغوية التي تتصل بالعلاقة بين اللفظ ومعناه وما حدث لهذا المعنى من توسيع، أو تضييق، أو انتقال. فالمصطلحات الجديدة إنها تتكون وتستعمل وتصبح شائعا في المجال اللغوي نتيجة لظواهر ثلاثة: هي تضييق المعنى أو تخصيص الدلالة، توسيع المعنى أو تعميم الدلالة، انتقال الدلالة. لأنه عندما تظهر الحاجة أو تخترع آلة يبحث علماء اللغة في صدفات لغة الضاد ما يعادل مفهومها بين الألفاظ والتراكيب فإذا وجدوا لفظا لائقا يقترحونه ويستعملونه للدلالة عليه، وفي بعض الأحيان ليصبح المعنى القديم للألفاظ مهجورا أو غير مستعملا حتى يكون منسيا عبر الزمان فيشتهر المعنى الجديد أو الدلالة الجديدة ويصبح شائعا في الأوساط

[١] المعنى المعجمي يكون متعددا ومحتملا خارج السياق، فإذا انتظمت الكلمة في سياق معين، تحدد معناها غالبا. وهناك بعض العناصر اللغوية ليس لها معنى معجمي، أو مرجعي، أو إشاري، وهي الوحدات الصرفية التي تخدم التركيب النحوي فقط، مثل الحروف، وبعض الأفعال الجامدة، والأسماء المبنية ومنها: السين المفتوحة، واللام المكسورة، الكاف المفتوح.

[٢] وللتطور الدلالي أسباب، الأول: عامل الاستعمال وما ينشأ عنه من سوء الفهم، مثل: الخيشوم بمعنى الفم ومعناه الأنف، والثاني الحاجة وما تعتمد عليه من التطور الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي، فمعظم مفردات العربية الجاهلية قد حدث لها تطور بعد الاسلام، والثالث الجوانب النفسية والمشاعر العاطفية، والرابع الانحراف اللغوي، والانتقال المجازي ومن أمثلته ما يلجأ إليه الأطفال عندما يخلعون دلالات جديدة على كلمات قديمة والخامس هو الوضع أو الارتجال، أو الابتداع ويكثر ذلك في صوغ المصطلحات العلمية، والألفاظ الجديدة في مختلف العلوم.

اللغوية. وهكذا يتخذ الدلالة الجديدة، وتصبح مصطلحا جديدا في اللغة الحديثة. نبحث، في هذا الفصل، هذه الظواهر الثلاثة حيث نصل بها إلى مناهج تطور الدلالة في العربية.

- **تخصيص الدلالة:** وهو أن يضيق معنى الكلمة بمرور الزمان، فتتحول دلالتها من معنى كلي إلى معنى جزئي، أو يقل عدد المعاني التي تدل عليها أي إن الكلمة أصبحت بالتخصيص دالة على بعض ما كانت عليه من قبل. وقد كثرت ظاهرة التخصيص الدلالي في مجال المصطلحات العلمية، حيث تجرد الكلمة من دلالتها المتعددة، لكي تدل على معنى معين في بيئة علمية خاصة.[١]
- **تعميم الدلالة:** وهو عكس اتجاه التخصيص، فهو يعني تحويل الدلالة من المعنى الجزئي إلى المعنى الكلي، وبه تصبح الكلمة تدل على عدد من المعاني، أكثر مما كانت تدل عليه من قبل، أو تدل على معنى أعم من معناها الأول[٢].
- **انتقال الدلالة:** يعتمد هذا الشكل من التغير الدلالي على وجود علاقة مجازية، قد تكون علاقة مشابهة، عن طريق الاستعارة أي استخدام الكلمة في غير معناها الأصلي لوجود هذه العلاقة، وقد تكون علاقة غير المشابهة[٣] وتأتي عن طريق المجاز المرسل

---

١ ومن أمثلة ذلك: كلمة (أمر) وهي الآن تستخدم في مجال الحاسبات في معنى "بيان بعملية يطلب إلى الحاسب تنفيذها". والكلمة كانت عند العرب بمعنى الطلب، وهو ضد النهي، وهذا معنى عام ثم أصابه التخصيص لأنه يدل على طلب محدود وموجه إلى الحاسبات الآلية خاصة. وكلمة (حريم) كانت تطلق على كل محرم لا يمس، وهو الآن تطلق على النساء خاصة.

٢ مثل: كلمة (الراوية) كان العرب يطلقونها على البعير الذي يستقي عليه، ثم أطلق على كل دابة تستخدم في الاستسقاء، ثم حدث لها توسيع آخر حيث أطلقت على راوي الحديث وراوي اللغة. وكلمة (البأس) كانت تطلق في البداية على الحرب ثم كثر حتى قيل لا بأس عليك... وأصله الشدة في الحرب ثم استعمل للدلالة على كل شدة.

٣ انتقال الدلالة لعلاقة غير المشابهة يأتي لعلاقات وهي : السببية مثل: (البيع) أصله مبادلة مال بمال، ثم أطلق على عقد البيع مجازا لأنه سبب التمليك والتملك، وعلاقة (المجاورة) مثل: (الثغر) كانت تطلق على المبسم ثم أطلق على الثنايا للمجاورة، وتسمية الشيء باسم بانيه أو صاحبه مثل: (يثرب) فقد سمي باسم رجل من العمالقة وهو الذي بناها، وتسمية الشيء باعتبار ما كان مثل: كلمة (الجارية) الأصل فيها الشابة لخفتها ثم أطلق على كل أمة جارية وإن كانت عجوزا، وتسمية الحال باسم المحل مثل: قولهم (اتفق المجلس) و (ووافق المجمع)، وتسمية المحل باسم الحال مثل: (أما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله) حيث سمي الجنة هنا رحمة الله، وعلاقة الجزئية مثل: إطلاق (العين) على الجاسوس، وعلاقة الكلية مثل: (يجعلون أصابعهم في آذانهم)، وعلاقة ملابسة الحال مثل: كلمة (الصفقة) وهي في الأصل ضرب اليدين أحدهما على يد الآخر عند المبايعة إشعارا بنفاذ البيع بينهما، وكانت العرب تفعل ذلك ثم استعملت الصفقة للدلالة على العقد، وعلاقة آلية وهو أن يسمى الشيء باسم آلته مثل: تسمية اللغة (لسانا) في قوله تعالى "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه" ، وعلاقة الزمانية مثل: كلمة (النجم) وهو في الأصل للجرم السماوي المعروف الذي جمعه (نجوم) انتقلت دلالته حيث اطلق على

بعلاقاته المختلفة، ويسمى هذا المعنى غير الأصلي للكلمة بالمعنى المجازي أي المحول عن طريق المجاز[١].

➢ **اللفظ المشترك في المعنى:** وقد تتعدد المعاني للألفاظ في اللغة فمن الألفاظ في اللغة العربية ما يشترك فيه معاني كثيرة وهو يعرف "بالمشترك اللفظي" وهو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء . ولنشأة المشترك اللفظي عوامل عامة في العربية ومنها الاستعمال المجازي، واللهجات، واقتراض الألفاظ من اللغات المختلفة، والتطور اللغوي[٢].

وصاحب "تاج العروس من جواهر القاموس" مرتضى الزبيدي يأتي بمناقشة في هذا الموضوع في مقدمة قاموسه فيقول " فهو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفتين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة، واختلف الناس فيه، فالأكثرون على أنه ممكن الوقوع، لجواز أن يقع إما من واضعين بأن يضع أحدهما لفظا لمعنى، ثم يضعه الآخر لمعنى آخر، ويشتهر ذلك اللفظ ما بين الطائفتين في إفادة المعنيين، وهذا على أن اللغات غير توقيفية، وإما من واضع واحد لغرض الإبهام على السامع، حيث يكون التصريح سببا

الوقت الذي يحل فيه أداء الدين لوقوعها في الأصل في الوقت الذي يطلع فيه النجم، وتسمية الشيء بالمصدر مثل: تسمية المسروق (سرقة)، وتسمية الشيء باسم ما يؤول إليه مثل: تسمية العنب (خمرا) في قوله تعالى "إني أراني أعصر خمرا".

[1] مثلا: (البيت) كانت تدل على المسكن ثم أطلق على بيت الشعر، وكلمة (التوشيح) كانت تدل على التوشيح بالثوب ثم أطلق على لون من الشعر لدى الأندلسيين. وذلك كان لعلاقة المشابهة.

[٢] والمشترك اللفظي لا وجود له في واقع الأمر إلا في معجم اللغة، أما في نصوص اللغة واستعمالاتها، فلا وجود إلا لمعنى واحد من معاني هذا المشترك اللفظي. وقد أدت كثرة المشترك اللفظي في العربية، إلى ذيوع ظاهرة (التورية) فيها، وهي عبارة عن استخدام الألفاظ المشتركة في معان غير متبادرة منها. وكذلك استخدمه بعض الناس حيلة للخروج من اليمين المكره عليها، معنى غير ما يفهمه السامع مثلا: إذا قال الإنسان والله ما سألت فلانا حاجة قط، فإنه يقصد في نفسه من لفظ (حاجة) معنى آخر غير الشائع لهذه اللفظة و(الحاجة) ضرب من الشجرة له شوك، وهذا هو المعنى الغامض الذي يقصد إليه الحالف هنا. ومنها قول "أبو نواس" في البيت الذي كتب على باب قصر هارون الرشيد لما اشتغل الرشيد بجارية خالصة وامتنع أن يلاقي الشاعر، "ضاع شعري على بابك * كما ضاع عقد على خالصة" ولما غضب الرشيد غير أبو نواس كلمة (ضاع) وكتب (ضاء) في مقامها متظاهرا النسيان والغفلة.

لمضره، كما روي عن أبي بكر الصديق (ر) وقد سأله رجل عن النبي (ص) وقت ذهابهما إلى الغار: من هذا ؟ قال : هذا رجل يهديني السبيل."[١]

ومن أمثلة المشترك الرؤية، والعين، والهلال، والخال فمثلا: كلمة العين تشترك فيها عدة معان منها : (عضو البصر)، (ينبوع)، (ناظر أو مراقب)، (جاسوس)، (حارس)، (ثقب الإبرة)، (عملة معدنية)، (نقد حاضر)، (مال أو ملك)، (ربا أو فائدة)، (سيد)، (جوهر)، (خيرة أو صفوة أو وجيه).[٢]

فللفظ المشترك أهمية كبرى في صياغة الاصطلاحات الجديدة حيث إنه في بعض الأحيان ليؤدي إلى تضييق المعنى أو توسيعه فينفرد بالمعنى الجديد ويصبح مصطلحا جديدا شائع الاستعمال.

- **الترادف في اللغة العربية:** وقد قدم المرتضى الزبيدي رأي الإمام فخر الدين الرازي في مناقشته في مقدمة قاموسه فأشار "فقال الإمام فخر الدين الرازي: هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد، والفرق بينه وبين التوكيد، أن أحد المترادفين يفيد ما أفاده الآخر، كالإنسان والبشر، وفي التوكيد يفيد الثاني تقوية الأول، والفرق بينه وبين التابع، أن التابع وحده لا يفيد شيئا، كقولنا عطشان نطشان."[٣]

وقال أيضا " قال التاج السبكي في شرح المنهاج: وذهب بعض الناس إلى إنكار المترادفات في اللغة العربية، وزعم أن كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات، كما في الإنسان والبشر، فإن الأول موضوع له باعتبار النسيان أو الإنس،

[١] مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، الجزء الأول، دار الكتب للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ص: ٥٩
[٢] الدكتور روحي بعلبكي، المورد قاموس عربي – إنكليزي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ص: ٧٨٩
[٣] مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، الجزء الأول، دار الكتب للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ص: ٥٩ - ٦٠

والثاني باعتباره أنه بادي البشرة، وكذا الخندريق والعقار، فإن الأول باعتبار العتق والثاني باعتبار عقر الدن، لشدة ما فيها" [١].

فالمترادفات هي ألفاظ متحدة المعنى، وقابلة للتبادل فيما بينهما في أي سياق[٢]. والترادف نوعان تام وشبه تام. والتام هو أن تتفق الكلمتان اتفاقا تاما في الدلالة على المعنى الواحد، وفي جميع السياقات، وهذا النوع نادر الوقوع ولكنه ليس مستحيلا. أما النوع الثاني وهو يقع في جميع اللغات وبصورة أكثر من النوع الأول.[٣]

وقد كثر المترادف في اللغة العربية الفصحى حيث تتعدد أسماء الشيء الواحد في اللهجات المختلفة، فكل لهجة تطلق عليها اسما، ثم أدى احتكاك اللهجات بعضها ببعض، ونشأت اللغة العربية المشتركة في تلك الظروف الدينية والاقتصادية والسياسية إلى تمسك هذه اللغة المشتركة بعدد من تلك الألفاظ التي تدل على مسمى واحد في اللهجات المختلفة. ولو نظرنا في اللهجات العربية الحديثة، لوجدنا شيئا يشبه هذا الذي نتصوره في القديم، فما يسمى (فكة) مثلا في مصر، يسمى في لبنان (فرافير)، وفي سوريا والأردن (فراطة)، وفي العراق (خردة)، وفي ليبيا (رقاق)، وفي السعودية (صرافة) أو (تفاريق).

ومن أسباب الترادف في اللغة العربية، أن يكون للشيء الواحد في الأصل اسم واحد، ثم يوصف بصفات مختلفة، باختلاف خصائص ذلك الشيء، وإذا بتلك الصفات تستخدم في يوم ما، استخدام الشيء وينسى ما فيها من الوصف أو ينساه المتحدث باللغة، وفي ضوء

---

[١] المرجع نفسه، ص: ٥٩ - ٦٠

[٢] وقد وضع علماء اللغة شروطا لأن يتم الترادف بين الكلمتين فالأول منها الاتفاق في المعنى بين الكلمتين إتفاقا تاما، والثاني الاتحاد في بيئة لغوية، وعدّوا كل الجزيرة العربية بيئة واحدة ، كما يعد اللغة المشتركة أو الفصحى الأدبية بيئة واحدة، وكذلك يعد كل لهجة أو مجموعة منسجمة من اللهجات بيئة واحدة والثالث الاتحاد في العصر، فالمحدثون حين ينظرون إلى المترادفات ينظرون إليها في عهد خاص، وزمن معين، فكلمة من شعر شاعر جاهلي لا تقاس بكلمة وردت في نقش قديم يرجع إلى العهود المسيحية. والرابع ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي آخر، فمثلا: أن كلمتي (الجتل) و (الجفل) بمعنى النمل إحداهما يمكن تعد أصلا والأخرى تطور لها.

[٣] وقد اختلف اللغويون من في موقفهم في الترادف ومنهم من يثبتون وقوعه كما يوجد من بينهم من ينكرون وقوعه حتى ظهر من بين المثبتين المبالغون في إثباته والمعتدلون في إثبات المترادف.

هذا السبب، يمكن النظر إلى السيف وأسمائه المختلفة في العربية[١]، تلك الأسماء التي كانت في الأصل صفات له.

والاستعارة أو الاقتراض من اللغات الأجنبية أيضا سببت لكثرة الترادف في اللغة العربية، فبواسطة هذا السبيل قد دخلت إلى العربية ألفاظ مستعارة من الفارسية وغيرها مثل: (الدمقس) و(الإستبرق) للحرير، و(الزرجون) و(الإسفنط) و(الباذق) و(الدرياقة) للخمر. والشعراء هم المسؤولون عن دخول هذه الألفاظ الأصيلة في اللغة العربية في العصر القديم حيث إنهم كانوا يستعملون المترادف للكلمات لاتخاذ القافية في الأبيات ففي بعض الأحيان يضطرون أن يقترضوا الألفاظ من اللغات الأجنبية لأجل القافية والتجنيس والترصيع وغير ذلك من أصناف البديع، وأصبحت هذه الكلمات الأجنبية مترادفا لنظيرها في العربية.[٢]

فالمترادفات في اللغة أغنت اللغة العربية كثيرا كما أساءت إليها في بعض الأحيان حيث تستعمل كلمات مختلفة تماما لمعنى واحد في البلدان المختلفة، ولكن لما أسست المجامع اللغوية في العالم العربي وبدأ اتحاد المجامع في القاهرة ينسق جهودها في مجال اللغة العربية عامة وفي مجال صياغة الاصطلاحات الجديدة خاصة ظهر الرجاء والتوقعات في توحيد المصطلحات الجديدة، حتى يوضع مصطلح واحد لمعنى واحد في أنحاء العالم العربي المختلفة.

وبالجملة إن للكلمات معاني تظهر من سياق الكلام وأصوات حروفها كما لها معان انقسمت على أساسها الكلمات في معاجم اللغة. وهناك كلمات قديمة في اللغة العربية تستعمل نادرا أو قليلا، فهذه الكلمات المهجورة تتطور دلالاتها وتستعمل في معنى جديد في بعض الأحيان في العصر الحديث، وذلك لتسمية المخترعات الحديثة والتعبير عن مفاهيم جديدة عصرية.

---

[١] ومن مترادفات السيف في العربية : المهند، الصارم، والباتر، والقاضب، والصقيل.

[٢] الدكتور محمد حماد والدكتور أحمد عيسى والدكتور أحمد كشك، المعجم العربي وعلم الدلالة، دار النشر الدولي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٦م ص: ٢٣٩ - ٢٩٩

مناهج تعريب المصطلحات الحديثة

هناك علاقة قوية وطيدة بطبيعة الحال بين التعريب والمصطلح، لأن الأول يحتاج إلى الثاني، أي يحتاج المقابل العربي للأصل الأجنبي، حتى تتحقق مسايرة التطور، وبخاصة في مجالات العلوم والتكنولوجيا، وهي الركائز القوية التي تقوم عليها نهضة الشعوب.

واللغة العربية تعاني في العصر الحديث من مشكلات كثيرة في هذا المجال، ومن أهمها تعدد المصطلحات العربية الموضوعة مقابل المصطلح الأجنبي الواحد، ومردُّ ذلك أساساً إلى اختلاف تكوين العلماء العرب اللغوي في دراستهم العليا، إذ منهم من تابع هذه الدراسة في الجامعات الأمريكية، ومنهم من تابعها في الجامعات الفرنسية، أو في الجامعات الروسية، وإلى عدم الالتزام العام بما تقره مؤتمرات التعريب ولجانه العلمية في مجال المصطلحات، فضلاً عن ضعف قناعة البعض بضرورة تعريب العلوم الطبية والهندسية وما إليها، اعتقاداً منهم أن تعريب هذه العلوم يؤدي إلى تأخرها في الديار العربية، وإلى تدني مستوى الدارسين.

ومعلوم أن النص العلمي ليس مجموعة مصطلحات فحسب، بل هو في حقيقة الأمر ليس أكثر من ألفاظ وجمل عادية تتكرر، وتتنوع بداخلها، هنا وهناك، مصطلحات فنية معينة، يتولى النص أمر شرحها، ودراستها، وتعليلها، وتوضيحها، إذ لا يعقل أن تكون الدراسة الطبية أو الصيدلانية مثلاً عبارة عن مجموعة من المصطلحات لا غير، بعيداً عن اللغة العادية الميسورة.

ويوجد بيننا من يعتقد أن افتقار اللغة العربية إلى المصطلحات العلمية يجعل استخدامها في ميادين العلوم والتكنولوجيا أمراً مرفوضاً جملةً وتفصيلاً. هذا القول فيه الكثير من التَّجنّي على اللغة العربية، لأن المصطلح كما سبق أن ذكرنا ليس أكثر من أداة للتأليف والترجمة،

إنه ضرورة ماسَّة فعلاً للتعريب، ولكن النص ليس جملة مصطلحات فقط، بل هو عرض، وشرح، وتفسير، وإيضاح، وفيه مجموعة من المصطلحات.

فالعرب في العصر العباسي لم يقرؤوا العلوم الأجنبية المعروفة آنذاك باللغات اليونانية، أو الفارسية، أو الهنديَّة، بل نقلوها إلى العربية، ووضعوا لها المصطلحات الكثيرة التي أخذوها عن هذه اللغات، وعن المؤلفات، التي قاموا بترجمتها إلى لغتهم العربية، معتمدين في ذلك مجموعة من الأسس والقواعد اللغوية، التي تمكن اللغة من التطور، واستيعاب المصطلحات الحديثة، وهي ما زالت صالحة للاستخدام، قابلة للتطبيق في هذا الميدان إلى اليوم.

وتمتلك اللغة العربية مجموعة من القواعد اللازمة لوضع المصطلحات التي كانت وما زالت صالحة لتوليد الألفاظ الجديدة أهمها ما يلي:

- **الاشتقاق**

اشتقاق ألفاظ جديدة من أصول عربية، أي أخذ لفظ من لفظ آخر مع وجود تناسب بين اللفظين في المعنى، بحيث يصف تغير اللفظ زيادة في المعنى الأصلي. وهناك ثلاثة أنواع من الاشتقاق في اللغة العربية، هي:

- **الاشتقاق الصغير**: وهو توليد الصيغ الصرفية المختلفة من الأصل الواحد للكلمة. وعدد هذه الاشتقاقات عشرة، هي: الفعل الماضي، المضارع، الأمر، اسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة باسم الفاعل، اسم التفضيل، اسم الزمان، اسم المكان، اسم الآلة. مثال ذلك (سلم) بمعنى السلامة نستخرج منها الصيغ التالية: سلم، يسلم، اسلم، سالم، سلمان، سلمي، سلامة، سليم.

وبعض الباحثين المعاصرين ذهبوا إلى تسمية هذا النوع من الاشتقاق فسموه بالاشتقاق العام لأن الاشتقاق الصغير أصبح عامة في اللغة العربية. ومنهم من ينكر الاشتقاق بدليل أن الكلم كله أصل، ومن العلماء من يطرق طريقة الوسطى في هذا الموضوع، وإلى هذا الرأي

ذهب الدكتور صبحي الصالح فيقول "على أننا في الوقت الذي نجد علماء اللغة يكادون يجمعون على وقوع الاشتقاق الأصغر في العربية وكثرته فيها وتوليده قسما كبيرا من متنها، حتى أفرد الاشتقاق بالتأليف جماعة من المتقدمين منهم الأصمعي وقرطبي وأبو الحسن الأخفش وأبو نصر الباهلي والمفضل بن سلمة والمبرد وابن دريد والزجاج وابن السراج والرماني والنحاس وابن خالويه، نلفي طائفة قليلة من الباحثين القدامى ينكرون وقوع الاشتقاق بأنواعه كافة زاعمين أن الكلم كله أصل ولا يقل عن هذا الزعم غلوا وإغرابا قول طائفة من المتأخرين اللغويين كل الكلم مشتق. أما الرأي العلمي الجدير بأن ننتصر له فهو ما ذهب إليه المؤلفون في الاشتقاق الذين ذكرنا أسماءهم آنفا من أن بعض الكلم مشتق، وبعضه غير مشتق."[١]

- **الاشتقاق الكبير:** وهو توليد كلمة من كلمة أخرى بتغيير مواضع حروفها مثل (شرب) نولِّد منها: برش، شبر، بشر، ربش، رشب. وهكذا تنقلب اللفظة الثنائية الأحرف إلى صورتين، والثلاثية إلى ستة صور، والرباعية إلى أربع وعشرين صورة، والخماسية إلى مئة وخمسين صورة.

ويقول الدكتور صبحي الصالح أنه "يميل بعض الباحثين المعاصرين إلى القول بأن أصحاب الاشتقاق الكبير اقتبسوا فكرة تقليب الأصول من معجم العين لخليل بن أحمد وأمثاله، فقد سلك صاحب العين وصاحب الجمهرة ابن دريد وغيرهما مسلكا عجيبا في ترتيب الكلمات، فكان كل منهم حين يعرض لشرح كلمة من الكلمات يذكر معها تقلباتها، ويذكر معنى كل صورة من صورها دون التعرض للربط بين دلالات تلك الصور. فهي طريقة إحصائية أو قسمة عقلية لجأ إليها أصحاب هذه المعاجم بغية حصر كل المستعمل من كلمات اللغة، وخشية أن يند بعضها عن أذهانهم. فلما جاء أصحاب الاشتقاق من أمثال ابن

[١] الدكتور صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص: ١٧٥

جني وابن فارس ربطوا أيضا بين دلالات تلك الصور، واستنبطوا معاني عامة مشتركة بينها، وسمي هذا بالاشتقاق الكبير."[١]

والدكتور علي أبو المكارم يقدم رأي ابن جني في اتجاه هذا الصدد فيقول "الاشتقاق الكبير، يطلق عليه ابن جني مصطلح الاشتقاق الأكبر، وهو إتحاد مجموعات الكلمات في الحروف دون الترتيب ، أي إن اتحاد أي مجموعة من الكلمات في مجموعة الحروف الأساسية – بصرف النظر عن ترتيب هذه الحروف – كفيل بأن يسبغ عليها جميعا معنى عاما مشتركا. يقول ابن جني معبرا عن ذلك "وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه، ويمثل لذلك بنحو اجتماع الكاف واللام والميم في كلم، وكمل، وملك، ومكل ولكم، ولمك: فإن بينها جميعا قدرا مشتركا من معنى القوة والشدة. ونحو اجتماع القاف والواو واللام في قول، وقلو، ووقل، وولق، ولقو، ولوق فإن المعنى المشترك بينها هو الإسراع والخفة، ومن ذلك أيضا اجتماع اللام والفاء والتاء في لفت، وفتل، وتقليباتها. واجتماع الفاء والسين والقاف في فسق، وفقس وتقليباتها، وقفس، والمعنى الذي تدل عليه الخروج من الشيء والانسلاخ منه، واجتماع القاف والسين والواو في قسو، وقوس ، ووقس ، ووسق، وسوق فإنها تدل على القوة والاجتماع ونحو سمل، وسلم، ومسل، ولمس، وملس، ولسم والمعنى الجامع لها هو الإصحاب والملاينة. واجتماع الغين والميم والضاد في نحو غمض ومضغ، وتقليباتها فإنها تدل على الطامن والإخفاء".[٢]

- **الاشتقاق الأكبر:** وهو اتفاق كلمتين في حرفين من حروفهما، واختلافهما في الثالث مع وجود صلة بينهما بالمعنى. مثل: كدَّ وكدح، قصَّ وقصم، نعق ونهق.

[١] المرجع نفسه ص: ١٨٩ - ١٩٠
[٢] الدكتور علي أبو المكارم، التعريف بالتصريف، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص: ٢٢٣- ٢٢٤

يقول صبحي الصالح عن رأي اللغويين في هذا الصدد "إنهم هنا لا يواجهون مادة تدل بترتيبها نفسه على معنى معين ولا يخالفون في ترتيبها، فيقلبون على وجوهها المحتملة وتظل مع ذلك هي بأحرفها وأصواتها، فيعتقدون باتحاد مدلولها أو تقاربه، وإنما يواجهون أول الأمر مادة، ويلاقون آخر الأمر مادة جديدة، فيستبدلون الثانية بالأولى، ويستعيضون بأصوات الثانية عن أصوات الأولى، لأن المخارج متقاربة، أو الصفات متماثلة، ولأن أخا الصوت كأنه الصوت نفسه، فلا فرق بين الأصل والفرع، ولا بين الصوت وصداه، فلك أن تتصور مدى التكلف الذي يقع فيه الاشتقاقيون عندما يؤكدون في مثل هذا الاشتقاق الأكبر أن الصورة "البدلية" لا بد أن تعوض الصورة "الأصلية" في مدلولها وإيحائها."

وهو يقول أيضا "ولقد اصطلحوا على أن الاشتقاق الأكبر هو ارتباط بعض المجموعات الثلاثية الصوتية ببعض المعاني ارتباطا عاما لا يتقيد بالأصوات نفسها بل بترتيبها الأصلي والنوع الذي تندرج تحته. وحينئذ، متى وردت إحدى تلك المجموعات الصوتية على ترتيبها الأصلي فلا بد أن تفيد الرابطة المعنوية المشتركة، سواء احتفظت بأصواتها نفسها أو استعاضت عن هذه الأصوات أو بعضها بحروف أخرى تقارب مخرجها الصوتي أو تتحد معها في جميع الصفات. ومن ذلك تناوب اللام والراء في هديل الحمام وهديره، والقاف والكاف في كشط الجلد وقشطه، والباء والميم في كبحت الفرس وكمحته... وهذه الأمثلة كلها في تقارب المخرج الصوتي. ومن الأمثلة على الاتفاق في الصفات: تناوب الصاد والسين في سقر وصقر، وسراط وصراط، وساطع وصاطع، ومسقع ومصقع وهكذا."[١]

فالاشتقاق في اللغة العربية هو أحد مظاهر حيويتها، وقدرتها على التطور والتجديد، ومن خلاله يمكن معرفة الألفاظ الدخيلة والأصلية.

[١] الدكتور صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص: ٢١٠–٢١١

➢ **تضمين الألفاظ العربية معاني جديدة:** ومن طرق صياغة الألفاظ المصطلحات الجديدة لسد حاجات العصر الحديث تضمين الألفاظ القديمة المتداولة معاني جديدة التي لم تكن لها عهد، مثلا: السيارة التي كانت تستخدم للقافلة، والطيارة التي كانت تعني الفرس الشديدة. وهو ما يسمى بالمجاز، ويفيد في استخدام ألفاظ قديمة موجودة في معجماتنا العربية، ولم تعد مستخدمة اليوم، لمعان جديدة حديثة. ومن الأمثلة الأخرى على المجاز نذكر استخدام لفظة (رشاش) (Mitrailleuse) وهي من رشَّ الماء، واستخدام لفظة (عاصمة) (Capitale) وهي من عصم وحمى، ولفظة (جريدة) (Journal) وهي من جريدة النخل، وغيرها كثير. وفي هذا المجال يمكن الرجوع إلى كتب الفقه لوضع المصطلحات القانونية، وكتب الطب للمصطلحات الطبية، وكتب النبات للمصطلحات النباتية.

وتكمن سلبيات هذه الطريقة باحتمال اختلاط مفهوم اللفظة الحديثة بمفهومها القديم، مما قد ينتج عنه ترادف، واشتراك لفظي غير محبَّذ. ولكن هذا يستعان كثيرا في سد الحاجات إلى المصطلحات الحديثة.

➢ **النحت:** وهو وضع كلمة جديدة من كلمتين أو أكثر، وتكون آخذة بحظ ، مثل: البسملة من بسم الله الرحمن الرحيم، والحمدلة من الحمد لله ربِّ العالمين، ومنها: برمائية، من بر - مائية، وحينبات من حيوان - نبات، والتركيب المزجي أيضا أحد وسائل النحت، مثلا: لاسلكي، لامتناهي، فوبنفسجي، تحشعور.

➢ **الاقتراض والاستعارة من اللغات الأخرى**: واللغات تستعين بعضها ببعض منذ القدم، وما زال ذلك يحدث إلى اليوم لدى جميع الأمم. فلو بحثنا في بطون معجماتنا العربية مثلاً عن أصول عربية للميكروسكوب، والترمومتر، والإلكترون، والنيترون، والتلفزيون وما إليها، ولم نجد الألفاظ المناسبة التي يمكن أن تؤدي معناها، ففي الاقتراض والاستعارة

التجاء لها. وقد سمح مجمع اللغة العربية في القاهرة بذلك، ولكنه قيَّده بالضرورة، خشية أن تغمر لغتنا العربية بطوفان من الألفاظ الأجنبية، ذلك لأن اللغة العربية غنية عنها، ولأن في بطون معجماتنا مئات الألوف من الكلمات المهجورة، الحسنة النغم والجرس، الكثيرة الاشتقاق، مما يصلح أن توضع للمسميات الحديثة، ولأن بعثها من مراق الإهمال والنسيان يصيِّرها كأنها موضوعة وضعاً جديداً، وجدير بالذكر أن العرب قد قاموا بوضع المعجمات اللغوية، قبل أن يؤلف أول معجم باللغات الأوروبية الحديثة بما لا يقل عن تسعة قرون (أول معجم عربي أُلِّف في القرن التاسع الميلادي، بينما لم يخرج أول معجم أوروبي إلاّ في القرن السابع عشر الميلادي).

ومن المعاجم المهمة معجم الصحاح للجوهري الذي يقع في ستة مجلدات ويحوي (٤٠) ألف مادة مشروحة، ومعجم لسان العرب لابن منظور يقع في خمسة عشر مجلداً، وفيه (٨٠) ألف مادة مشروحة، ومعجم تاج العروس للزبيدي يقع في طبعته الحديثة في ستة وعشرين مجلداً، وفيه (١٢٠) ألف مادة مشروحة. أما المكانز (Thesaurus) التي تستخدم اليوم في مجال التخزين والاسترجاع الآلي للمعلومات عن طريق الحواسيب، والتي ينسب الأوروبيون أصلها إلى العالم البريطاني (روجيه) عند منتصف القرن التاسع عشر في معجمه:

(words and phrases s international thesaurus of English،Roget)

فإن العرب قد سبقوا هذا الأخير في وضع هذا النوع من المؤلفات اللغوية، بما لا يقل عن تسعة قرون أيضاً. أما الألفاظ التي يفضل أخذها عن طريق الاستعارة والاقتراض فهي المصطلحات ذات الصيغة العلمية مثل:

إليكترون (Electron)

ترانزيستور (Transistor)

كالوري (Calorie)

وكذا الألفاظ المركبة من حروف ومختصرات متعارف عليها دولياً مثل:

يونسكو : (UNESCO) منظمة التربية والعلوم للأمم المتحدة

يونسيف : (UNICEF) صندوق الطوارئ الدولي للأطفال للأمم المتحدة

يونيدو : (UNIDO) منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية[١]

وقد وضع العرب في العصر الحديث عشرات الآلاف من المصطلحات الحضارية والعلمية، صنَّفوها داخل معجمات متخصصة، أصدر مكتب تنسيق التعريب في الرباط (٣٤) معجما[٢].

وفي مجال المعجمات الطبية أصدر العرب عددا كبيرا من المعاجم . وقد أسهم في هذه المجهودات الكبيرة المجامع اللغوية في دمشق، والقاهرة، والعراق، والأردن، وكذا الجامعات العربية وأساتذتها، ولا سيما من قام منهم باستخدام اللغة العربية في التدريس، وجدير بالذكر أن الجامعات السورية تستخدم اللغة العربية لتدريس جميع العلوم بما فيها الطب والصيدلة والهندسة وجميع الفروع العلمية الأخرى عدا اللغات الأجنبية. وقد أسهمت هذه الجامعات إسهاماً كبيراً في إغناء المكتبة العربية بالمؤلفات المبتكرة والترجمة في هذه الميادين.

- **قواعد النقحرة (الكرشنة) = النسخ الحرفي واللفظي**

النقحرة هي الطريقة التي يأوي إليه علماء اللغة عند الضرورة لنقل فكرة أو مصطلح من لغة إلى أخرى حيث لا يوجد لفظ مرادف له في لغة الهدف فبالنسبة إلى العربية هي رسم الحروف اللاتينية وغيرها بالحروف العربية، وبخاصة في الأصوات التي لا يوجد ما يعبّر

[١] سيد إحسان الرحمن، قاموس المختصرات، إنجليزي – عربي، وايس بابليكيشان، نيو دلهي، الهند، ٣١٦ - ٣١٧
[٢] www.arabization.org. ma / 20 – 11 - 2012 (مكتب تنسيق التعريب – سلسلة المعاجم)

عنها بالحروف العربية مثل الأصوات (é،è ،g ،q ،u ،v)، فالحرف (v) مثلاً يرسم في العربية بحرفين هما (ف، ق) والثاني منهما ليس من الحروف العربية المعروفة، وصوت (G) يرسم بالعربية بالحروف (غ، ك، ج)، وهكذا فإن لفظة (Angleterre) مثلاً ترسم في العربية بأشكال متعددة هي: إنجلترا، انكلترة، انكلترا، انقلتيرا، كما أن لفظة (Strasbourg) ترسم ستراسبورغ، استراسبورغ، شتراسبورج، وهكذا...

وقد ورد في معجم "المورد" إنه نقل حروف لغة إلى حروف لغة أخرى، أو يكتب لغة بحروف لغة أخرى.[١]

وكان المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية بتونس، قد وضع الجزء الأول من مواصفة تونسية لتعريب الأصوات الأعجمية الخاصة بالصوامت، معتمداً في ذلك أربعة مبادئ أساسية هي على التوالي:

- الصوت الأعجمي له صوت عربي واحد، مهما اختلف لفظ الصوت الأعجمي.
- المصطلحات المخالفة لقواعد هذه المواصفة، ولكنها أصبحت شائعة، لا تخضع لقواعد المواصفة، بل تبقى على حالها الذي اشتهرت به.
- الصوت المكرر يتم تمثيله بصوت واحد مشدَّد لا صوتين.
- تهمل الحروف التي لا صوت لها في المصطلح.

ومن الأمثلة:

بروتين	Protein
ميكرويه	Microwave

[١]. منير البعلبكي، المورد، قاموس إنكليزي – عربي، دار العلم للملايين، ١٩٩٨م ، ص: ٩٨٥

كاربونيت	Carbonate
فوتو غرامتري	Photogrametry
باغودة	Pagoda
إنزيم	Enzyme[١]

فالتركيز، في منهج النقحرة، على الأصوات لا على حروف الكلمات الأعجمية. وذلك لسهولة الكتابة وسهولة إدراك الكلمة في اللغة العربية وإلا ليلتبس القارئ وتصبح كلمة غريبة توحي مفهوما غريبا. وإنه خير وسيلة للتفريق بين الكلمات الأصلية والمعربة أو المقترضة. وفي بعض الأحيان يزاد في الكلمات المعربة حروف العلة، فمثلا: كلمة (راديو)، و(كاميرا) وغيرها.

الخاتمة:

قد رأينا في الصفحات السابقة أن علم الدلالة العربية هو في سبيل التطور والنماء في العصر المعاصر. وهو علم يعالج معاني الألفاظ والكلمات في اللغة العربية. والمعنى هو أهم نقطة في علم اللغة العربية لأنه إنما تصاغ الألفاظ والكلمات لأن يؤدي بها المعاني في المناسبات المختلفة. ينقسم معاني الألفاظ في علم اللغة العربية إلى ثلاثة أقسام وهي المعنى الوظيفي والمعنى السياقي والمعنى المعجمي.

والمصطلحات الجديدة في اللغة العربية إنها تتكون وتستعمل وتصبح شائعة نتيجة لظواهر ثلاثة، وهي تخصيص الدلالة أو تضييق المعنى وتعميم الدلالة أو توسيع المعنى وانتقال الدلالة. وفي بعض الأحيان لتتعدد المعاني للفظ واحد كما توجد كلمات متعددة لمعنى واحد فالأولى يعرف بالمشترك اللفظي والثاني يعرف بالترادف في اللغة العربية.

[١]. مجلة التقدم العلمي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، العدد ٦٩، يونيو ٢٠١٠م ص: ٦ - ١١٥

ولم يزل العالم يتطور ويرتقي يوما فيوما والثقافة والعادات تختلف في مختلف أنحاء العالم. وقد حدث انفجار العلوم في مختلف مجالات الحياة بما فيها التجارة والتكنولوجية والعلوم المختلفة. وكل هذه الظواهر تقتضي مصطلحات وتعابير جديدة تؤدي المعاني الجديدة كما تسمى بها الآلات الجديدة المخترعة.

وقد قدم علماء فقه اللغة العربية مناهج مختصة لتعريب المصطلحات الجديدة وصياغة الألفاظ الجديدة لسد حاجات العصر المعاصر. ومنها الاشتقاق بأنواعها الثلاثة، هي الاشتقاق الصغير والكبير والأكبر، وتضمين الألفاظ القديمة المعاني الجديدة ووضع تركيب مزجي من كلمتين أو أكثر، والاقتراض والاستعارة والمجاز والنقحرة، وغيرها من المناهج اللغوية.

واللغة العربية هي لغة حية من اللغات السامية وإنه قد جاوز القرون الطويلة في مسيرتها ولم تندثر واختفت من متناول أصحاب ناطقيها أو تغيرت وأصبحت لغة أخرى كما حدثت في بعض أخواتها من أسرة اللغات السامية. والعربية هي لا تزال أقرب إلى لغة الأم من اللغات السامية، وكيف لا، لأن الله هو الذي قام بضمان لحفظ سلامة هذه اللغة.

وقديما قد وضع علماء اللغة العربية أصولا ونظاما للغة العربية. فلها أوزان وقوالب مختصة لكل صورة من صور ألفاظها. فبواسطتها يشتق الألفاظ من أصل الكلمة. والمصدر هو اصل الكلمات العربية وللمصادر صيغ مختصة لكل من الثلاثي والرباعي من الأفعال لكافة أوزانها المختلفة. فهذه الصيغ للمصادر تعد قوالب للأخرى وكثيرا ما يقاس عليها في صياغة المصطلحات الحديثة.

وللمصادر أنواع ومنها اسم المصدر والمصدر الميمي والمصدر الصناعي. والمصدر الصناعي هو من ابتكار العصر الحديث وهي كلمات جامدة لا مصادر لها في الأصل،

ولكن اشتقوا منها المصادر للوفاء بحاجات العصر الحديث وسموها المصادر الصناعية، مثلا: وطنية وقومية وإنسانية وغيرها.

والمشتقات من الأسماء لها صيغ خاصة في اللغة العربية ولها أهمية كبرى في العصر الحديث حيث تصاغ بها لتسمية المخترعات الحديثة وسد حاجات المصطلحات العلمية والسياسية والاقتصادية وغيرها في مجالات الحياة الجديدة ومنها اسم الفاعل والمفعول وصيغ المبالغة والصفة المشبهة واسم التفضيل واسم الزمان والمكان واسم المرة والهيئة واسم الآلة.

ويشتق الصور الجديدة للألفاظ من صيغ الأفعال أيضا، ومن الأفعال ثلاثي ورباعي ولكل منهما صيغ المجرد وصيغ الزوائد أيضا. ولهذه الصيغ من المجرد والزوائد من الثلاثي والرباعي معان تقليدية يقاس عليها غالبا. وهذه المعاني التقليدية كثيرا ما يستعان بها في صياغة الألفاظ الجديدة في العصر المعاصر.

وهذه القواعد والنظريات هي التقليد اللغوي في فقه اللغة العربية. وقائمة على هذه الأصول والنظام إن اللغة العربية تتطور وتنافس مع الأخرى من اللغات العالمية الحديثة. علماء اللغة العربية ومؤسسات العالم العربي مثل المجامع اللغوية والعلمية تبذل جهودها في هذا السبيل.

فالدلالة للألفاظ تتغير في بعض الأحيان لأسباب بما فيها التحول الاجتماعي والثقافي وحاجة المناسبات وكثرة الاستعمال وغيرها. فتتغير دلالات الألفاظ والتعابير القديمة وتؤدي إلى دلالات جديدة وتصبح شائعة وواسعة الاستعمال حتى تصبح مصطلحا جديدا يضاف إلى معاجم اللغة العربية. فهذه الظواهر الجديدة تغني اللغة العربية وتجعلها لغة حية في العصر الراهن.

المصادر والمراجع

- أحمد محمد المعتوق، **الحصيلة اللغوية**، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٦م.
- الأستاذ الشيخ أحمد الحملاوي، **كتاب شذى العرف في فن الصرف**، الطبعة السادسة عشرة، شركة مكبتة ومطبعة مصطفى السابي وأولاده بمصر، ١٩٦٥م.
- الأستاذ محمود مختار، **الرموز والوحدات والدلالات في اللغة العلمية العربية**، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، ١٩٨٦م.
- الأستاذ معين الدين الأعظمي، **منهج الترجمة الإنجليزية – العربية**، الطبعة الثانية، مكتبة الهدى كالكوت، كيرالا، الهند، ٢٠٠٦م.
- تسيفن أولمان، ترجمة: كمال بشر، **دور الكلمة في اللغة**، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر.
- الدكتور بشير أحمد جمالي، **المقارنة بين النحو العربي والإنجليزي – دراسة مقارنة**، الطبعة الثانية، عرب نت، كالكوت، كيرالا، الهند، ٢٠٠٥م.
- الدكتور تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، دار الثقافة، شارع فكتور هيوكو، المغرب، ١٩٩٤م.
- الدكتور حبيب الله خان، **دروس في الترجمة الصحفية**، دار السلمان للطباعة والنشر، نيو دلهي، ٢٠٠٨م.
- الدكتور حماد والدكتورمحمد عيسى والدكتور أحمد كشك، **المعجم العربي وعلم الدلالة**، دار النشر الدولي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٦م .

- الدكتور صبحي الصالح، **دراسات في فقه اللغة**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- الدكتور صلاح حامد إسماعيل، **الترجمة العربية والانجليزية – المشكلة والحل**، أطلس للنشر والانتاج الإعلامي، القاهرة، ٢٠١٠م.
- الدكتور علي أبو المكارم، **التعريف بالتصريف**، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- الدكتور فايز الداية، **علم الدلالة العربية – النظرية والتطبيق**، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٩م.
- الدكتور فريد عوض حيدر، **علم الدلالة – دراسة نظرية وتطبيقية**، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- الدكتور محمد التوني، **المعرب والدخيل في اللغة العربية وآدابها**، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.
- الدكتور محمد حسن عبد العزيز، **التعريب في القديم والحديث**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٠م.
- الدكتور ناصر حسين علي، **الصيغ الثلاثة – مجردة ومزيدة فيه اشتقاقا ودلالة**، المطبعة التعاونية بدمشق، ١٩٨٩م.
- الدكتور ناصر حسين علي، **الصيغ الثلاثية مجردة ومزيدة اشتقاقا ودلالة**، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٩٨٩م.
- الدكتور ناصر محمد السويدان، **تعريب مصطلحات المكتبات والمعلومات وتوحيدها**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٢م.

الدراسات الأدبية والفكرية

ترجمة القصص الهندية المنشورة في مجلة "ثقافة الهند"

د. محمد قطب الدين*

إن مجلة "ثقافة الهند" مجلة عربية علمية وثقافية قيمة يصدرها المجلس الهندي للعلاقات الثقافية التابعة لوزارة الخارجية الهندية، وصدر أول عدد لهذه المجلة في مارس عام ١٩٥٠م من مقرها الرئيسي نيودلهي، ولاتزال تصدر حتى يومنا هذا بدون انقطاع. وكما يتضح من اسمها أنها تهدف إلى توطيد العلاقات والروابط بين الهند والبلدان العربية كما تحاول التبادل الثقافي واللغوي والعلمي بين الهنود والعرب، وإن الروابط الثقافية إذا كانت متينة وقوية، يزول التنافر والتحاسد من بين الشعوب وتسود المودة والمؤاخاة بينهم، كما يصرح بذلك مولانا أبو الكلام آزاد وهو مكتوب فوق غلاف المجلة :"التعاون الثقافي ضروري من وجهة النظر الأممية كذلك، فإننا إن تمكنا من إنشاء كتل كبيرة على أساس الصداقة وحسن النية، زالت أسباب الارتياب والتنافر من بين الشعوب وقدرنا على تنمية التفاهم وتدعيم السلام العالمي، وقد أثبتت التجارب أن الروابط الثقافية تعمل في توحيد الشعوب أكثر مما يعمل الاتحاد السياسي، لأن الاتحاد السياسي قوامه النفس الذاتي، بينما العلاقات الثقافية تأتي بالتفاهم العام، وإن الحاجة إلى مثل هذا التفاهم أشد اليوم لما نراه من اليقظة الجديدة في الشرق. فقد عمت الشرق كله حركة للتجدد العلمي والثقافي تستحق أن تُدرس بعناية وعطف."[١]

وإنها بمثابة سفير هندي ثقافي لدى البلدان العربية وممثل هندي ثقافي للناطقين باللغة العربية والمهتمين بشؤون الحضارات والثقافات. حظيت المجلة بالقبول والاعتراف لدى

* **أستاذ مساعد، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهرلال نهرو**

[١] مجلة "ثقافة الهند" المجلد الأول، العدد الأول، مارس ١٩٥٠م،

الأكاديميين الكبار والباحثين بسبب فائدتها ومستواها العلمي والبحثي بالإضافة إلى تنوع المقالات وجودتها المنشورة على صفحاتها في كل عدد من الأعداد. واطلع عدد كبير من الناس على ثقافات الهند وحضاراتها وتطوراتها العلمية والأكاديمية عن طريق هذه المجلة واعترفوا بقيمتها كمّا وكيفا. فكانت ولاتزال تلعب دورا بارزا منذ بدايتها في مجال توسيع العلاقات وتوطيدها بين الهند والبلدان العربية،

وعلى أساس التفاهم الثقافي تزداد الروابط بين الهنود والعرب في جميع المجالات الحياتية من التعليم والزيارة والسياحة. وبما أن الهند بلد توجد فيها ثقافات متنوعة ولغات مختلفة، فتكون معظم مقالاتها مترجمة من اللغات المختلفة من أمثال الإنجليزية والهندية والأردية والبنغالية والتاميلية وما إلى ذلك من اللغات الأخرى التي تنطق وتفهم وتكتب في الهند، ويضاف إلى ذلك القصص القصيرة التي تترجم إلى اللغة العربية وتنشرعلى صفحات هذه المجلة الثقافية مما تزداد المجلة قيمة وروعة وبهاء.

ولا ريب فيه أن القصة القصيرة تكون مبنية على حوادث حياتنا اليومية ،سواء كانت فردية أو اجتماعية. والإنسان لا يستخدم اليوم هذا الفن لمجرد التسلية والمتعة والرفاهية فحسب بل لكي يطل على ما يجري في المجتمع من العادات والتقاليد أيضا. ومن خلال هذا الفن يمكن لنا أن نربي أجيالنا الناشئين تربية حسنة. فإن القصص والحكايات تحمل في طياتها الأخبار والوقائع والحوادث التي تكون مرآة لمجتمع هندي . فاطلع القراء العرب على معيشة الهنود وتقدمهم في مختلف المجالات الحياتية. فإن القصص المترجمة من اللغة الأردية أو الهندية أو الإنجليزية أو البنغالية أو التاميلية ربما ترُجمت إلى العربية مباشرة وربما غير مباشرة ليتمكن القراء من الاطلاع على ما يحدث في المجتمع الهندي والآداب الهندية كذلك.

وإن مجلة "ثقافة الهند" منذ أول يومها اعتنت بهذا الفن من الأدب الهندي ونشرت عشرات من القصص القصيرة من الهند المترجمة إلى اللغة العربية وقامت بتعريف ثقافة الهند وحضارتها وأبلغتها إلى البلدان العربية.

فإذا تصفحنا أعداد المجلة نجد عددا لا بأس به من القصص الممتعة المنشورة في أعدادها المختلفة وهي التي كتبها القاصون الهنود المشهورون. وفي هذه المقالة المتواضعة الموجزة لم أتمكن أن أفيد حضراتكم موضوع القصة في لغتها المصدر، فانا أكتفي بذكر العنوان الذي نالته القصة في لغة الهدف وهي اللغة العربية. وأنا أذكر القصص على سبيل المثال قصة "عقارالغابة"[١]لأمريتا بريتم، ترجمها سراج الحسن وقصة "تعليم الببغاء"[٢]لرابندر ناث تاغور وترجمها ظفرالإسلام خان، وقصة "العقارالمسجل"[٣]لفقيرموهان سيتا باتي وترجمها ولي أختر الندوي، وقصة "في انتظارالبوذا"[٤] لأنيل تشاندرا وترجمتها فرحانة صديقي وقصة " قينة الشاه"[٥]لأمريتا بريتم وترجمها سراج الحسن " و "بطانية"[٦] لسخا أحمد وترجمها س يد إحسان الرحمن و قصة " زهرة ذابلة"[٧] لمايا بردهان وترجمها سيد إحسان الرحمن و قصة "حادثة"[٨]لإظهارعثماني وترجمها سيد إحسان الرحمن و قصة "المجرم"[٩] لأديب أختر وترجمها سيد إحسان الرحمن و قصة " كابولي والا"[١٠]لرابندرناثتاغور

[١] مجلة "ثقافة الهند" العدد، ٤- ٢، المجلد ٤٤، ١٩٩٣

[٢] مجلة "ثقافة الهند" العدد، ٤-١ ، المجلد ٤٧ ، ١٩٩٤

[٣] مجلة "ثقافة الهند" العدد، ٢-٣ ، المجلد ٤٩، ١٩٩٨

[٤]مجلة "ثقافة الهند" العدد، ٤ ، المجلد ٥١ ،

[٥]مجلة "ثقافة الهند" العدد،٢-٤، المجلد ٤٤، ١٩٩٣

[٦]مجلة "ثقافة الهند" العدد، ٢-٤، المجلد ٥٣، ٢٠٠٢

[٧]مجلة "ثقافة الهند" العدد، ٢، المجلد ٥٦،٢٠٠٥

[٨]مجلة "ثقافة الهند" العدد،١-٢، المجلد ٥٤ ،٢٠٠٣

[٩]مجلة "ثقافة الهند" العدد، ٣-٤ المجلد ٥٤ ، ٢٠٠٣

[١٠]مجلة "ثقافة الهند" العدد٣، المجلد ٥٥، ٢٠٠٤

وترجمها سعيد الرحمن و "امتحان"[١] لبريم تشند وترجمها محمد أنصار أحمد وقصة "النفس الثاني"[٢] لعابد سهيل وترجمها سيد إحسان الرحمن وقصة "توقفت الأحداث"[٣] لحسين الحق وترجمها سيد إحسان الرحمن وقصة "جواب"[٤]لأكليش وترجمها سيد إحسان الرحمن وقصة"إتاوه"[٥] لأرون بركاش وترجمها سيد إحسان الرحمن وقصة "الريف" لإم .موكوندان وترجمتها فرحانة صديقي وقصة"من مات ومن قُتل" لفيد راهي وترجمتها فرحانة صديقي وقصة"شهيق" [٦]لأشوك باتواري وترجمها سيد إحسان الرحمن و "البيت من غيرالباب"[٧] لمراق مرزا وترجمها سيد إحسان الرحمن و"الوالد" لتسنيم فاطمة وترجمها سيد إحسان الرحمن و"أناس مفتوحي الذهن"[٨] لمحمد رفيع الدين مجاهد وترجمها سيد إحسان الرحمن و "المنعطف الجديد" لبانوسرتاج وترجمها سيد إحسان الرحمن و"ما أعجب إبن آدم" لأختر محي الدين و"عيدية" لرضا جعفري وترجمها سيد إحسان الرحمن ، و"منظرحائل بينهما"[٩] لقرة العين حيدر وترجمها ثمامة فيصل و"حصار الذكريات" لطه أفندي وترجمها سيد إحسان الرحمن و"كيف حدث ومتى" لجيه بهاكيه لكشمي وترجمها إس.إيه. صديقي وأوضة"[١٠] لمظهر سليم وترجمها سيد إحسان الرحمن، و"الزهرة والشوكة"[١١] لأشوك

[١]مجلة "ثقافة الهند" العدد، ٣-٤، المجلد ٥٤، ٢٠٠٣
[٢]مجلة "ثقافة الهند" العدد، ٢، المجلد٥٧، ٢٠٠٦
[٣]مجلة "ثقافة الهند" العدد،٢-٣ المجلد ٥٨ ، ٢٠٠٧
[٤]مجلة "ثقافة الهند" العدد، ٤ المجلد ٥٥، ٢٠٠٤
[٥]مجلة "ثقافة الهند" العدد، ١، المجلد ٥٦، ٢٠٠٥
[٦]مجلة "ثقافة الهند" العدد، ٤، المجلد ٥٨، ٢٠٠٧
[٧]مجلة "ثقافة الهند" العدد، ٣، المجلد ٥٧، ٢٠٠٦
[٨]مجلة "ثقافة الهند" العدد، ٣، المجلد ٥٩، ٢٠٠٨
[٩]مجلة "ثقافة الهند" العدد، ١ المجلد ٦٠، ٢٠٠٩
[١٠]مجلة "ثقافة الهند" العدد، ٢، المجلد ٢٠٠٤،٥٥
[١١]مجلة "ثقافة الهند" العدد، ١-٢، المجلد ٥٩، ٢٠٠٨

باتواري وترجمها سيد إحسان الرحمن، و"الإقطاعي"[١]لجوكيندربال وترجمها سيد إحسان الرحمن، و"الصلصة الحمراء"[٢]، لبالديف شانت وترجمها سيد إحسان الرحمن، و"زاهدة مقدس"[٣] لنكار عظيم وترجمها تنوير عالم ، و"الهوية" لصغرى مهدي وترجمها نسيم أختر الندوي ، و"جدة سوامينا ثان"[٤] لآر كيه نارينان وترجمها حبيب الله خان ،و"إنها ماتت"[٥] ترجمها سيد محمد طارق و"شأن مؤقت"[٦]لجومبالاهيري وترجمها مروة هاشم وما إلى ذلك.

إن جميع القصص المنشورة في هذه المجلة قصص رائعة وناضجة من حيث الفن القصصي والأدبي ومرآة صافية للمجتمع وحكاية صادقة عن كل ما يحدث في حياتنا الاجتماعية الهندية. ويمكن للقراء أن يتلقوا دروسا وعبرا منها، وعلى سبيل المثال نجد أن القصة القصيرة "زاهدة مقدس" لنكارعظيم بعنوان "زاهدة مقدس" " تدور حول سيدة بذلت كل ما لديها من كل غا ل ونفيس لينال ابنُها الوحيد التعليم العالي الممتاز، ولكن من سوء حظها لم يكن رد الولد لجميلها إلا لطمة". (ثقافة الهند، المجلد ٦٠ ، العدد ٣، ٢٠٠٩ .) و "أما قصة "جدة سواميناثان" فهي قصة قصيرة كتبها كيه. آر. نارايانان وهو يحكي عن حياة طفل عاش مع سيدة كبيرة في السن وهي جدتها ،وهذا الطفل يحكي عن جدتها كيف عاشت هي وكيف كانت تتعامل مع هذا الطفل"[٧].و إن قصة "تعليم الببغاء" لرابندرناث

[١]مجلة "ثقافة الهند" العدد، ٤، المجلد ٢٠٠٨،٥٩

[٢]مجلة "ثقافة الهند" العدد، ١، المجلد ٥٧، ٢٠٠٦

[٣]ثقافة الهند، ، العدد ٣، المجلد ٦٠، ٢٠٠٩

[٤]ثقافة الهند، ، العدد ١، المجلد ٦١، ٢٠١٠

[٥]ثقافة الهند، ، العدد ٢، المجلد ٦٤، ٢٠١٣

[٦]ثقافة الهند، ، العدد ٣، المجلد ٦٢، ٢٠١١

[٧] ثقافة الهند، المجلد ٦١، العدد ١، ٢٠١٠.

طاغور "تتناول أخطاء ونقائص في مدارسنا وجامعاتنا. والأسلوب الذي ابتكره طاغور لمعالجة هذه القضية قديم جديد يتصل بماضي حكمة الهند القديمة. ولن ننسى ، ونحن نقرأهذه القصة، كتاب كليلة ودمنة الذي وضعه الحكيم الهندي بيدبا وترجمه إلى العربية ابن المقفع، إن كلا من طاغور وبيدبا يستخدم الحيوانات لإبراز معان تنطبق على البشر الأحياء. ويمكننا أن نفهم بدون صعوبة أن "الببغاء" في القصة هو (التلميذ) و"المالك" و"المهاراجا" و "مستخدمو البلاط" هم (هيئة التدريس).. أما "القفص" فهو المدرسة التقليدية.

ويحلو لي أن أقدم للقراء نموذجا لهذه القصة لكي يتمتعوا من القصة والترجمة على حد سواء فيكتب "سُرالمهاراجا كثيرا حين وصلته أخبار الببغاء العبقري الذي كان يملكه أحد رعاياه في قرية نائية من مملكته المترامية الأطراف. فأصدر المهاراجا من فوره الأوامر بإحضار الببغاء ومالكه أمامه، وزُين البلاط بأفخر الزينات لاستقبال الببغاء العبقري ومالكه المحظوظ. وكان الببغاء في حقيقة الأمرذكيا وجريئا وطليق اللسان. ولكن اتضح للمهاراجا أنه مصاب بداءين خطيرين. أولهما أن الببغاء لم يعرف الهدوء والسكينة وكان يتصرف تصرفات الأطفال. وثانيهما أنه كان يجهل التعاليم الدينية جهلا مطلقا. أما إلمامه بالمعارف العامة فكان دون الصفر. وكان المهاراجا أذكى الرجال في المملكة ، وكان يعرف جيدا أن مرض الجهل من أخطرالموبقات، فالأمي يأكل نفس مقدار الطعام الذي يستهلكه المثقف، إلا أنه يسيء إلى المملكة بسبب جهله ولا يفيدها في شيء. ودعا المهاراجا المسؤولين عن التعليم والتربية في المملكة وأمرهم بتدبير نظام تربوي يناسب الببغاء العبقري. وحين سألوا صاحب الببغاء عن رأيه في الأمر، أبدى سرورا بالغا بتوجيهات جلالة المهاراجا وقال: إن من دواعي فخري واعتزازي أن يتفرغ الببغاء لتنفيذ رغبات المليك. وعلى الفور تم استدعاء كبار الكهنة في المملكة وألفت منهم لجنة عكفت على تشخيص أمراض الببغاء ونقائصه. وبعد دراسات مستفيضة واجتماعات طويلة ومضنية توصلت اللجنة إلى عدة

حقائق خطيرة كانت تعوق ،في تصورها، تقدم الببغاء. وقدمت اللجنة توصياتها للمهاراجا. وكانت أهم توصية تقول: إن القفص الحديدي لا يصلح لببغاء عبقري ، وأن البيئة السيئة قد حالت دون اكتساب الببغاء التعاليم الأخلاقية والدينية، ولذلك يجب استبدال القفص الحديدي بقفص آخر ثمين وجميل، وذلك لتهيئة المناخ الملائم لتعليم الببغاء وتربيته. والمهاراجات- كما تعلمون- لا يكفون عن شيء لو عقدوا العزم على إنجازه، وإنما يمضون فيه حتى نهاية الشوط. فأمر المهاراجا بإحضار أمهر الجواهرجية في المملكة وأمره بإعداد قفص من ذهب، منقش بالجواهر ليسكنه الببغاء العبقري"[١] .

وكذلك القصة "منظر حائل بينهما" لكاتبة أردية شهيرة من الهند قرة العين حيدر تتناول القضايا الاجتماعية ومشاكلها التي تكون حائلة في الزواج بين أصحاب المذاهب المختلفة في نفس الديانة أو بين أصحاب الديانات المختلفة[٢].فلنقرأ شيئا منها:

"تتلألأ عينا "تارابائي" كالنجوم ، وهي ترنو إلى كل شئ حولها في حيرة ودهشة. لم تتراء على وجه هذه الفتاة إلا عيناها. لأنها قد أذاها الفقر والمجاعة. لم يمض على التحاقها بالعمل في بيت السيدة "ألماس خورشيد عالم" إلا بضعة شهور. تحدق تارا بائي النظر في كل شيء تحتضنه الشقة الفاخرة لسيدتها ، فما رأت مثل هذا الترف والبذخ في حياتها من قبل. إنها تنتمي إلى إحدى قرى "غوركفور" . كان قد مات زوجها في صغر سنها. ولما توفي والد زوجها ووالداها، استقدمها خالها إلى مدينة مومباي حيث كان يبيع الحليب. كانت السيدة ألماس أيضا حديثة عهدها بالزواج، فلم يمض على زواجها إلا ثلاثة أو أربعة أشهر. ولما رجعت خّادمتها الأولى، كانت ألماس قد أحضرتها معها من "منغلور" إلى موطنها، اتصلت خالة ألماس "السيدة عثماني"، التي هي عاملة اجتماعية وحياتها منتظمة غاية

[١] مجلة "ثقافة الهند" المجلد ٤٧ العدد ١-٤ ، ١٩٩٤

[٢] مجلة "ثقافة الهند" المجلد ٦٠العدد ١، ٢٠٠٩

الانتظام، بأحد مراكز التوظيف. ووصلت تارابائي إلى الدور العاشر من هضبة العمارة الفاخرة الشامخة التي تسمى "جوليه نسرين" في "كمبالاهيل"، وهي تستحي وتغض من أبصارها، حتى ارتضت السيدة ألماس بهذه الخدامة واطمأن قلبها. ولما ناداها العمال الشغالون في البيت باسم "تارابائي"، غضبت واحتجت ضدهم، ثم تعودت على أن ينادوها باسم "تارا دائي" بدل "تارابائي". تشتغل تارابائي بانهماك بالغ وتلزم الصمت وتسترق النظر إلى السيدة ألماس وزوجها أثناء العمل....."[١].

هذا غيض من فيض ولم أتمكن من استيعاب جميع القصص المترجمة المنشورة في مجلة ثقافة الهند في هذه المقالة الموجزة، لأنها مبعثرة في مختلف أعداد المجلة وهذا يحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث والتحقيق.

[١] مجلة "ثقافة الهند" المجلد ٦٠العدد ١، ٢٠٠٩

النقد المقاوم: كتاب غسان كنفاني "في الأدب الصهيوني" نموذجا

محمد شافعي الوافي*

الأديب الفلسطيني المقاوم غسان كنفاني ظاهرة عجيبة فقدنا وجودها الجسمي والتحمت روحها الفكرية بأرواحنا الحية منذ طلوعها

أحب التحدث هنا عن هذا العملاق الأدبي العربي وأتلقى منهجه النقدي الموزع بشكل عام في دراساته القيمة القوية بما فيها دراسة "ثورة ٣٦ –٣٩ في فلسطين: خلفيات وتفاصيل وتحليل" ودراسة "الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال (١٩٤٨- ١٩٦٨) " ودراسة "في الأدب الصهيوني" ويستطيع للقارئ من خلال قراءة هذه الدراسات، فهم المقاومة وأدبها من الجذر إلى الثمرة وأخصص ساحة المقالة لتحليل هذه الدراسة الأخيرة التي لم تلامسها أقلام الأدباء والنقاد إلا يسيرا وأعتقد بالتأكيد أنها تستحق دراسات مستقلة لما فيها من معان وأفكار عجيبة ولما لها من طرق ومناهج ممتازة. ورحلة غسان الأدبية رحلة قصيرة المدة وغزيرة الإنتاج. وهذه الشخصية البارزة عرفت نفسها وبَنَتْ على تلك المعرفة موقفها، استمدادا من الواقع الفلسطيني. فيقول غسان كنفاني، بطل هذه الرحلة، "إن شخصيتي روائيا كانت متطورة أكثر من شخصيتي سياسيا، وليس العكس وينعكس ذلك في تحليلي للمجتمع وفهمي له"[١] أما مضامين المقاومة فهي لب أعمال غسان وصميمها

* **باحث في مرحلة الدكتوراه، جامعة جواهرلال نهرو**

[١] الأستاذ الدكتور عبد الرحمن ياغي، في النقد التطبيقي مع روايات فلسطينية ، ص – ١٠.

وجوهرها. وتساندنا في هذه المسيرة، ملاحظة الناقد د/ فيصل دراج حين يعبر عن أدب غسان قائلا "لا يفارق أدب غسان في حركته الفنية واقع الشعب الفلسطيني في حركته النضالية".[١]

وعمله النقدي "في الأدب الصهيوني" يتعلق بالمقاومة مباشرة حيث يقدم بيانا مكتملا لدور الأدب الصهيوني في تخطيط الصهيونية وتنفيذ مخططاتها السياسية الفاسدة، بالإضافة إلى كشف العيوب والمثالب في دعايته. وهذه الدراسة بلا شك، أثرت وتظل تؤثر كتاب الأدب الفلسطيني المقاوم وتثري ذلك الأدب بكثير. نحن هنا نحقق كيف وظّف غسان الناقد الكبير المنهج النقدي خلال معالجته الأدب الصهيوني في هذه الدراسة وبالتالي كيف يمتاز هذا العمل النقدي بمضامين المقاومة. وتمثل هذه الدراسة أحسن وأجود نموذج للعمل النقدي المقاوم الذي يرجى من نقاد البلاد المحتلة إنتاجه وترويجه، وتصور أقوى مقاومة ضد العدو الصهيوني لأن كاتبها يدقق، مخططات الكتاب الصهيونيين لبناء وطنهم المستقل برمتها، ويتناول الوقائع بالحقائق ويكشف عن حقائق الأدب الصهيوني السرية الخطيرة الهامة.

غسان كنفاني حياته وأعماله

قد التحمت مرحلات حياة غسان بمرحلات مسيرة الشعب الفلسطيني كما نلمح ذلك في ولادته وهجرته ثم في استشهاده. كان ميلاده في مدينة عكا في التاسع من أبريل في نفس العام (١٩٣٦) الذي اندلعت فيه الثورة الفلسطينية ضد الانتداب البريطاني. وكانت أسرته أسرة متوسطة. وعاش غسان سنواته الأولى في يافا وتلقى دراسته الابتدائية في مدرسة فرنسية ولم يلبث حتى بدأ القدر يلهو به فجعله من اللاجئين وهو في الثاني عشر من عمره حيث أرغمته الظروف بعد نكبة ١٩٤٨ بالنزوح مع عائلته إلى جنوب لبنان ثم إلى دمشق،

[١] المقدم الهيثم الأيوبي، الموسوعة العسكرية، ج ٢، الوعي الفلسطيني في الرواية الفلسطينية ، ص - ٢٦٨

فهذا الصبي من الأسرة الفلسطينية الفقيرة وجد نفوده من بيع الأكياس الورقية في الشوارع، ومن كتابة الشكاوى أمام المحاكم إلى أن أنهى تعليمه. وكان يتلقى الدروس ليلا حتى نال الشهادة الثانوية وفي بداية النصف الثاني من القرن العشرين انضم إلى "حركة القوميين العرب" ولم يزل فيها حيث غير اسمه إلى "حزب العمل الاشتراكي". ولا شك أن هذا الوضع الذي نشأ فيه لم يتعبه ولم يضعفه بل زاد فيه قوة وصلابة ونشاطا.

وخلال هذه الفترة، نجده يفتح باب حياته العملية، حيث جعل التدريس مهنته. فعمل معلما للتربية الفنية في مدارس وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين (الأنروا). وفي هذه التنقلات كلها، تظهر علاقته الحميمة مع شعبه الفلسطيني. وكل هذه كانت تتيح له فرصا ليذوق عيشة شعبه في المنفى وفي المخيمات وليوقظ موهبته الأدبية لتجهيز قلمه وريشته لينتجا. فشهد عام ١٩٥٣ لظهور قصته الأولى – "أنقذتني الصدفة" التي تم إذاعتها في البرنامج الأسبوعي "ركن الطلبة" بدمشق. وفي عام ١٩٥٦ نشرت قصته الثانية في جريدة "الرأي"، اسمها "شمس جديدة" التي تتناول حياة طفل صغير من غزة. وفي هذه السنة نفسها، انتقل إلى الكويت وواصل مهنته التدريسية في المدارس الرسمية وقضى هناك مدة أربع سنوات تقريبا. وفي غضون هذه المدة، وضع يده في الصحافة وشحذ قلمه وريشته فأخذت كلماته بقلوب الناس كما شغل الناس بتعليقات "أبو العز". ثم سافر إلى بيروت في عام ١٩٦٠، وكانت بيروت في ذلك الحين، مسرح الأدب ومركز الحداثة، وتسلم التحرير الأدبي في مجلة "الحرية" الأسبوعية.

والسنة التالية شهدت لأمر مهم في حياته، حيث وجد شريكة حياته في فتاة دنماركية اسمها "آني" ويبدو أن هذا الالتقاء، بالرغم من أنه حدث صدفة، كان اجتماع قلبين يجريان على أساس واحد، أو إلى غرض واحد لأنها التقته لأول مرة، في طريق الوقوف عن كثب، على القضية الفلسطينية، ودراسة أوضاع اللاجئين الفلسطينيين، ففاتحته بوصفه كاتبا فلسطينيا

يمكن أن يساعدها في مبادرتها، ولكن هذا الاتصال انتهى الى الزواج. تزوجها وأنجب منها إبنا وبنتا – فايز وليلى على التوالي. ومما لا شك فيه أن "آني" قد لعب دورا هاما في حياة غسان وتطوراته النضالية ونشاطاته الثورية، كما ساعدته في توثيق وتوطيد صلاته بالأوساط الأوروبية، وفي الحصول على كثير من الوثائق المعنية بواقع العرب الفلسطينيين. وحبه الحنون لأخته وبالتالي لابنتها "لميس" التي صاحبته وشاركته في استشهاده، يقدم عرضا كافيا لقلبه المنفتح وخلقه الإنساني. ويجدر الذكر هنا، حبه العذري لكاتبة أديبة سورية – غادة السمان[١] – ورسالاته الغرامية إليها التي تم نشرها بعد عشرين سنة من وفاته. ونشرت هذه السنة، مجموعة قصصه "موت سرير رقم ١٢".

وفي عام ١٩٦٣ نراه رئيسا لتحرير جريدة "المحرر" وكان يشرف على الملحق الثقافي الذي كانت تصدره باسم "فلسطين" وفي هذه السنة، نشر مجموعته القصصية "أرض البرتقال الحزين" وروايته الشهيرة "رجال في الشمس". وشغل منصب رئاسة التحرير في جريدة "الأنوار" بعد نكسة ١٩٦٧ وعمل في مجلة "الحوادث" حتى عام ١٩٦٩. وخلال هذه السنوات، ظهرت مجموعة من أعماله القصصية والنقدية مثل روايته "ما تبقى لكم" (١٩٦٦)، ومسرحيته "القبعة والنبي" (١٩٦٧)، وقصصه القصيرة "عن الرجال والبنادق" (١٩٦٨) ومثل مقالاته النقدية والسياسية "في الأدب الصهيوني" (١٩٦٧) و"الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال" (١٩٦٨) ونشر روايته "ام سعد" عام ١٩٦٩ كما بدأ كتابة روايته "العاشق" عام ١٩٦٦ ولكن لم يوفق باكمال كتابتها.

أسس غسان كنفاني مجلة "الهدف"، التي أصبحت لسان "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين"، عام ١٩٦٩، واشتغل منصب رئاسة التحرير إلى أن اغتيل في الثامن من يوليو عام ١٩٧٢.

[١] ولدت في دمشق وقد أصدرت مجموعتها القصصية الأولى "عيناك قدري" في عام ١٩٦٢ ولها مجموعات قصصية وشعرية أخرى بالإضافة إلى رواياتها المشهورة مثل "كوابيس بيروت" و"ليلة المليار"

وأضافت هذه المدة أيضا إلى خزانته الأدبية، حيث ظهرت عدة من أعماله المهمة مثل مجموعة قصصه "عالم ليس لنا" (١٩٧٠)، وروايته "عائد إلى حيفا" (١٩٧٠) وروايته التي لم تكتمل "برقوق نيسان" (١٩٧١-٧٢) ونشرت بعد استشهاده روايته الأخيرة البوليسية "الشيء الآخر" أو "من قتل ليلى الحايك" (١٩٨٠). وترجم كثير من أعماله إلى أكثر من خمس عشرة لغة فوجدت هي قراء في بلاد عديدة. وبعض رواياته المهمة قدمت للمتفرجين في المسارح السينمائية مثل "رجال في الشمس" وقد نال هذا الفيلم عددا من الجوائز في مهرجانات مختلفة. وقد قدر العالم، أعمال هذا الكاتب المبدع، حق التقدير، كما تلقاها بقبول حسن فمنحه جوائز مختلفة مثل جائزة أصدقاء الكتاب في لبنان (١٩٦٦) لروايته "ما تبقى لكم" وجائزة منظمة الصحفيين العالمية عام ١٩٧٤ وجائزة اللوتس التي منحها اتحاد كتاب آسيا وإفريقيا عام ١٩٧٥. وفوق ذلك كله، كان غسان كنفاني الأديب، رساما ماهرا فقد رسم العديد من اللوحات وله مجموعة من اللوحات التشكيلية – له لوحات مرسومة بالألوان عدا تلك التي أبدعها بالكلمات والعاطفة.

أما نعي هذا الكاتب المناضل فقد ضربت على آذان الألوف واخترقت إلى قلوبهم كسهم صارم، صباح الثامن من يونيو عام ١٩٧٢، حيث انفجرت قنبلة بلاستيكية مع خمسة كيلو غرامات من الديناميت، وضعها في سيارته عملاء إسرائيل الغاشمة. وكان معه في وقت وفاته، ابنة شقيقته المحبوبة "لميس حسين نجم". وهذا الاستشهاد – استشهاد مناضل فلسطيني مع طفلة بريئة، أصبح خبرا مؤلما ومحزنا للغاية، للشعب الفلسطيني خاصة، وللمناضلين جميعهم عامة. هكذا صمت جسده المادي، ولكن العدو لم ينجح بغرضه، لأن لسانه الممتلئ بأبعاد نضالية وأفكار جريئة لم يصمت بعد، حيث خلف وراءه جملة كبيرة من الكتب والمقالات التي تتشدق بمضامين المقاومة وتدعو الشعب إلى ميدان المعركة ضد العدو الصهيوني. هذا المقاوم، فقدناه في ريعان النهار، في ريعان حياته. وكلماته في أعماله الممتازة، تبقى شابة وتلتهب بأفكار جميلة لطيفة.

النقد المقاوم في دراسة "في الأدب الصهيوني"

يرى الدارسون أن هذه الدراسة دراسة أولى بقلم عربي وبلغة عربية في الأدب الصهيوني. وقد أعرب الكاتب غسان كنفاني عن الفكرة الرئيسية لهذه الدراسة حيث بدأ مقدمتها بكلمات "قاتلت الحركة الصهيونية بسلاح الأدب قتالا لا يوازيه الا قتالها بالسلاح السياسي"، ويعبر الكاتب عن غرضه لكتابة هذه الدراسة بكلمات تالية "وكانت الغاية الأساسية من ذلك كله محاولة لإلقاء ضوء جديد على جزء جوهري ولكنه مجهول من عمل هذه الآلة الجهنمية التي تسمى اختصارا بالحركة الصهيونية".[١]

كان من أهم الشعارات التي تم إلقاء الضوء عليها، من قبل هذا القاص الناقد غسان كنفاني، في كتاباته المتنوعة، "اعرف عدوك". وقد درس غسان، هذه الفكرة من كل ناحية، بعمق وحدة، ثم تناولها وقدم مضامينها في أعماله المختلفة فبين لقرائه، من عدوهم ؟ وما هو عدوانه ؟ وما هي مخططاته ؟ وكيف قام ويقوم بتنفيذها ؟ ثم كيف الدفاع والمواجهة ؟ وبالرغم من أنها تمركزت في هذه الأشياء المهمة الجدية، بقيت داخل الإطار الفني الأدبي، وأبرزت كفايته الفنية وسعته العلمية وعمق ثقافته الأدبية ونفاذ نظرته النقدية فلم تلبث حتى نالت حفاوة القراء والنقاد.

ويصارح الكاتب بهذا المفهوم في مقدمة الدراسة نهائيا فيقول "وكل ما تطمع إليه هذه الدراسة هو أن تلقي ضوء آخر على الشعار الصعب: اعرف عدوك". يعني أن الكاتب يستهدف بها أن يعلن ويؤكد من جديد، شعاره النضالي هو "اعرف عدوك". ومقاومة العدو بعد معرفة قوته وخطته تكون أفضل وأحسن. وتكون المقاومة بالقلم تارة، بإمعان النظر في أدب العدو ورفع الغطاء عن نقائص ذلك الأدب وثغراته. وهذا من التزامات الأدباء والنقاد

[١] غسان كنفاني، في الأدب الصهيوني، ص - ١١

المهمة في ظروف مقاومة شعبه فيشاركون الشعب بأدائها في نضالهم القومي. وكاتبنا غسان قد فعل واجبه بشكل عجيب مثير وهذا العمل من أحسن الدلائل لهذه الحقيقة.

يؤكد غسان أن الأدب الصهيوني هو الذي مهد طريقا لتخطيط وتنفيذ الخطة الصهيونية السياسية ويصور الكاتب كيف ظلت اللغة العبرية تلعب دور اللغة القومية، بعد ما لعبت دور لغة دين تقليدية، في نهاية القرن التاسع عشر. ثم يتناول بدقة وتفصيل، تطورات الاتجاه العنصري اليهودي بمساعدة الأدب الصهيوني، من فترة إلى فترة، ومن ناحية العالم إلى ناحية أخرى ويشق الكاتب إلى أعماق هذا الأدب الصهيوني ويقدم عناصره الأساسية ومواقفه السرية ومخطوطاته الفاسدة كما يتناول المبررات الصهيونية الأدبية لاغتصاب فلسطين. وهذه الدراسة محاولة كبيرة للكشف عن الحق المستور وإثباته ودحض الباطل وإجاحته. ويتضح أكثر الوضوح عمق وكثافة معلومات الكاتب وثقافته الأدبية العالمية حيث يقارن الموضوع بأعمال الأدب العالمي المتنوعة

من أهم الملاحظات التي قدمها الكاتب في هذه الدراسة، أن الصهيونية الأدبية سبقت نظيره السياسي "الصهيونية السياسية" في تشكيل الإطار للحركة الصهيونية وهو يقول "واذا كانت الصهيونية السياسية هي نتاج للتعصب وللعرقية فقد كانت الصهيونية الأدبية هي أولى إرهاصات ذلك التعصب وتلك العرقية"، وكل من خطوات الحركة الصهيونية كانت لها بدايتها في أدب الصهيونية أو دعايتها الأولى استهلت في أحضان هذا الأدب الصهيوني "وإن هذا الأدب قام، تحت ضغط نمو العنصرية في القرن الثامن والتاسع عشر بلعب دور دليل العمل لذلك التيار اليهودي المتعصب الذي ما لبث أن بلور نفسه في حركة صهيونية سياسية"،[١] وهذا العمل دراسة عن الأدب الذي تم بناؤه لمجرد تقديم الخدمة لحركة استعمار اليهود الصهيوني فحاول الكاتب أن يغطي فيها كلما كُتب في هذا الغرض في اللغة العبرية

[١] غسان كنفاني، في الأدب الصهيوني، ص - ٩

وفي غيرها من اللغات. ودفعت هذه الدراسة معدها غسان إلى استنتاج أنه لم يكن يهم هذا الأدب أن يخلق عملا فنيا خلاقا بل كانت تهمه محاولات دعاوية وإعلامية لحركة الصهيونية. وقد تناول الكاتب هذا الأدب الصهيوني بكل عمق ودقة كأنه يقود عملية عسكرية في ساحته، وكان ذلك بقلمه المثقف المناضل. ولم يمنعه من هذه المبادرة شيء من الخوف والخجل بل حضه الوضع المأساوي لشعبه الفلسطيني على إجرائها. فنقد الأدب الصهيوني نقدا لاذعا بالدلائل والحقائق البسيطة. ورأى أن هذه التجربة يمكن أن تكون الأولى من نوعها في التاريخ، من جانب استخدامها، الفن في جميع أشكاله ومستوياته، للقيام بأكبر وأوسع عملية تضليل وتزوير تتأتى عنها نتائج في منتهى الخطورة. ولا يدل هذا على أن هذا الأدب الصهيوني لم ينجح في ممارسة خطته من أجل سلوكه في السبل الضالة بل قد نجح كثيرا.

ومن أوائل الأمور التي تناولها الكاتب في هذه الدراسة، خطة جعل اللغة العبرية لغة قومية والكاتب يعد، "آحاد هاعام" الكاتب اليهودي من رواد هذه الفكرة، فأصبح شعار اليهود "آخر يهودي وأول عبري". وقد قام الكاتب الهنغاري البريطاني اليهودي آرثر كوستلر (Arthur Koestler) بدعاية هذا الشعار في روايته "لصوص في الليل" (Thieves in the Night) حين جعل بطلها جوزف يقول "لقد أصبحت عبريا لأنني أكره اليهودية" أما اللغة العبرية في تاريخ اليهود العابر فلم تكن إلا مجرد لغة الدين والأدعية وكان اليهود، إذا استوطنوا بلادا مختلفة، يفضلون لغة مجتمعاتها لكتابة أعمالهم في فنون مختلفة. ثم أخذت اللغة العبرية، كنذير للمخططات الصهيونية، تقدم وتعرض بصفتها لغة قومية وظلت الكتابة فيها مخصوضة وممدوحة بقدر كبير. ولم تلبث حتى ظهرت كتب مختلفة في اللغة العبرية ويستغرب غسان منح جائزة نوبل لكاتب إسرائيلي "شاموئيل يوسف عجنون" في عام ١٩٦٦، ويعده من السياسة الصهيونية واضعا أسبابا لدعواه فيقول "فهو في الواقع ليس أفضل كاتب إسرائيلي، ولكنه الكاتب الذي وظف موهبته في الدعوة لاعتماد العبرية فقط،

وصب عليها من المدح المتعصب ما يجعل من إنتاجه رسالة صهيونية محضة، في هذا النطاق".[١]

وأخذت الأعمال الأدبية تحمل رسالة ترفض دعوات الاندماج بشدة وقوة، كما أنها من أسس الصهيونية المتوقعة ولادتها الرسمية في مستقبل قريب. ويتحدث الكاتب عن هذه الظاهرة التعصبية "لقد كانت الصهيونية – كتيار، وحتى قبل ولادتها الرسمية – تبذل جهودا متصلة لمقاومة دعوات الاندماج التي كان بعض اليهود يحملون لواءها في فترات الانفراج".[٢] ويدحض غسان دعوى الصهيونية الشائع بأن اضطهاد اليهود دفعهم إلى الشعور بالتمييز العنصري فنجمت منه فكرة بناء دولة خاصة بهم، بحجة أن الأفكار التي رسمت قاعدة الصهيونية العريضة نمت وتطورت في الفترات التي تمتع فيها اليهود بحرية كاملة، كما بلغ الأدب الصهيوني ذروته في تلك الفترات نفسها، كان اليهود يعيشون عيشة مرضية ويتمتعون بحقوق المواطنة في الدول التي كانوا يستوطنونها. وتؤيد هذا الرأي دراسة تاريخ الإنتاج اليهودي. ويأتي بالدلائل الواضحة على هذه الحقيقة، من تاريخ الأدب اليهودي نفسه.

فكاد الأدب الصهيوني أن يكون مجرد وسيلة فريدة لدعاية المواقف السياسية القومية. وقد لعب بنيامين دزرائيلي دورا هاما وأساسيا في نشر هذه الوسيلة حيث حول في أعماله، البطل اليهودي من الشخصية الرومانطيكية إلى الشخصية السياسية القومية واقترح العنصرية حلا لمشكلة اليهود بينما استهجن الاندماج تماما "ولقد حمل دزرائيلي قضية التميز اليهودي التي اعتبرها سيغموند فرويد "قوة للبقاء" نحو نهايتها الحتمية، فجعلها قوة

[١] غسان كنفاني، في الأدب الصهيوني، ص - ١٨

[٢] المصدر السابق، ص - ٢٦

للغزو"،[١] ولهذا التركيز الشديد على دعاية المخططات الصهيونية، فقدت الأعمال الأدبية قيمتها الفنية الرائعة.

ويتحدث الكاتب عن دور الأدب الإنكليزي في بزوغ الصهيونية ونشوئها. وفيه يكتشف أنه قد سبق الشعر الإنكليزي الرواية الإنكليزية إلى طرح مشكلة اليهودي التائه كما فعله شيلي[٢] في قصيدته "كوين ماب"[٣] الذي جعل اهاسورس يفضل "حرية الجحيم عن عبودية الجنة" ولورد بايرون وغيرهما. وكل يدعو إلى العنصرية. ويرى الكاتب أن الرسالة الدينية المذكورة أعلاه أضحت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين رسالة سياسية محضة. تجري صفحات هذه الدراسة في خطوات الأدب الصهيوني التلاحمية مع السياسة. ففي مطلع القرن العشرين يقوم الأدب الصهيوني بمهمة مزدوجة فتستهدف تحريك اليهود للعمل على خلق جو عالمي للعطف على قضيتهم من ناحية، وطمس كل حاجز أمام هذا الاندماج الصهيوني الدعاوي الذي كان يضبط خطواته على جميع الجبهات من ناحية أخرى. وقد استخدموا لها آلات كذبة من المبالغة والتزوير والاستخدام الانتهازي وطمس الحقائق وغيرها وكاتبنا غسان يتناول في هذا الجزء عدة من الكتاب وأعمالهم وينتقدهم نقدا لاذعا ويكشف عن أخطائهم الكبيرة الخطرة. فهذه مسيرة مناضل باسل يريد أن يقتل عدوه ليس بمجرد قطع واحد بل بالتقطيع فيقطعه عضوا وعضوا.

ويطرح الكاتب أسئلة هامة حول علاقة اليهود المعاصرين باليهود القدماء ويعرض إمكانية الشك الكبير في معنى العودة المشار إليها في الكتاب المقدس فيحكي الكاتب عن آلن تايلر ".... بالرغم من أن بحوثا علمية" قد أوضحت أن اليهود المعاصرين لا تربطهم أية صلة قومية أو دينية مقدسة بيهود العهد القديم، وأنه حتى لو كانت هنالك صلة من أي نوع فإنه

[١] غسان كنفاني، في الأدب الصهيوني، ص - ٤٩

[٢] شاعر إنكليزي رومانتيكي عاش في الفترة بين ١٧٩٢ و١٨٢٢م ويعد واحدا من أفضل الشعراء الغنائيين بالغة الإنكليزية

[٣] Queen Mab هي قصيدة فلسفية

من المشكوك به جدا أن (العودة) المشار إليها في الكتاب المقدس تعني أكثر من العودة إلى بابيل"[١] وعندما ننتهي من قراءة هذه الفقرات، نسأل طبعا، كأننا نستنتج من تعابير غسان أو نؤيده، "كيف تتأتى العراقة بين اليهود الأصليين وبين الذين اعتنقوا الديانة اليهودية فيما بعد، فكيف تستدعى العنصرية؟".

كان تخلف العرب وجهالتهم من أهم الأفكار المفتراة التي تناولتها الروايات الصهيونية بارتياح وسعة، لتمهيد الدرب لمخططاتهم العارمة. فرسموا العرب شعبا جاهلا لا ينفع ولا ينفع به كما صوروا فلسطين وأهلها العرب بكل إدانة وتحقير. حقرت الروايات الصهيونية ثقافة العرب بشكل مذهل فصوروا نساءهم أهل الضباط الانكليز وشجاعتهم شجاعة الحمقاء والجبناء فتقول الرواية عن العرب "فانهم لا يستطيعون أن يلعبوا بعنف، يلعبون بوضاعة!". وكانوا يشكون من عدم اهتمام عرب فلسطين بأرضها وأشجارها حتى فقدها جمالها وجاذبيتها. فما فعل اليهود بالجملة، هو أن يخلق بعض الأوهام عن العرب أولا، وأن يبالغوا في تصويرها ثانيا، ثم أن يقوموا بدعايتها ونشرها في أعمالهم. يرفض غسان هذا الأسلوب وجميع هذه الدعاوي ويعتبر منهج هذا الأدب الصهيوني أبشع عملية افتراء من قبل أية فرقة دعاوية قائلا "إن ذلك كله، تاريخيا وموضوعيا، يبدو أبشع عملية افتراء ارتكبتها أية أجهزة دعاوية في العالم وسيبدو لنا كاتب يهودي اسمه جوشوا بارزيلاي في غير مكانه من هذا السيل الغريب حين يكتب أثر وصوله إلى فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر: "ليس بوسعي ولا بطاقتي أن أصف الأشجار (في فلسطين) وكيف يمكنني أن أصف جمال النخيل والزيتون والتين؟... إذا كانت الجنة تشابه هذا فيجب أن تكون جميلة جدا!".[٢]

[١] غسان كنفاني، في الأدب الصهيوني، ص - ٨٦

[٢] المصدر السابق ، ص - ١٢٤

الفصل السابع من هذه الدراسة، يبرز التناقضات والتباينات في مبررات الأدب الصهيوني لاغتصاب فلسطين. نستمع إلى كلمات غسان فيه باهتمام بالغ وانتباه كامل، كأننا ننصت إلى نداءات قائد الجيش وإعلاناته الثورية وكأنه يقول لنا "جهزوا أنفسكم للحرب مع العدو". ويعترض الكاتب على المبررات الصهيونية الأدبية أمام اغتصاب فلسطين بالمنطق والحكمة. إحداها (المبررات) أن اغتصاب فلسطين هو الرد على المذابح الهتلرية ضد اليهود بالخصوص، وعلى الاضطهاد الذي تعرض له اليهود بالعموم. فيطرح الكاتب سؤالا معقولا حول هذا التبرير فيقول "ما شأن عرب فلسطين بدفع ثمن مذابح ارتكبها الغرب ضد اليهود، خصوصا وأن اليهود عاشوا في المجتمع العربي على مر العصور في انفراج مستمر تقريبا؟".[١] ويضيف إليه أن محاولات الأدب الصهيوني لاجابة هذا السؤال من بعيد، تسقط في تناقض مهلك، وأحيانا مضحك. ويتناول الكاتب الأجوبة التي قدمتها الروايات الصهيونية فهي أجوبة لا تمت إلى الحق أو المنطق بصلة بل توجد فيها كذب وافتراء ومبالغة وإسهاب وحيف وظلم وتناقضات وابتكارات. ويعبر عنها الكاتب بكلمات تظهر فيها صراخه الثوري وغضب المناضل حيث يقول "إننا نعود بقدرة ساحر، فوق قنطرة مزورة، إلى السوط الهتلري، دون أن نحصل على جواب".[٢]

ومنحت لجنة نوبل عام ١٩٦٦ جائزتها لأول مرة، لكاتب إسرائيلي شاموئيل يوسف عجنون ولم تمض سبعة شهور حتى حدثت حرب خزيران في الخامس من يونيو. ويرى غسان أن هذين الحدثين هما نتيجة محاولات اليهود لمدة سنوات طويلة فيقول "وهذان الحدثان هما تتويج لسنوات طويلة من التضليل وغسل الدماغ وترويج الفكر والأدب العنصريين، ونتاج طبيعي ومنطقي للبنيان الذي قام في الأساس على مباركة العدوان، وعلى تبريره بما يسمى

[١] غسان كنفاني، في الأدب الصهيوني، ص - ١٢٨

[٢] المصدر السابق ، ص - ١٣١

التفوق العنصري والعرقي"،[١] ويعترض الكاتب على هذا المنح بشدة، مشيرا إلى ما تحتوي عليه كتابات عجنون ويدحض كلما رأته لجنة نوبل سببا لهذا المنح ويؤكد أن قصص عجنون لم تكن ذات أفق عالمي، فقد كانت تتعامل دينيا مع القارئ اليهودي المفرط التدين، ومن العسير على أي قارئ آخر أن يفهم أية قصة أو أن يستذيقها . . وينتقد لغته وأسلوبه وموضوعه برمتها فلا تقدم القصص أفقا عالميا وموضوعا إنسانيا مشتركا. فهذا المنح في الواقع استهزاء من العالم الأدبي الحقيقي فيقوم الكاتب في هذا الفصل بعملية أخرى في داخل العملية الرئيسية وهي عملية تقطيع هذا الكاتب وكتاباته وتدقيقها فيتناولها الناقد غسان من كل ناحية ثم يقتبس من كتاب عجنون عبارات توجد فيها سخرية من الشهادة الإسلامية ووضع الصورة لمسلمي إستانبول مقابل "الحكمة الدينية اليهودية" وصورة التعاضد اليهودي الكامل الذي تفرضه التزاماتهم الدينية. وهذا، بالرغم من أن عجنون نفسه شهد في بولندا التشتت اليهودي حتى وجد الهجرة إلى فلسطين هي الحل الأخير.

وفي هذه الفقرات السابقة، وقفنا على مقدرة الناقد الكبير غسان كنفاني لاستخدام نفاذة نظرته النقدية في سبيل المقاومة الوطنية وبالتالي في تحرير وطنه وأهله. وهذه الدراسة ليست بمجرد الأفكار النقدية ولا بمجرد صراخات نضالية تسمع من المعارك، بل هي دراسة كاملة تشق طريقا إلى داخل العدو وتقطعه من الداخل حتي لا يمكن له الدفاع. وهي من نتاج أدب المقاومة حقا لأن مهمتها تستهدف معرفة العدو حق المعرفة ثم الإخبار بها لشعبه أولا وللعرب ثانيا وللعالم ثالثا، فقد قدم لنا كاتبها صورة العدو من خلال دراسته أدب الأخير هو الأدب الصهيوني. وقدم الكاتب منهجا جديدا في دراسة الأشياء والأمور حيث دخل طريقا لم يسبقه أحد فيه وكأنه وظف في هذه الدراسة مزيجا من نظرية التفكيكية لدريدا (Deconstruction of Derrida) ومنهج ديكارت (Descartes) الفلسفي.

[١] غسان كنفاني، في الأدب الصهيوني، ص - ١٥٠

وبالإجمال هو مقاوم باسل يقاوم العدو بقلمه أساسيا وكل كلماته في هذه الدراسة تتضمن أصوات المقاومة أو تخلف بصماتها ونقرأ في استعراض عن هذه الدراسة "وهذا كله مركب على أساس أن الأدب المقصود هو الأدب الملتزم، عندما يتحدث عن العدل فهو يقف موقف المقاوم للظلم، وعندما يتحدث عن الحرية فهو يقاوم العبودية، وعندما يتحدث عن العلم فهو يقاوم الجهل.... حتى عندما يتحدث عن الحب والعلاقات الإنسانية فهو يقف موقف المقاوم للكراهية ولعوامل الخلل في العلاقات الإنسانية ... وهكذا ..."

المصادر والمراجع

١. إبراهيم عباس، نثر محمد، دراسات في النقد التطبيقي، المطبعة الوطنية، دبي، الامارات العربية المتحدة ١٩٩٠

٢. دراج، فيصل، الوعي الفلسطيني في الرواية الفلسطينية، في الأدب والتأليف والترجمة في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ١٩٩٣

٣. عبد العال، مروان، أدب غسان كنفاني . . . . وجع المخيم وصرخة المقاومة، نافذة شخصية لمروان عبد العال، ٢٩ – ٠٣ - ٢٠٠٩

٤. عطية، أحمد محمد، "أدب المعركة" حرب ٦ تشرين ٧٣، دار الجيل، بيروت – لبنان

٥. كنفاني، غسان، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال – (١٩٤٨- ١٩٦٨)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٨

٦. كنفاني، غسان، في الأدب الصهيوني، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٧

٧. نجم، السيد، المقاومة والقص في الأدب الفلسطيني "الانتفاضة نموذجا"، مؤسسة القدس للثقافة والتراث

٨. ياغي، عبد الرحمن، في النقد التطبيقي مع روايات فلسطينية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٩٩

٩. اليوسف، يوسف سامي، غسان كنفاني: رعشة المأساة، دار منارات للنشر، ١٩٧٥

رابندرانات طاغور وفلسفته التربوية

مزاج الرحمن تعلقدار*

رابندرانات طاغور (١٨٦١- ١٩٤١م)

ولد رابندرانات طاغور الشاعر والفيلسوف الهندي عام ١٨٦١ م في مدينة كولكاتا في مغرب البنغال. إنه كان ينتمي إلي أسرة مثقفة ومنفتحة على الفكر الجديد. تلقى تعليمه الابتدائي على يد أبيه. كان والده ديفندرانات طاغور رئيس براهموساماج Brahmo Samaj الطائفة الدينية في البنغال التي بذلت الجهود لإحياء الأصول التوحيدية الواردة في تعاليم أوبانيشاد. سافر طاغور وهو في السابعة عشرة من عمره إلى لندن لدراسة الحقوق ولكنه قطع دراسته وعاد إلي الوطن ليدير شؤون بعض أراضي العائلة في شرق البنغال. و هذا ما أدى إلى احتكاكه بقضايا الفقر والمرض والجهل السائدة في المناطق الريفية للهند. وفي عام ١٩٠١م أسس طاغور في ضاحية كولكاتا شانتينِكيتان (مرفأ السلام) للتعليم المتحرر من القيود التقليدية. و قد تحولت هذه المدرسة إلى الجامعة باسم ڤيشفابهاراتي منذ عام ١٩٢١م .

حصل طاغور تعليمه خارج منزله لفترة قليلة. إنه حضر المدرسة الشرقية Oriental seminary ثم أكاديمية البنغال Bengal Academy لبضعة أيام. في عام ١٨٧٤م إنه درس في المدرسة العالية سانت زيبيارس St. Xavier's High School لفترة وجيزة. لم يكن طاغور تلميذا عاديا في أي مؤسسة مهما كان. أصبح طاغور تحت إشراف المعلمين الخواص بارعا في اللغة البنغالية والسنسكريتية والإنجليزية ودرس التاريخ والرياضيات

* الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة غوهاتي، آسام

والعلوم. بدأ طاغور يكتب عندما كان في الثامنة فقط وبدأ ينشر إنتاجاته قبل أن يبلغ خمسة عشر عاما من عمره. إنه كان متأثرا إلى حد كبير بفلسفة البنغال لبنكيم تشاندرا تشاتيرجي، الأديب البنجالي الشهير.

هناك أربعة كتب مهمة لرابندرانات طاغور التي تعالج مسائل التعليم. إضافة إلى ذلك إنه كتب عدة مقالات في موضوع التعليم التي قد تم نشر معظمها في المجموعات. وأهم ذلك المجموعات " شيكشا" أى التعليم التي تم نشرها لأول مرة في السنة ١٩٠٨م و هذه المجموعة تحتوي علي سبع مقالات. و الثلاثة الأخرى " شانتينيكيتان براهماتشاريا أشرام" و"أشراميرروف و بيكاش" و "بيشوا بهارتي".[١] ولطاغور مئات من المقالات التي تم نشرها في الجرائد والصحف في اللغة البنغالية والإنجليزية. وقد قام طاغور بإلقاء المحاضرات حول موضوع التعليم. ومن أهم المحاضرات في الإنكليزية هي " My school " (مدرستي) محاضرة ألقاها طاغور في الولايات المتحدة الأمريكية.[٢]

تعالج كتاباته جميع مستويات التعليم: الريفية و الحضارية و الفردية والاجتماعية. وله قصائد كثيرة لها أهمية كبيرة من منظور تربوي. Parrot's Training (تدريب الببغاء) القصة القصيرة الشهيرة لطاغور هى القصة الرمزية عن نظام التعليم.[٣] هذه القصة تدل على فهم طاغور العميق للمشاكل التعليمية على جميع المستويات فى بلدنا. إنه اهتم بتعليم الصغار والكبار وحاول إيجاد الطرق والوسائل كي تستعيد القرى والأرياف مجدها المفقود. أنشأ طاغور شرينيكتان في ١٩٢٢م (Sriniketan) كمعهد شقيق لشانتينكتان (Santiniketan). و هذا المعهد يقع على بعد ميل واحد من شانتينكتان. و هذا يوضح قلق طاغور لإحياء حياة القرية و ثقافتها و زراعتها و صناعاتها.

[1] Rabindranath Tagore: Philosophy of Education and Painting by Devi Prasad; preface xi
[2] ibid
[3] ibid

وضع طاغور أكثر الاهتمام على استخدام لغة الأم. فى تلك الأيام كان المثقفون يستخدمون اللغة الإنجليزية فى أعمالهم و كان الناس يلقون محاضراتهم فى الإنجليزية فى احتفالات الجامعة. عندما كان معظم الناس يؤيدون التعليم باللغة الإنجليزية. على الرغم من ذلك كان طاغور فى محاولة لوضع لسان الأم البنغالية فى البنغال يعطيها موقفا يليق بها. مرة دعي طاغور لإلقاء الخطاب السنوي فى جامعة كولكتا فألقى محاضرته فى اللغة البنغالية. و قد صدم هذا بعض المربين وانزعج بعضهم. يرى رابندرانات طاغور أنه يجب للشعب الهندي أن يجعل لغة الأم علامة للنهضة فى المجتمع الهندي. وضع لغة الأم فى مكانه الصحيح يكون استعادة لثقة أنفسنا. وكان هدف الفلسفة التربوية لطاغور الحفاظ على الانسجام مع الجو الاجتماعى والطبيعي حتى يكون الدارس قادرا على تطوير القدرات الإبداعية من بداية حياته.

تطور شانتينكتان

وقد بدأ معهد شانتينيكتان في ١٩٠١م مع اثنين من أبناء رابندرانات طاغور راتيندرانات وسامندرانات كالطلاب لهذا المعهد.وما زال يزيد عدد الطلاب تدريجيا مع تطوير شانتينيكتان. كان طاغور يقوم بنفقات هذا المعهد كلها من ممتلكاته الذاتية حتى ١٩١٣م. فى ١٩١٣م إنه استلم جائزة نوبل التى ثبتت نعمة مالية لهذا المعهد. زيارته إلى أوروبا و أمريكا بهذا الصدد وسعت له فكرته وازدادت تجربته فى هذا المجال. فى أواخر ١٩٢١م روج طاغور شانتينيكتان إلى دراسة بمستوى الجامعة يقال لها "فيشوا بهارتى". الآن هي جامعة مركزية فى مدينة كلكتا فى الهند. من فترة طويلة كان طاغور يشعر بحاجة إلى مكان فى الهند يكون ملتقى للثقافات كلها من الشرق حيث تتمكن كل تقاليد الفن و الفلسفة من أن تبقى على اتصال بعضها مع البعض الآخر. وقد تصور طاغور أن يكون هذا المركز وطنا للباحثين والفلاسفة والفنان من الغرب. وقد ثبتت "فيشوبهارتى" مفيدا بهذا الصدد. لقد أنشأ طاغور أقساما مختلفة فى فيشوا بهارتى من بينها قسم للدراسات الهندية

وآخر للدراسات الصينية وقسم مستقل لدراسات الثقافة الإسلامية وهذا هو القسم الذى أنشأه طاغور بعد أن قام بزيارة إيران. قال فيه طاغور "لقد جعلت فسوا باراتى مدرسة يلتقي فيها الطلاب من ذوي الحضارات والتقاليد المختلفة، ليتعلموا العيش معا." وكان شعار فيشوا بهارتى "هنا يلتقى العالم فى صعيد واحد"[١]

فى مبادئ ١٩٢٢م أنشأ رابندرانات طاغور سرينيكيتان (Sriniketan) على بعد ميل من شانتينيكيتان لتعمير الريف. وقد ركس هذا المعهد لأجل رفع مستوى القرى و الأرياف فى مجال الفن و الصناعات والتنمية التعليمية والحياة الثقافية.

و قد رآه الناس كمدرس فى الحقيقة و اعتبره مربيا ثوريا. ولفلسفة طاغور التربوية و المنهج التعليمي الذى يؤيده طاغور أهمية كبرى. عند طاغور ليس التعليم شيئا يمكن تدريسه فى المدارس فقط ولا شيئا يمكن تدريبه فى بضع ساعات فى الأسبوع. و قد تدهور المنهج التعليمى فى أيامنا هذه من حيث الجودة والنوعية. لأن التعليم يعتبر معزولا وليس له علاقة مع الجوانب الأخرى لشخصية أحد، أو مع الإنسانية أو الطبيعة. قبل مائة سنة دعا طاغور انتباه الناس إلى إفلاس المنهج التعليمى السائد فى الهند.

أراد طاغور التعليم أن يكون طريقا إلى الوصول للنضج. وقد كتب الدكتور ذاكر حسين رئيس جمهورية الهند السابق مقالة فى مجلة "نئي تعليم" فى سنة ١٩٦١م حيث قال الدكتور.....

> "الشيء الذى فقده رابندرانات طاغور فى تعليمه الابتدائي هو التعليم المتضامن الشامل لكل جوانب الحياة. و هذا هو أساس فلسفته التربوية. قال طاغور إن عملية التعليم هى انتباه الفرد

[1] طاغور لمحات من حياته وفنه.....بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد الشاعر صفحة ١٨

لوحدة الحقيقة (Unity of Truth)....ينبغى أن تكون المدرسة عالما حيث تكون المحبة دليلا للحياة."[١]

كان الدكتور ذاكر حسين مربيا جيدا و كان متأثرا جدا بأفكار رابندرانات طاغور عن التعليم. قال ذاكر حسين أن فلسفة طاغور التربوية كانت بسيطة جدا و مباشرة. ليس هناك التخصص المحدود فى المنهج الدراسي الذى يؤيده طاغور. لأن التخصص المحدود يمنع تطور الفرد إلى العالمية. معهد شانتينكتان مبني على هؤلاء القواعد.

زار طاغور روسيا فأعجب بمساعيها التعليمية. كتب طاغور فى "رسائل من روسيا".

"ذهبت إلى روسيا كي أرى منهجهم التعليمى. إنهم أيقظوا عامة الناس من ناحية البلد إلى أخرى. في غضون ثمان سنوات إنهم غيروا أفكار الناس من خلال التعليم. بدأ الأميون يقرؤون ويكتبون. أصبح الجهلاء منفتحين على العالم. و المعاقون وجدوا ثقة النفس. وخرج الذين كانوا يشعرون بالإهانة من الزوايا المظلمة في المجتمع ليكونوا قادرين على الجلوس مع الآخرين. وهذا صعب للتصور كيف تمكن لهم ان يغيروا تعبير عدد كبير من السكان فى وقت قصير. أنا فرح جدا بمشاهدة فيضان العلم هذا فى النهر الذى كان جافا حتى الآن. من ناحية إلى أخرى،

[1] Rabindranath Tagore: Philosophy of Education and Painting by Devi Prasad Page no. XVIII

كل مواطن البلد مستيقظ. إنهم مستعدون للعبور من ناحية إلى أخرى من التفاؤل."[١]

كثيرا ما كان يقول رابندرانات طاغور أن مسؤولية التعليم هى أن نرى أن نمو الجسم والعقل والقلب يتم بطريقة متوازنة. وهو يقول حتى لو أن أحدا يصبح قادرا على أنشطة معينة من خلال علمه الكتابي ولكن لا يعلم كيف يستخدم يديه بطريقة إنشائية فعلمه هذا ناقص. إذا كان التعليم للجسم لا يوازي التعليم للعقل فالعقل لا يجد القوة لا بد له لنموه الكامل. وليس الهدف الأساسى للتعليم هو جمع المعلومات الكثيرة، بل معرفة نوع الإنسان ومعرفة التعبير عن النفس.

المبادئ الأساسية في فلسفة طاغور التربوية

إن الباحث في فلسفة طاغور التربوية يجد أربعة من المبادئ الأساسية في فكرة طاغور عن التعليم. وهذه المبادئ كما يلي:

١. الحرية
٢. التعبير الذاتي
٣. الاتصال بالطبيعة
٤. الارتباط المباشر بحياة المجتمع.

لقد كانت الحرية فى مقدم سياسة طاغور التربوية. كان طاغور يؤمن بمنح الطلاب الحرية كي يكونوا فرحين ويستمتعوا بحياتهم كافة.

[1] Rabindranath Tagore: Philosophy of Education and Painting by Devi Prasad Page no.11

إن طاغور كان يحب أن يترك الأطفال أحرارا كي يتعلموا من تجربة الحياة ومن الطبيعة. وكان لا يفرض على الطلاب دروسا معينة. وكانت للموسيقى مكانة مرموقة فى فلسفة طاغور التربوية. إن طاغور يعتبر الموسيقى كوسيلة أساسية للتعبير عن النفس. وللمعلم دور هام في تدريب الطلاب. وكان طاغور يحترم المعلمين وقال بهذا الصدد:

"إذا أبى العالم أن يمنح المعلم ما هو جدير به من التكريم، فليمض المعلم فى طريقه غير عابئ. فإنه سوف يأتي آجلا أو عاجلا من يقدر مكانته."[١]

المصادر والمراجع

١. هدية المحب لمحمد طاهر الجبلاوي، مكتبة الانجلو المصرية ١٦٥ شارع عماد الدين، مصر

٢. طاغور شاعر الحب والسلام للدكتور شكري محمد عباد، دار القلم، القاهرة، ١٩٦١

٣. طاغور لمحات من حياته وفنه الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة،١٩٦١

٤. جيتنجالي لشاعر الهند رابندرانات طاغور تعريب الدكتور بديع حقي، بيروت،١٩٥٥

5. ***Prasad, Devi***: *Rabindranath Tagore Philosophy of Education and Painting*, National Book Trust India, New Delhi, 2000

[١] طاغور لمحات من حياته وفنه صفحة ٢٢

المرأة في الرواية العربية التاريخية خلال النصف الأول من القرن العشرين

د/ أختر عالم*

نجد في مصر منذ النهضة الأدبية محاولات في الرواية التاريخية، حيث كانت من الناحية الفنية تمضي في طريق الترجمة والتمصير أو محاكاة الأشكال الفنية القديمة كالمقامات، ثم جاء جرجي زيدان (١٨٦١ـ١٩١٤م) الذي اتكأ على الدور التعليمي للرواية لينقلها نقلة أوسع إلى مجال الأدب، فقد بدأ يكتب سنة ١٨٩٤م سلسلة من الروايات التاريخية كاد يستوعب فيها بصفة عامة أهم مراحل تاريخ الأمة العربية.

قد حاول زيدان برواياته التاريخية أن يعكس بداية الشعور بالإحساس القومي ممثلا في القومية العربية حينا وفي الشخصية المصرية حينا آخر، وقد عاصر جرجي زيدان بداية الإحساس بالتفرد الذاتي لشخصية مصر ورغبتها الأكيدة في الاستقلال من كل قوة خارجية تحاول إذابة شخصيتها، وإنه على الرغم من وجود بعض المحاولات المتواضعة في البيئة العربية للرواية التاريخية فإن زيدان قام بتثبيت هذا الفن وتأكيد سمات معينة له لذلك نجد في رواياته بعض الأفكار والأحداث العاطفية تتكرر من رواية لأخرى، ولا يتغير فيها إلا المسميات فقط. لذلك فإن قصص الحب متشابهة في رواياته إلى حد كبير وكل من جاء بعده مضى على منواله في هذا الفن.

* جامعة جواهرلال نهرو

وقد ساهم أحمد شوقي (١٨٧٠ــ١٩٣٢م) في مجال الرواية التاريخية بمجموعة من الأعمال النثرية أهمها وآخرها إنتاجا بالنسبة له رواية "ورقة الآس" (١٩٥٠م) وهي تدور حول قصة إنسانة شاذة هي النضيرة بنت الضيزن ملك الحضر، ويقدمها المؤلف في البداية ثابتة رزينة، ولكنها تعجب بسابور قائد الفرس الذي جاء لغزو بلادها، فتخون الوالد والبلد، وتصبح ملكة بعد هذه الخيانة، ثم تحاول أن تخون ثانية الزوج ملك الفرس مع أخيه أزدشير، وفي النهاية يظهر والدها فجأة بعد اختفائه ليأمر بقتل ابنته الخائنة ويتصالح مع الأعداء.

والملاحظة على الرواية أن القصة فيها أشبه بالقصص الشعبي الذي لايحكمه منطق الحدث ومبررات الفعل الإنساني، وهي هنا تتفق وتشكل الحكاية العاطفيةعند زيدان وبالنسبة لصورة المرأة أن جرجي زيدان يمجد الحب المثالي سواء بين أرمانوسة وأركاديوس الأميرين، أو بين مرقس وماريا عروس النيل ــ أبناء الشعب، فكلتاهما مثال الوفاء للحبيب والتمسك به' لذلك تقول الأميرة لوصيفتها: "إنني أحب حبيبي أركاديوس ابن الأعرج، فكيف لا أندب نفسي وأنوح على صباي وأنا مقتولة حبا لامحالة"[١]

ومحمد فريد أبو حديد قد بدأ إنتاجه الأدبي في مجال الرواية التاريخية بـ"ابنة الملوك" متحركا في إطار الوطنية المصرية، فإنه قد انتقل في رواياته الأخرى إلى الإطار القومي، الذي يتغني بالقومية العربية وبصفات الإنسان العربي في فترة نقاوة الجنس كما أن رواية "آلام حجا" (١٩٦٤م) ورواية "جحا في جانبولاد" (١٩٤٨م) تنقل القراء نقلة إلى الإطار الإنساني، لأن "جحا" رمز للإنسان الذي تعذبه مبادئة فيرحل من بلده إلى بلد آخر ينتقد فيه الأوضاع السيئة، ويبرز أسباب الثورة ويحرض على طلب العدل، حتى إذا اتهمه الظالمون

[١]. جرجي زيدان: أرمانوسة المصرية، ص ٢٩ نقلا عنه طه وادي: صورة المرأة في الرواية العربية المعصرة، ص ١٦٠

بالباطل، وقبضوا عليه ثار الشعب وأخرجه من السجن وعزل الحاكم، وصار جحا المثل لضمير الشعب مستشار للحكم الثوري الجديد.

والملاحظة على رواياته وخاصة على رواية "زنوبيا" هو أن شخصياتها لم تعد مجرد أسماء وأشخاص مثل "حورية" وإنما هي إنسان يسمو ويسف، والحب عندها خرافة، والمرأة ليست إلا وعاء لحفظ النوع إنها ليست ملاكا أو شيطانا "بل هي امرأة لا تفهم غير وحى الغريزة كسائر النساء".

ثم نجد إبراهيم رمزي يمثل هذا الاتجاه حيث قدم رواية تاريخية طويلة هي "باب القمر" يتبع فيها طريقة جرجي زيدان من حيث العناية في الدرجة الأولى بالتاريخ وحده، أما تجربة الحب فهي زائدة مقحمة، والرواية تبين تاريخ الإسلام من فجره في المنقطة العربية جميعا، وقامت الرواية بمعالجة الأوضاع الطبقية وبتوضيح وجوب ترك الحرية للفتاة عند الزواج.

وهناك علي أحمد باكثير (١٩١٠ ــ١٩٦٩م) يلتقي مع فريد أبو حديد من حيث كثرة الفنون الأدبية من القصة التاريخية والمسرحية والاهتمام بتاريخ العروبة والإسلام، ومن أهم ماكتب باكثير في الفترة البدائية، هما روايتين هما: "سلامة القس" (١٩٤٤م) "والإسلاماه" (١٩٤٩م).

والرواية الأولى تناقش قضيتين اجتماعتين: الأولى لا تناقض البتة بالنسبة لطبيعة الإنسان بين أن يتسع قلبه للعبادة والحب، والقضية الثانية تتعلق بالمرأة خاصة حيث لا علاقة بين اشتغالها وعملها وبين تبذلها وسقوطها، وكذلك صورة المرأة وقضيتها عنده تتحرك في نفس الإطار السلفي والتصور التقليدي لدور المرأة في السلم والحرب عند كل أدباء المدرسة، فهي دائما أنثى لا تستطيع أن تعيش من غير الزواج أو الحبيب، فهي إذن مجرد حبيبة أو

أم أو ربة بيت، وإن اشتركت في الحرب فإنها تقتصر على تطبيب الجرحى وعلاجهم، فالرواية الأولى والثانية تظهران مكانة المرأة وصورتها في ذلك المجتمع العربي حيث يتمتعن بالحرية أوسع من الأجانب المجتمعات العالمية الأخرى.

وقد تخصص محمد سعيد العريان في كتابة الرواية التاريخية حيث كتب روايات "قطرالندى" (١٩٤٥م) و"على باب زويلة" (١٩٤٧م) و"شجرة الدر" (١٩٤٧م) و"بنت قسطنطين" (١٩٤٨م). نجد صورة المرأة عند سعيد العريان أكثر نموا وحركة، وفي رواية "على باب زاويلة" خاصة توجد خطوة أكثر عمقا، بل نستطيع أن نقول إنها أفضل ما قدمه الكاتب في الرواية التاريخية وصورة المرأة فيها أكثر حركة وإيجابية.

وجاء علي الجارم بكثير من الروايات التاريخية مثل: "شاعر ملك" (١٩٤٣م) و"سيدة القصور" (١٩٤٤م) و"غادة رشيد" (١٩٤٥م) و"فارس بني حمدان" (١٩٤٦م) "الشاعر الطموح" و"خاتمة المطاف" (١٩٤٧م) و"هاتف من الأندلس" (١٩٤٩م). فصور المرأة وقضاياها في هذه الروايات عند على الجارم تدور من الناحية الفكرية في نفس الإطار السلفي ومن الناحية الفنية تبدو مسطحة لا تعمق في رسم صورتها، وقد برزت خلال هذه الروايات كثير من القضايا الفكرية التي شغل الكاتب، وهذه القضايا تلتقى بما سبق أن أبرزناه من خلال الصورة في الرواية الاجتماعية.

وشارك عبد الحميد جودة السحار برواية "أميرة قرطبة" (١٩٤٨م) في الإطار العربي وتناولت الرواية حياة الجارية "صبيحة" التي استطاعت أن تتزوج من الخليفة وأن تكون الحاكمة الحقيقية للأندلس، ولكنها مع ذلك لا تسلم من عواطف الأنثى الجامحة التي تهزمها في النهاية.

وأهم الرواية التاريخية التي أصدرها نجيب محفوظ سنة ١٩٢٩م هي "عبث الأقدار" التي تحكي قصة تعبث فيها الأقدار بالناس، وتثبت قدرتها على أن تنفذ مشيئتها، لذلك فالصراع فيها يدور بين البشر والقدر، وتمضى روايته الثانية "رادوبيس" (١٩٤٣م) في نفس الإطار الفكري الذي يحطم صورة الملوك المقدسة ويمجد حكمة الملكة وضرورة الثورة وقد جاء نجيب محفوظ بنموذج إيجابي جديد للمرأة، إنها ليست الأنثى التي تردد دائما مثل زنوبيا ــ ما أنا إلا امرأة يا صديقي ــ إنها هنا إنسان يعي حركته ويفهم دوره الثوري حيال ملك فاسد، لم يهيج سقوطه الأخلاقي ثورة الغريزة فيها، وإنما تثور من أجل تحقيق العدل واستخلاص حقوق الشعب، وآخر ما قدم محفوظ في مجال الرواية التاريخية "كفاح طيبة" (١٩٤٤م) يعرض فيها المظالم التي يتعرض لها شعب مصر في ظل الاحتلال، ويحرض على الثورة ضد الغاصبين ولذا نجد الفصل الخامس والسادس من الباب الثاني في الرواية يقتربان من الواقعية.

فدور المرأة في الحياة كما تعكسه رؤية الروائيين الفنية في الرواية هو دور "ربة البيت" إذ المرأة ليست إلا أنثى أو أداة لحفظ النوع، كما نرى في صورة "زنوبيا" لفريد أبوجديد، حيث تنكر مساواة المرأة بالرجل فتقول لمعلمها لونجين: "الذي يزعم أن المرأة خلقة مثل خلقة الرجل، وأنها تفهم الحياة كما يفهمها، يخطئ خطأ بعيدا ويندفع إلى لوم لا مبرله، المرأة تندفع مع طبعها والرجل يحاول أن يقيس وأن يعلل، المرأة تعيش في دائرة نفسها، ولكن الرجل لا يهتم إلا بالعالم الخارجي الذي يهمه، المرأة لا تعبأ بشيء في العالم الخارجي، كل شيء له قيمة في نظرها يرتد إلى نفسها وإلى شخصها، الرجل يطلب المرأة كما يطلب الصيد، وكما يطلب الحرب، وكما يطلب السيادة، ويريد منها أيضا ما يسميه الحب، ولكن ما هو الحب؟ ما ذلك الحب الذي يريد الفلاسفة أن يجعلوا منه أسطورة؟ الحب كله خرافة، فما هو إلا وسيلة الطبيعة في حفظ الجنس البشري ــ المرأة وعاء البشرية

تقاسى الآلام من أجل تخليدها، وهي تتقاضى ثمنها من الرجل؟ وليس من فرق بين امرأة وأخرى إلا في ذلك الثمن"[١]

قد عبر أبو حديد عن تصوره لدور المرأة في المجتمع ووظيفتها في الحياة سردا، وفي رواية "أميرة قرطبة" عبر السحار بالصورة الروائية مؤكدا هذا الدور المحافظ، فصبيحة بطلة الرواية برغم كونها استطاعت بذكائها أن تصبح الحاكمة الفعلية للبلاد، إلا أنها تسقط في النهاية لا لشيء سوى أنها أنثى تحركها العاطفة أكثر مما يحركها العقل، وهذا السقوط نجده أيضا في صورة "شجرة الدر" للعريان حيث تظل زوجة وفية للملك الصالح وحين يعود لزوجته الأولى تتحرك فيها عواطف الأنثى فتقتله، ويعلق الكاتب على هذا بقوله: "هكذا النساء جميعا تهيجهن الغيرة فلا يعرفن الفرق ما بين الحب والبغض، ولا ما بين القصاص والجريمة"[٢].

وهكذا ينطلق الكاتب برأيه في امرأة بعينها تحت ظروف معينة ولكن في النساء جميعا، ونفس القضية نجدها في "سيدة القصور" لعلي الجارم، وعلى هذا فالمرأة عند هؤلاء الكتاب انطلاقا من مفهومهم السلفي لا يصلح إلا لأن تكون زوجة تقوم بشؤون البيت، لا وظيفة لها إلا حفظ النوع، وفي الحرب تفعل ما فعلته السلطانة جلنارــ في "واسلاماه" لباكثيرــ حين "جعلت همها حماية زوجها من الغيلة، فجعلت تلاحظه وهي على جوادها من تل مرتفع وتراقب من حوله، وحين أبصرت عدوا يريد طعنه غدرا، توجهت حيث هي ملثمة فضربت العدو وقالت لزوجها: صن نفسك يا سلطان المسلمين! هاقد سبقتك إلى الجنة"[٣]

[١]. فريد أبو حديد: زنوبيا، ص ٢١٧
[٢]. سعيد العريان: شجرة الدر: سلسلة اقرأ العدد ص ٦٠ نقلا عن طه وادي: صورة المرأة في الرواية العربية المعاصرة ١٦٣
[٣]. على أحمد باكثير: واإسلاماه: ص ١٧٠

وإلى جانب هذا أيضا تقوم بتطبيب الجرحى حيث تقول "زبيدة" بطلة "غادة رشيد" للجارم "ما أكثر طمعكم أيها الرجال لم تكتفوا بمنع المرأة من الجهاد حتى جئتم تشاركونها في نصيبها القليل من العناية بالجرحى".[١]

فالمرأة إذن عندهم أنثى لا إنسان ترى في الرجل "تلك الرجولة الخشنة التي تشتهيها كل فتاة، لتكمل بها ما في أنوثتها الناعمة من نقص"[٢].

وهذه التصورات الأنثوية لدور المرأة في الحياة تكاد تنطبق على نفس المفهوم الذي سبق أن ذكرت في الرواية الرومانسية الاجتماعية الجدد، أكثر من هذا فإن الرواية التاريخية تصور المرأة محجبة بعيدة عن أحداث المجتمع، فإن اضطرتها الظروف إلى العمل فلا بد من التوصية بالتقوى وحسن السلوك، فعبد الرحمن القس ينصح سلامة بقوله "أما الغناء فأنت محمولة عليه، وهو صناعتك وأرى أن لاحرج عليك فيه إذا أنت حافظت على صلاتك وصيامك وعصمت نفسك بالتقوى"[٣]

الملاحظة هنا أن صورة المرأة وقضيتها تنتهي نهاية حزينة: إما بالأسر كما في "زنوبيا" أو القتل كما في "واسلاماه" أو فقد الحبيب كما في "على باب زويلة" أو هروبها من الحياة إلى الدير كما في "الوعاء المرمري" أو الموت كما في "قطر الندى" وهذه الصفة الغالبة على الرواية التاريخية كما وجدناها عند الرومانسيين الجدد.

إذا ألقينا النظر على روايات نجيب محفوظ وعادل كامل وغيرهما التاريخية نستطيع أن نقول في روايات التيار الفرعوني كما عبر الدكتور طه وادي عن هذا فإن موقفهم الفكري

[١]. على الجارم : غادة رشيد: ص ١٣٩
[٢]. المصدر السابق: ص ٦٥
[٣]. على أحمد باكثير: سلامة القس: ص ١٢٧

من دور المرأة في المجتمع والحياة أكثر تقدمية ومواكبة لمتطلبات العصر فالمرأة هنا لا تقف حياتها على الدور الأنثوي الذي تمارسه عند كتاب التيار العربي بل هي إنسان متفاعل تبرز فيه سمات الخير والشر، والكاتب يؤكد على ما يمكن أن تؤديه المرأة من أدوار مختلفة في الحياة، إنها قد تقود الحرب مثل "الأم توتيشيري" في "كفاح طيبة" وتحكم وتفقه أمور الدين مثل الملكة "تى" في "ملك من شعاع" وقد تقود الثوار كما في صورة الملكة "نتيوقريتس" في رواية "رادوبيس" وقد تحرك في زوجها دوافع المجد والعلا وتحارب من أجل أن يصبح ملكا، وإنها تقدم حبيبة مثل الأميرة "مرى سى عنخ" في رواية "عبث الأقدار" فإنها ليست مثل "صبيحة" في "أميرة قرطبة" للسحار تحب من أول نظرة، ولا ينسيها الحب منزلتها أو يجعلها تندفع أو تتهور.

وإذا أخذنا "ملك من شعاع" مثالا لتقدمية الفكر بالنسبة لموقفهم من قضية المرأة وجدنا الكاتب يقول بصوت إخناتون: لقد انقضى عهد الظلم إلى غير رجعة ويجب أن يكون للمرأة كل حقوق الرجل.

فوصلنا إلى نتيجة أن هذه الروايات تناولت قضية المرأة من النواحي المختلفة إما إيجابية، أو سلبية وذلك في رأي يعتمد على أزمة الأديب ذاته أو تجربته الذاتية مع المرأة، فالبعض يصور صورة المرأة. إما كملائكة والبعض الآخر يقدمها كشيطانة، كما نرى أن الروائيين قدموا تصويرا رائعا للمرأة إذ إنهم قدموا جانبا ايجابيا للمرأة مثلا في رواية "زنوبيا" قدم محمد فريد أبو حديد صورة المرأة كملكة تدمر التي تشارك زوجها في سياسة الدولة. وفي رواية "قطر الندى" ورواية "شجرة الدر" لمحمد سعيد العريانيعالج فيها الكاتب نهاية الدولة الطولونية، وفي "شجرة الدر" يتحدث عن دور الملكة. وذكر عبد الحميد جودة السحار في رواية "أميرة قرطبة" حياة الجارية "صبيحة" التي استطاعت أن تتزوج من الخليفة وأن

تكون الحاكمة الحقيقية لأندلس. وهناك رواية أخرى أيضا تنعكس فيها صورة مشرفة وايجابية للمرأة، مثل "سيدة القصور" لعلي الجارم.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قدم الروائيون صورة سلبية للمرأة أيضا، ففي رواياته المختلفة يصور جودة السحار المرأة كأنها "شيطانة"، كما نجد في بعض روايات عبد الحليم عبدالله إنه يعتبر المرأة سلعة تباع وتشترى في السوق.

المصادر والمراجع

١. أنور الجندي، "أدب المرأة العربية والقصة العربية المعاصرة"، مطبعة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٦٢ م.

٢. أنيس المقدسي، "الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث"، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٦٧م.

٣. أنيس المقدسي، "الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة"، دارالكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٣م.

٤. بثينة شعبان الدكتورة، "مئة عام من الرواية النسائية العربية"، دارالآداب للنشر والتوزيع بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٥. باخانوف، "الأدب بين المادية والمثالية"، مطبعة الاعتماد، ١٩٥٦م.

٦. طه وادي الدكتور، "صورة المرأة في الرواية المعاصرة"، الناشر، دار المعارف، القاهرة،الطبعة الرابعة ١٩٩٤م.

٧. عادل كامل، "ملك من شعاع"، الهيئةالمصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.

٨. علي الجارم، "غادة رشيد"، دارالمعارف مصر، ١٩٦٦م.

٩. علي الراعي الدكتور، "دراسات في الرواية المصرية"، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٨٩م.

١٠. علي المحافظة، "الاتجاهات الفكرية عند العرب"، في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩١٤م، الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية الأهلية للنشر والتوزيع بيروت، ١٩٨٧م.

١١. محمد فريد أبو حديد،"ابنة الملوك"، الطبعةمطبعة الاعتمادالقاهرة،١٩٢٦م.

١٢. محمد فريد أبو حديد، "أزهار الشوك"، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦١م.

١٣. محمد فريد أبو حديد، "الوعاء المرمري"، مكتبة دار المعارف القاهرة، ١٩٦٩م.

١٤. نجيب محفوظ، "رادوبيس"، مكتبة مصرالقاهرة، الطبعة العاشرة، ١٩٨١م.

الأدب العربي الحديث في العراق

محمد أحمد عبد الله*

التمهيد

الأدب العربي الحديث ضد الأدب العربي القديم أو الكلاسيكي. والكلاسيكي هو الأدب الذي يتميز بنوع خاص من الوضوح والسهولة والبساطة والإيقاع والنغم والموسيقى. وهو كان يخاطب الطبقة الأرستقراطية مثل الأمراء والسلاطين والحكام وأمثالهم. والكلاسيكي يمتاز بالاتزان الكامل بين العقل والعاطفة. وإظهار الذات ليس من ميزات الأدب الكلاسيكي بل ولجت هذه الميزة مع أضداد أخواتها الأخرى المذكورة فى الأدب الحديث وخاصة فى الرومانسية. وليس معنى ذلك أن الأدب العربي الحديث ليس فيه الوضوح واليسر والبساطة وما إلى ذلك، ولكن المعنى هو أنه إذا وجدت صفة فاتت أخرى. ولذلك قلما تتوفر تلك الرائحة فى أدبنا اليوم وخاصة المثل العليا ومكارم الأخلاق والسماحة والأوصاف الأخرى التي يتمتع بها الشعر العربي القديم.

والأدب العربي الحديث شجرة تنوعت أغصانها، فتبوأت التيارات والاتجاهات مقاعد منها. وذلك بسبب احتكاك العرب مع الغرب بعد احتكاكهم مع الفرس، وبسبب احتكاك الثقافة الشرقية مع الثقافة الغربية جاءت الرومانسية والواقعية والرمزية والسريالية وغيرها إلى الأدب العربي وأثرت فيه تأثيرا قويا حيث أصبح يعرف بتلك الصبغة بل بتلك الأسماء نفسها.

* الباحث في جامعة جواهرلال نهرو، نيو دلهي

تأثر الأدب العربي الحديث بذلك فى العالم العربي كله. وتفوقت بلاد مصر على أخواتها من البلدان العربية في هذا المجال حيث ظهرت أول رواية ناضجة من قلم محمد حسين هيكل، وأصبح توفيق الحكيم رائد المسرح الذهني بعدما لونها مارون النقاش اللبناني لونا خاصا. وهو يعد رائد المسرحية. وهكذا نرى شخصيات بارزة كبرى في مجال الأدب العربي تقدمت به إلى الأمام لئلا يتأخر عن مثله فى الزمن الذي طارت فيه الآداب الأخرى فى الآفاق. ولم يكن العراق عند أعجازها بل تنافس مع البلدان العربية الأخرى في مجال الأدب العربي وأتى بنوع جديد من الأدب، فها هي نازك الملائكة التي تعد رائدة الشعر الحر، وهي عراقية الأصل.

وفى السطورالتالية أحاول الكلام عن الأدب العربي الحديث فى العراق. وذلك يشمل إطلالا سريعا على الكتاب والشعراء ثم على النثر والشعر مع التركيز الخاص على الشعر الحر.

صلب الموضوع

لم يزل ولايزال العراق مكان الصراع والنزال والاحتلال الغزوي والفكري والسياسي والحماسي الذي يجعل أهله في يأس وقنوط أحيانا، واضطراب وانفكاك أحيانا، يخلق جوا في طياته التذبذب ثم التقهقر ثم تولي الأدبار طورا، والكر والفر والإقبال والإدبار طورا.

يمتاز الأدب العراقي بالمكافحة، والتنافس، والصبغة التقريرية، الاقتراب من النثر لدرجة الانحدار والابتذال ولاشيء غير الوزن والقافية. فكانت النثرية والوضوح أقصى ما يطمح إليه الشاعر العراقي، ولذلك حفل شعره بالعظات والعبر التي لو قيلت فى النثر لكانت أرفع مقاما لبعدها عن تكلف القريض. ولقد شكل الاحتلال الإنكليزي صدمة نفسية وفكرية في كثير من أدبائها وخاصة بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية. وظهر ملامح الإحباط والتشاؤم واليأس فى الأدب العربي العراقي. وكيف لا؟ إذا ما بدا ذلك فى الأدب الغربي وقد

تأثر بذلك كتابهم أنفسهم أمثال إدوارد سعيد وسوزان برنار وفيليب روث ومايكل مور داخل أمريكا وبيتر هاندكه وألفريدا جيلينيك ويوسف روث وغيرهم.

"شغلت الحياة الأدبية فى العراق فى النصف الأول من القرن العشرين؛ بعضهم جاري الحركة الشعرية العربية المعاصرة فارتقى مكانه الرفيع في حلبتها، والبعض الآخر قصر عنها واقتصر نشاطه على التقليد البحت. وكانوا على صلة بشعراء مصر فتأثروا بهم، وأولوا القضايا السياسية والاجتماعية الكثير من عنايتهم وفي مقدمتها النضال السياسي التحرري من الاستعمار الإنكليزي والتعرض للسجن والاضطهاد والنفي كما أشار إليه الدكتور ياسين الأيوبي"[١].

وفي أواخر السبعينات وما بعدها كان الكتاب والشعراء العراقيون لايشعرون بكامل الحرية بسبب دكتاتورية الرئيس العراقي صدام حسين، ولذلك اضطر عدد منهم أن يعيشوا فى المنفى ويتحدثوا عن المقاومة بعدما انعكست الحالة العراقية السياسية والاجتماعية والنفسية والفكرية، وبقي التمزق والتناقض والافتئات عنوانا رئيسيا لهذه الحالة. فوجد العراقي نفسه في مهبّ الريح، لا وطن يحضن أحلامه ويركن كاهله المتعب على ضفاف أنهاره وفيء بساتينه. كل ذلك كان انعكاسا نفسيا لحالة اليأس المطلق وبحث عن معادل تعويضي لفقدان الأمل والثقة بالذات والمجتمع. فالفردية وحب الذات والتناقض والنزق والانفعال وعدم المسؤولية أو المبالغة في مظاهر اليأس أو التفاؤل وسوى ذلك انعكاسات نفسية واجتماعية لهذه المرحلة الحديثة القلقة.

ومن الأدباء البارزين فاضل العزاوي وموشين آل الرملي وصلاح الحمداني وفتح شيركو وغيرهم. ومن الشعراء الكبار عبدالوهاب البياتي ومحمد مهدي الجواهري ونازك الملائكة

[١] الدكتور ياسين الأيوبي، مذاهب الأدب – معالم وانعكاسات، طبعة أولى، ص ٢٦٩

وأحمد مطر وبدر شاكر السياب وجميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي و سعدي يوسف وغيرهم.

فاضل العزاوي شاعر وروائي ومترجم عراقي. ولد في كركوك عام ١٩٤٠م. وهو يعتبر من مؤسسي "جماعة الكركوك" التي تضم سركون بولص وجان دمو ومؤيد الراوي وصلاح فائق والتي اهتمت بقصيدة النثر. ترجم العزاوي رواية "صاحب فخامة الديناصورات" للروائي البرتغالي خوسية كاردوزو بيريس.

ومن رواياته: "مخلوقات فاضل العزاوي العجيبة" و"القلعة الخامسة" و"الأسلاف" و"آخر الملائكة"، وهي التي ترجمت إلى اللغة الإنكليزية تحت عنوان The Last of the Angels عام ٢٠٠٧م.

ومن دواوينه الشعرية: "سلاما أيتها الموجة سلاما أيها البحر" و"الأسفار" و"صاعدا حتى الينبوع".

عبدالوهاب البياتي شاعر وكاتب عراقي (١٩٢٦-٢٠٠١م).

يمتاز شعره بنزوعه نحو عالمية معاصرة متأنية من حياته الموزعة في عواصم متعددة وعلاقاته الواسعة مع أدباء وشعراء العالم الكبار، مثل الشاعر التركي ناظم حكمت والشاعر الإسباني رفائيل ألبرتي والشاعر الروسي يفتشنكو والمقام الكبير فالح البياتي، وكذلك بامتزاجه مع التراث والرموز الصوفية والأسطورية التي شكلت إحدى الملامح الأهم في حضوره الشعري وحداثته.

ومن دواوينه وأعماله: ديوان ملائكة وشياطين، أباريق مهشمة، المجد للأطفال والزيتون، رسالة إلى ناظم حكمت، أشعار في المنفى، عشرون قصيدة من برلين، كلمات لا تموت، طريق الحرية (بالروسية).

ومن قصائده: قصائد حب على بوابات العالم السبع، سيرة ذاتية لسارق النار، كتاب البحر، صوت السنوات الضوئية، كتاب المراثي، الحريق، خمسون قصيدة حب، البحر بعيد .. أسمعه يتنهد، ينابيع الشمس.

وقد صدر له ديوان عبد الوهاب البياتي الذي ضم دواوينه المذكورة في ٣ أجزاء نشر دار العودة ببيروت عام ١٩٧٢م. ومن أعماله الإبداعية الأخرى مسرحية محاكمة في نيسابور.

يقول في القصيدة "سوق القرية":

الشمس، والحمر الهزيلة، والذباب

وحذاء جندي قديم

يتداول الأيدي، وفلاح يحدق فى الفراغ:

في مطلع العام الجديد

يداي تمتلئان حتما بالنقود

وسأشتري هذا الحذاء

نازك صادق الملائكة (١٩٢٣-٢٠٠٧م) شاعرة عراقية. وهي تعتبر لدى الكثير رائدة الشعر الحر، وقصيدتها "الكوليرا" من أوائل الشعر الحر في الأدب العربي. ويلاحظ الدكتور أيوب تاج الدين على ديوانها الأول "عاشقة الليل": "فيه التمرد الحزين بإطار من الرومانطيقية المحضة وهي محافظة بتلك الأشكال القديمة معتمدة على الشعر الحر، وإنها خاصة فى الديوان الثالث "قرارة الموجة"، إنها انتقلت من التعبير المباشر إلى التعبير

الرمزي الذي يوحي بالحالة النفسية إيحاء رمزيا"[١]. وقد بدأت في كتابة الشعر الحر في فترة زمنية مقاربة جدا للشاعر بدر شاكر السياب وزميلين لهما هما الشاعران شاذل طاقه وعبد الوهاب البياتي، وهؤلاء الأربعة سجلوا في اللوائح بوصفهم رواد الشعر الحديث في العراق.

ومن أهم مجموعاتها الشعرية: عاشقة الليل، شظايا الرماد، قرارة الموجة، شجرة القمر، مأساة الحياة وأغنية للإنسان، الصلاة والثورة.

وهي تقول في "الكوليرا":

سكن الليل
أصغ إلى وقع صدى الأنات
في عمق الظلمة، تحت الصمت، على الأموات
صرخات تعلو، تضطرب
حزن يتدفق، يلتهب
يتبعثر فيه صدى الآهات

"ويؤخذ على نازك الضرب المستمر على أنغام اليأس والكآبة الحزينة مع تشاؤم من الوجود وإعمال الحقيقة والانطواء على الذات، انطواء يشبه المرض. ويؤخذ عليها الإطالة فى المعاني وتضخيم الصور مع قلة فى الإحساس وضعف فى التركيز الفكري. أيضا يقول أحمد قبش: لانجد عند نازك إلا الأشباح والخيالات الهاجسة والخطوة الرشيقة الحزينة والسبحة المستغرقة المتصوفة. نهلت من المهجريين بعض رومانسيتها فتغلف شعرها

[١] الدكتور أيوب تاج الدين الندوي، الشعر والشعراء فى الأدب العربي الحديث، طبعة أولى، ص ١٢٠

بمسحة من الكآبة والحزن من شكوى مريرة حتى خلقت لذاتها عالما من الألم وجدت فيه لذتها"[١].

بدر شاكر السياب (١٩٢٦م –١٩٦٤م). هو شاعر عراقي يعد واحدا من الشعراء المشهورين فى الوطن العربي فى القرن العشرين، كما يعتبر أحد مؤسسي الشعر الحر في الأدب العربي. له ديوان في جزئين نشرته دار العودة ببيروت سنة١٩٧١م، وجمعت فيه عدة دواوين.

وهو من أخصب الشعراء، ومن أشدّهم فيضا شعريا، وتقصيا للتجربة الحياتية، ومن أغناهم تعبيرا عن خلجات النفس ونبضات الوجدان.

مراحل شعره: كان السياب شاعرا فذا اصطبغ شعره بصبغة الأطوار التي تقلبت فيها حياته المعاشية والاجتماعية والفكرية. عصره الألم في شبابه، وشعر بالغربة القاسية وهو في بيت أبيه، كما شعر بها وهو في بيئته، ولم يجد قلبه الشديد الحساسية من يخرجه من أتون آلامه، ولم يجد في طريقه فتاة أحلامه، الفتاة التي يسكب روحه في روحها، فتنتشله من أحلامه وأوهامه، وتغرقه في عالم من الحنان والرقة، ورافق ذلك كله تتبع فكري وعاطفي لحركة الرومانطيقية التي شاعت في أوربة والتي ازدهرت في بعض الأقطار العربية ولاسيما لبنان المقيم والمهاجر، فاندفع في تلك الحركة، وراح في قصائده الأولى يداعب شجونه في جو من الضبابية اليائسة، وفي انحطام لا يخلو من نبضات ثورية حالمة، وراح يناجي الموت، وينظر إلى مصيرة نظرة اللوعة والحرنان.

وبعد هذه المرحلة نرى السياب ينزع نزعة (الواقعية الجديدة) ويعمل على تحليل المجتمع تحليلا عميقا، وعلى تصويره تصويرا واقعيا فيه من الحقائق الحياتية ما يستطيع الشاعر

[١] أحمد قبش، تاريخ الشعر العربي الحديث، ص ٦٧٩

إدراكه بنفاذ بصره وقوة انطباعيته. وقد امتاز بدر في هذه الفترة من حياته بنزعته القومية العربية وذلك بعد تركه للحزب الشيوعي، وقد بدأت بوادر ذلك في رسائله التي كان يكتبها لأصدقائه مثل ما يقول: "إننا نؤمن بالإنسانية وبالأمة العربية لا بأشخاص بذاتهم ولا بحزب سياسي بذاته" ومثل: "إن النصر لنا ولأمتنا"، ومن ذلك: "أرجو أن أوفق إلى إرضاء قراء مجلتنا القومية الشريفة" وما أشبه ذلك.

بدأ بدر كلاسيكيا، ثم تأثر برومانسية أبي شبكة من لبنان وبودلير من فرنسا، لكن إضافاته الشعرية وإنجازاته بدأت بشعره الواقعي، ولاسيما قصائد حفار القبور؛ المومس العمياء؛ الأسلحة والأطفال. وشعر بدر التموزي أبدع ما ترك من آثار، لاسيما ديوان أنشودة المطر، ففيه نماذج كثيرة للقصيدة العربية الحديثة، التي توفر فيها شكل فني حديث متميز، ومضمون اجتماعي هادف في آن واحد، ومن أشهرها أنشودة المطر، ومدينة السندباد، والنهر والموت، وبروس في بابل، وقصيدة المسيح.

شاذل طاقه (١٩٢٩-١٩٧٤م) شاعر وسياسي ودبلوماسي عراقي، من مؤسسي مدرسة الشعر العربي الحديث (الشعر الحر). أصدر ديوانه الشعري الأول (المساء الأخير) عام ١٩٥٠م، ثم أصدر ديوانا شعريا مشتركا في العام ١٩٥٦م تحت عنوان (قصائد غير صالحة للنشر) ضم قصائد لشعراء عراقيين آخرين من مدينة الموصل هم عبد الحليم اللاوند وهاشم الطعان ويوسف الصائغ. ثم صدرت مجموعته الشعرية الثانية (ثم مات الليل) ثم مجموعته الشعرية الثالثة والأخيرة (الأعور الدجال والغرباء). ترجمت قصائده إلى العديد من اللغات الأجنبية، وكتبت عن أشعاره دراسات وأبحاث عديدة. كما أصدرت وزارة الثقافة والإعلام العراقية في العام ١٩٧٧م مجموعته الكاملة. وله تاريخ الأدب العباسي وفي الإعلام والمعركة.

يعد شاذل طاقة من الشعراء الرواد الأوائل للقصيدة الحرة حيث كانت له محاولات جادة ومهمة في تطوير البنية الإيقاعية الشعرية وكانت له اجتهادات عروضية مهدت لمحاولات كثيرة. كرس شاذل مسيرة حياته القصيرة لما يعرف اليوم بالقصيدة الملتزمة إذ تبنت قصائده منذ نهاية أربعينيات القرن الماضي قضايا الكفاح التحرري للشعب العربي. نموذج من قصيدته"وعاد الرجال":

سألت شجيرة الكافور، قلت:

لعلها تدري..

بأنا ذات أمسية

زرعنا فوقها قمر

صغيراً أسود العينين والشعر..

أشعلنا له شمعا وكافورا..

وفديناه بالنذر..

فذاب الكحل مبهورا..

شيركو بيكاس شاعر كردي (مايو عام ١٩٤٠م). والده فائق بكاس كان أحد الشعراء الكرد المشهورين ومناضلا وطنيا وأحد قادة انتفاضة السادس من أيلول عام١٩٣٠م الذي كلفته السجن ثم الإبعاد إلى جنوب العراق. ورث شيركو بيكاس عن والده القصيدة والشعر والنضال، وعن والدته حب اللغة الكردية، فأتت تجربته النضالية والشعرية مبكرا. فالأنظمة العراقية التي توالت حكم العراق اشتهرت بجبروتها وقسوتها وزرعت في نفوس الناس

وخاصة الشباب الخوف وانعدام الطمأنينة. وهذا ما دفع الكثير من الشبان إلى اللجوء إلى الجبل والالتحاق بفصائل المقاومة الكردية في الجبل للدفاع عن العدالة والقضية الكردية. هذا ما حصل لشيركو بكاس الذي التحق سنة ١٩٦٥م بفصائل المقاومة. وكتب في هذه البدايات الستينية قصائد لها علاقة بالمقاومة والوطنية متأثرا بالشعر العربي والشعر الفلسطيني بصورة خاصة.

هو شاعر الطبيعة وشاعر الإنسان، شعره هو عبارة عن حكايات صغيرة يؤنسن فيها الأشياء ويجعلها تروي عن أحوالها ومصائرها بلغة بسيطة وسهلة ترى في شعره لوحة أو مشهداً فيه مزيج من الشهوات والفرح والحزن. بعد تجربته البغدادية حيث تبلورت اللغة والأدوات الفنية الشعرية تخلى عن القصيدة الصراخ أو الحماسة السياسية وبدأ في أواخر السبعينات كتابة القصائد الموجزة والقصيرة والمكثفة التي نسميها في العربية السهل الممتنع، ليتحول من بعدها إلى كتابة القصائد الطويلة أو الملاحم. أما الآن فهو يكتب نوعا من القصائد يسمونه قصائد مفتوحة مثل نص "الكرسي" التي عادت إلى أصلها النباتي وأصبحت شجرة. ويقوم في قصائده المفتوحة بأنسنة الأشياء ويجسدها في صورة شعرية واضحة، بحيث يصبح هو لسان الأشياء التي تشكل ذاكرته. ومن مؤلفاته: ديوان الكرسي والصليب والثعبان ويوميات شاعر وأنشودتان جبليتان.

محمد مهدي الجواهري هو محمد بن عبد الحسين مهدي الجواهري شاعر عراقي يعتبر من أهم شعراء العرب في العصر الحديث. لقب بشاعر العرب الأكبر، ولقب بشاعر الجمهورية لأنه كان من المؤيدين المتحمسين لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م وقيام الجمهورية العراقية. وكان في السنتين الأوليتين من عمر الجمهورية من المقربين لرئيس الوزراء عبد الكريم قاسم، ولكن انقلبت هذه العلاقة فيما بعد إلى تصادم وقطيعة، واجه الجواهري خلالها مضايقات مختلفة، فغادر العراق عام ١٩٦١م إلى لبنان، ومن هناك استقر في برغ سبع سنوات،

وصدر له فيها في عام ١٩٦٥م ديوان جديد سماه " بريد الغربة "، وعاد إلى العراق في نهاية عام ١٩٦٨م بدعوة رسمية من الحكومة العراقية.

إن الجواهري لهو متنبي العصر الحديث لتشابه أسلوبه بأسلوبه وقو ة قصيده ومتانة شعره، وقيل: لم يأت بعد المتنبي شاعر كالجواهري، لهذا طبع شعر الجواهري في ذهن الناشئة من كل جيل مفاهيم وقيما شعرية إنسانية لا تزول. أما التجديد في شعره فجاء مكللا بكل قيود الفن الرفيع من وزن وقافية ولغة وأسلوب وموسيقى وجمال وأداء.

للجواهري عدد كبير من القصائد، ومنها: عينية الجواهري، ومطلع قصيدتها:

فداء لمثواك من مضجع تنور بالإبلج الأروع

بأعبق من نفحات الجنان روحا ومن مسكها أضوع

ومن أهم مؤلفاته: حلبة الأدب وجناية الروس والإنجليز في إيران (ترجمة عن الفارسية) وبين العاطفة والشعور. وله ديوان شعريحتوي على بريد الغربة وبريد العودة وأيها الأرق وخلجات وذكرياتي والجمهرة.

جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣-١٩٣٦م) كان معروفا على مستوى العراق والعالم العربي وكان جريئا وطموحا وصلبا في مواقفه، فاختلف مع الحكام عندما رآهم يلقون الأحرار في غياهب السجن ومن ثم تنفيذ أحكام الإعدام بهم فنظم قصيدة في تحية الشهداء مطلعها:

على كل عود صاحب وخليل وفي كل بيت رنة وعويل
وفي كل عين عبرة مهراقة وفي كل قلب حسرة وعليل
كأن الجدوع القائمات منابر علت خطباء عودهن نقول

ودافع الزهاوي عن حقوق المرأة وطالبها بترك الحجاب (ويقصد به النقاب الذي يخفى معالم الوجه) وأسرف في ذلك، حيث قال:

أسفري فالحجاب يا ابنة فهر هو داء في الاجتماع وخيم
كل شيء إلى التجدد ماض فلماذا يقر هذا القديم؟

وقال أيضا:

مزقي يا ابنة العراق الحجابا أسفري فالحياة تبغي انقلابا
مزقيه واحرقيه بلا ريث فقد كان حارسا كذابا

شعر الزهاوي كما قال رفائيل بطي: "من أعلى طبقات الشعر العصري، لاتجد فيه تعقيدا أو ألفاظا غريبة كثيرة، تغلب عليها الحكم والأمثال مع جزالة فى اللفظ ومتانة فى الأسلوب يحلى كل ذلك شعور رقيق وحس دقيق وعواطف متقدة ومذهبه فيه مذهب العالم يريد تقييد حقائق العلم بسلاسل النظم، والفيلسوف يصف الحياة ووجوهها بشعر عال، والحكيم الاجتماعي يضع قواعد العمران في أبيات مرصفة القوافي محكمة الأوزان"[١].

"وكان الزهاوي كشوقي حريصا على متابعة العصر ومسايرة التطور"[٢]. وكان الزهاوي شديد الإعجاب بنفسه محبا للشهرة يميل إلى مخالفة الناس، ويدعي المعرفة بالعلوم كلها كالفلسفة والفلك والجاذبية والتشريح مما أثار ضجة كادت تودي بحياته، وهو شاعر مكثر، وشعره ثقيل غير سائغ بسبب حشر النظريات العلمية فيه، وكان يحسن اللغة العربية والتركية والفارسية والكردية، وشيئا من اللغة الفرنسية، وترك عدة دواوين منها (الكلم المنظوم) وديوان (اللباب)، وديوان (الأوشال)، و(الثمالة)، و(رباعيات الزهاوي)، وهي ترجمة لرباعيات الخيام.

ودواوين شعره: الجاذبية وتعليلها، الظواهر الطبيعية والفلكية، الخيل وسباتها، الدفع العام، الفجر الصادق. ولديه مجموعة من الأشعار الكردية.

[١] رفائيل بطي، الأدب العصري فى العراق العربي، قسم المنظوم، طبعة أولى، ص ١٠-١١

[٢] أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص ٣٧٦

معروف الرصافي (١٨٧٥-١٩٤٥م) أكاديمي وشاعر عراقي. "والرصافي شاعر أراد أن يتحسس أحوال أمته، وآلام شعبه، فحص المجتمع الشرقي بقسم كبير من شعره، وقد أراد أن يكون بوقا في أذن الغافلين والمتغافلين، وأراد أن يبسط البؤس في أشقى مظاهره، رغبة منه في لفت أنظار المسؤولين إلى سوء حالة الشعب، وفي إصلاح شأن الأمة وجمع كلمتها. والرصافي حي العاطفة في شعره، وهو يسير فيه على أسلوب الأقدمين فى التعبير والصياغة. وهكذا كان الرصافي شاعر الاجتماع وشاعر الفقراء والمعزين"[١].

امتاز أسلوب الرصافي بمتانة لغته ورصانة أسلوبه، وله آثار كثيرة في النثر والشعر واللغة والأدب، أشهرها ديوانه "ديوان الرصافي" حيث رتبه على أحد عشر بابا، في الكون والدين والاجتماع والفلسفة والوصف والحرب والرثاء والتاريخ والسياسة وعالم المرأة والمقطعات الشعرية الجميلة وصف عظمة الله:

انظر لتلك الشجرة ذات الغصون النضرة
كيف نمت من حبه وكيف صارت شجرة
ابحث وقل من ذا الذي يخرج منها الثمرة

لقد شارك الرصافي في قضايا أمته السياسية والاجتماعية، ودعا إلى بناء المدارس ونشر العلم، والتي ينبغي لطالب العلم ألا يكون طلبه للعلم لذاته بل لغايات اجتماعية وذلك من خلال ربطه بالعمل فهل وفى اللفظ بهذا المعنى ؟ لذلك يقول:

ابنوا المدارس واستقصوا بها الأملا حتى نطاول في بنيانها زحلا
جودوا عليها بما درت مكاسبكم وقابلوا باحتقار كل من بخلا

وقام بالرد على الاحتلال البريطاني:

أيها المحتل لن نتناسى بغيكم في مساكن "الفلوجة"

[١] الموجز فى الأدب العربي وتاريخه: لجنة، ص ٢٠٢

ذاك بغي يشفي الله إلا بالمواضي جريحه وشجيجه

فقارع الاستعمار الإنكليزي كثيرا وناضل في سبيل تحرير بلده وأمته. برع في الوصف والغزل والمدح والفخر وحث على تأسيس المدارس والمعاهد والثورة على التأخر والانحطاط الاجتماعي. عاصر معروف الرصافي الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي، وقد دعا كلاهما إلى تحرير المرأة ونزع الحجاب (العباءة) التي كانت مستخدمة من قبل عامة نساء العراق. ولكن كانت المنافسة والعداوة بينهما شديدة حيث قال الرصافي أشياء كثيرة في النيل من الزهاوي. ولكن الحمد لله انتهت العداوة بالصلح بينهما قبل وفاتهما في جلسة صلح نظمها محمود صبحي الدفتري في داره في الحيدر خانة.

أحمد مطر شاعر عراقي الجنسية ولد سنة ١٩٥٤م. في سن الرابعة عشرة بدأ مطر يكتب الشعر، ولم تخرج قصائده الأولى عن نطاق الغزل والرومانسية، لكن سرعان ماتكشفت له خفايا الصراع بين السلطة والشعب، فألقى بنفسه في فترة مبكرة من عمره، في دائرة النار، حيث لم تطاوعه نفسه على الصمت، ولا على ارتداء ثياب العرس في المأتم، فدخل المعترك السياسي من خلال مشاركته في الاحتفالات العامة بإلقاء قصائده من على المنصة، وكانت هذه القصائد في بداياتها طويلة، تصل إلى أكثر من مائة بيت، مشحونة بقوة عالية من التحريض، وتتمحور حول موقف المواطن من سلطة لاتتركه ليعيش. ولم يكن لمثل هذا الموقف أن يمر بسلام، الأمر الذي اضطر الشاعر، في النهاية، إلى توديع وطنه ومرابع صباه والتوجه إلى الكويت، هاربا من مطاردة السلطة.

يجد كثير من الثوريين في العالم العربي والناقمين على الأنظمة مبتغاهم في لافتات أحمد مطر حتى أن هناك من يلقبه بملك الشعراء ويقولون إن كان أحمد شوقي هو أمير الشعراء فأحمد مطر هو ملكهم. هو يقول فى القصيدة "لص بلادي":

بالتمادي . . . يصبح اللص بأوربا مديرا للنوادي،

وبأمريكا، زعيما للعصابات وأوكار الفساد،

وبأوطاني التي من شرعها قطع الأيادي،

يصبح اللص . . . زعيما للبلاد،

ومن قصائده: شعر الرقباء، ولاة الأرض، ورثة إبليس، أعوام الخصام، الجثة، دمعة على جثمان الحرية، السلطان الرجيم، الثور والحظيرة (السادات)، هون عليك (ياسر عرفات)، مقاوم بالثرثرة (بشار الأسد)، كلب الوالي.

سعدي يوسف (١٩٣٤م) شاعر عراقي ومترجم. عمل في التدريس والصحافة الثقافية. وغادر العراق في السبعينيات لأسباب شخصية بحتة ونال جوائز في الشعر، ومنها: جائزة سلطان بن علي العويس، والجائزة الإيطالية العالمية، وجائزة كافافي من الجمعية الهلينية. ونال جائزة فيرونيا الإيطالية لأفضل مؤلف أجنبيي عام ٢٠٠٥م وغيرها.

وله أشعار، ومنها: القرصان، أغنيات ليست للآخرين، النجم والرماد، بعيداً عن السماء الأولى، نهايات الشمال الإفريقي، الأخضر بن يوسف ومشاغله، تحت جدارية فائق حسن، الليالي كلها، الساعة الأخيرة، من يعرف الوردة، مريم تأتي، جنة المنسيات.

ترجم الشاعر أشعارا، ومنها: أوراق العشب – والت ويتمان، وداعا للإسكندرية التي تفقدها – كافافي، إيماءات – يانيس ريستوس، الأغاني وما بعدها – لوركا، ديوان الأمير وحكاية فاطمة – غونار أكيلف، شجرة ليمون في القلب – فاسكو بوبا، سماء صافية – أونغاريتي، قصائد – هولان.

أعماله الأخرى: نافذة في المنزل المغربي – قصص قصيرة، سماء تحت راية فلسطينية- يوميات، يوميات المنفى الأخير، أفكار بصوت هادئ – مقالات، عندما في الأعالي – مسرحية، مثلث الدائرة – رواية، خطوات الكنغر – يوميات ومقالات، يوميات الأذى – دمشق.

يحيى عباس عبود السماوي (١٩٤٩م) حصل على بكالوريوس الأدب العربي من جامعة المستنصرية بالعراق. واشتغل بالتدريس والصحافة في كل من العراق والمملكة العربية السعودية، وهاجر إلى أستراليا عام ١٩٩٧م.

ودواوينه الشعرية هي: عيناك دنيا، قصائد في زمن السبي والبكاء، قلبي على وطني، من أغاني المشرد، جرح باتساع الوطن، الاختيار، عيناك لي وطن ومنفى، رباعيات، هذه خيمتي.. فأين الوطن. ونشر قصائده في دوريات أدبية عديدة. وحصل على جائزة أبها الأولى لأفضل ديوان شعر لعام ١٩٩٣م.

وله سبع وستون قصيدة، ومنها: لاتذبحوا حبيبنا العراق، ثلاث زهرات برية، وطني، نسيب، ارحلوا عن وطني، آه ما حيلتي!. وهنا بعض أبيات قصيدته " لاتذبحوا حبيبنا العراق":

نعرف أن طينه معاق

وماءه معاق

ونخله معاق

وأن كبرياءه يداس كل لحظة

محمد سعيد الحبوبي (١٢٦٦م) من أشهر مشاهير عصره، فقيه كبير، وأديب فطحل، وشاعر مبدع. وكان مثالا للخلق الرفيع والنفسية العالية، فانطبع على حب العلم والأدب انطباعة كانت تشير إلى ذكاء ونبوغ. اتجه صوب المجتمع فكان ولوعا بتكوين الحلقات الأدبية التي تصقل المواهب وتثيرها. والتحق ببعض رجال أسرته الذين عرفوا باشتغالهم بالتجارة بين نجد والنجف. كان يغرد بألوان من الشعر لم يعهد النجف لها مثيلا، ويحف المحافل والأندية بقطع من قلبه الرقيق وروحه الكبيرة. واستطاع أن يمتلك بزمام إمارة

الشعر ويترأس الأندية التي ضمت النوابغ والفحول من أرباب الأدب، فانضوى تحت رايته أكابر الشعراء، وانتسب إلى حضيرته معظم الأدباء.

وله إحدى عشرة قصيدة، ومنها: أيها الساقي، يا معير الغصن، يا غزال الكرخ، شمس الحميا، أغار الحسن، في صباه، تبسم كالبرق وما إلى ذلك. وهنا بعض أبياته:

يا يوسف الحسن فيك الصب قد ليما فأن رأوك هووا للأرض تعظيما

لح كوكبا وامش غصنا والتفت ريما فأن عداك آسمها لم تعدك السيما

علي جعفر العلاق شاعر وناقد له أعمال نقدية مشتركة نحو ..

- الشريف الرضي – أشكال القصيدة العربية – دراسات عن الشعر العربي.
- الشعر العربي في نهاية القرن الحديث – الدواوين الشعرية: لا شيء يحدث .. لا شيء يجي شجر العائلة، فاكهة الماضي، أيام آدم وغير ذلك.

وله ثمان وعشرون قصيدة. وعلى سبيل المثال يقول الشاعر في قصيدته "عاشقان":

الغيوم الخفيفة

تجرفها الريح صوب النهر

غابة

ومساء قديم

فندق

وغيوم تمسح أذيالها

بالشجر....

كانت الريح باردة

الدكتور صالح جواد كاظم (١٩٢٩م) من دواوينه: ظلال الغيوم ١٩٥٠م، والربيع المحتضر ١٩٥٢م، ومن مؤلفاته: ميثاق الوحدة الثقافية – ببليوغرافية في الأدب العربي المسرحي الحديث – تاريخ الأدب العربي الحديث – صلاح الدين في الشعر العربي الحديث – قاموس المصطلحات اللغوية الحديثة وغير ذلك.

وكان **محمود السيد أحمد** صاحب "الطلائع" و"جلال خالد" و"السهام المتقابلة"، وهو رائد الفن القصصي وباعث الحماس في نفوس الآخرين من الكتاب على رفع رايته فدخل ميدانه طائفة من الكتاب، يقف على رأسهم ذوالنون أيوب صاحب "الدكتور إبراهيم" و"اليد والأرض والماء" و"رسل الثقافة" و"صديقي"، الذي أكثر نتاجاته والتصق بالواقع ولم يحتفل بفنية القصة أو الأقصوصة حرصا على أن يسرد كل ما تجيش به نفسه، ويضطرب به وجدانه. وسار على مسلكهم كتاب آخرون مثل عبدالمجيد لطفي وسليم بطي وأنور شاؤل وعبدالوهاب الأمين وخلف شوقي الداودي ويوسف رجيب ولطفي بكر صدقي وعبدالحق فاضل وسعيد عبدالله الشهابي وجعفر الخليلي وضياء سعيد وغيرهم.

وأما بعد الحرب العالمية الثانية فيتضح الأثر الغربي فى الأدب العربي اتضاحا كاملا، ويعتبر عبدالملك نوري خير قصاص عراقي، وحذا حذوه واقتفى أثره نفر من القصاصين مثل فؤاد التكرلي ومحمد روزنامجي وصلاح الدين الناهي وغائب طعمة فرمان وعبدالرزاق الشيخ علي وغيرهم.

وأما **الرواية** فى العراق فيؤكد الدكتور زهير شلبية: "أن غائب طعمة فرمان هو "رائد الرواية الفنية" وأن روايته "النخلة والجيران" (١٩٦٦) هي أول رواية عراقية فنية متميزة

عن كل الأعمال التي سبقتها، وتحققت فيها أغلب مقومات النتاج الأدبي الروائي. والواقع أنه لا الروائيون ولا القصاصيون العراقيون قد استطاعوا أن يفرضوا نتاجهم على انتباه القراء العرب – على الأقل خارج العراق – على النحو الذي فعله زملاؤهم العظام أمثال "الجواهري" و"السياب" و"البياتي" و"نازك الملائكة" في ميدان الشعر"[١].

على الرغم من أن الرواية الفنية بدأت فى العراق كما يرى كثير من الدارسين في أواخر الثلاثينات، أي منذ فترة طويلة نسبيا مع ظهور رواية "الدكتور إبراهيم" (١٩٣٩) التي كتبها ذوالنون أيوب.

على الرغم من نشر روايات عديدة قبل رواية "الدكتور إبراهيم" لعل أبرزها رواية "جلال خالد" (١٩٢٨) لمحمود أحمد السيد. وقد كتب ذوالنون عددا من الروايات من بينها رواية "وعلى الدنيا السلام" (١٩٧٢) التي كتبها من النمسا بعد هزيمة (١٩٦٧) وحملت رؤيته لما حدث.

وظل الطابع الاجتماعي والسياسي الذي تبناه ذوالنون فى الأربعينيات محل اهتمام الروائيين اللاحقين من أبناء الجيل التالي الذين كان من أبرزهم غائب طعمة فرمان وغانم الدباغ وفؤاد التكرلي، ثم من أبناء الجيل الثالث جيل "عبدالرحمن الربيعي" و"إسماعيل فهد إسماعيل" وغيرهما. ولايتسع المجال لمناقشة أعمالهم هنا.

الخاتمة

خلاصة القول إن الأدب العربي شعرا كان أو نثرا يسير جنبا إلى جنب مع الحقائق الموجعة في العراق. ربع القرن الماضي وحده كان عبارة عن حرب وحشية طويلة مع إيران حتى ١٩٨٨م، حرب الخليج الأولى ١٩٩١م والثانية ٢٠٠٣م، ثلاثة عشر عاما من الحصار

[١] الدكتور حمدي السكوت، الرواية العربية – ببليوجرافيا ومدخل نقدي، ص ١٦١

الاقتصادي، وقبل ذلك الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م ثم الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م، كل ذلك أوهن البنى التحتية للبلد ونفسية أبنائه. انهيار الطبقة الوسطى وسقوط نظام الحكم القاسي والاحتلال الأجنبي المتواصل كلها تذكر العراقيين بعدم مناعة بلدهم. ثم إن تمثيل حياة الأسرة وعلاقات الحب في الكثير من المختارات يبين مركزية الموضوع في حياة العراقيين.

المصادر والمراجع

- أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دهلي: كتب خانه رشيديه.
- أحمد قبش: تاريخ الشعر العربي الحديث، بيروت – لبنان: دار الجيل.
- أيوب تاج الدين الندوي الدكتور: الشعر والشعراء فى الأدب العربي الحديث، طبعة أولى، سنة ٢٠٠٥م، دلهي – الهند: غد ورد بكس برائيويت لميتيد.
- حمدي السكوت الدكتور: الرواية العربية – ببليوجرافيا ومدخل نقدي، سنة ٢٠٠٠م، القاهرة – نيويورك: قسم النثر بالجامعة الأمريكية.
- رفائيل بطي: الأدب العصري فى العراق العربي، قسم المنظوم، طبعة أولى، سنة ١٩٢٣م، مصر: المطبعة السلفية.
- لجنة: الموجز فى الأدب العربي وتاريخه، سنة ١٩٦٢م، لبنان: دار المعارف.
- ياسين الأيوبي الدكتور: مذاهب الأدب – معالم وانعكاسات، طبعة أولى، سنة ١٩٨٠م، بيروت – لبنان: دار العلم للملايين.

أمير تاج السر روائي سوداني .....

صوت لم يرتفع حق الارتفاع

محمد شريف النظامي*

تعدّ الرواية السودانية من أهم الروايات تاريخيا منذ ظهورها عام ١٩٤٨ وكانت تلبية لحاجات المجتمع اجتماعية وثقافية. استوطنت الرواية وأصبحت جزءا من البيئة الثقافية الأدبية في السودان على يد الطيب الصالح المسمى ب" عبقري الرواية العربية " وإبراهيم إسحق ومحمود محمد مدني بعد الرواية الواقعية " إنهم بشر" لخليل عبد الله و" القفز فوق حانط قصير" لأبي بكر خالد. يمكن أن نرى في نهاية التسعينيات، جماعات من الأدباء الذين قدموا تراكما من النصوص للرواية العربية السودانية وعلى رأسهم أميرتاج السر، محمد هارون ، حسن البكري، عبد الرحيم محمد صديق، سيف الدين، حسن بابكر، إبراهيم بشير، منصور الصويم، أبكر آدم إسماعيل، محمد حسين بهنس، عبد العزيز بركة ساكن، بثينة خضرمكي، إبراهيم سلوم، عبد الفتاح حامد بدوي، زينب بلبل وغيرهم. الفرق الوحيد بين النص قبل التسعينيات والنص بعدها كان الأول متأثرا بالمد الرومانسي والثاني بحركات التحرر الوطني.

الرواية في السودان:

الرواية العربية السودانية تزدهر يوما فيوما كازدهارها في مصر وغيرها من البلدان العربية. ولا يمكن لأحد أن ينكر مساهمة الروائيين السودانيين في مجال تقدم الرواية العربية السودانية. ومن الذين اشتهروا في الرواية العربية السودانية أمير تاج السر

* باحث (ما قبل الدكتوراه)، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهرلال نهرو، msvelloor@gmail.com

والطيب صالح وعبد العزيز بركة ساكن وإبراهيم اسحق وعيسى الحلو ومحسن خالد وسارة منصور وغيرهم. لكن بسوء الحظ ، لم يعرف منهم إلا قليل في الأدب العربي بسبب غياب المؤسسية وضعف النشر والتوزيع وغيره.

يوجد في السودان كثير من الروايات العربية الشهيرة. ومن أهمها "صائد اليرقات " لأمير تاج السر- سيد الرواية العربية السودانية وأميرها، و"موسم الهجرة إلي الشمال" الذي كتبها الروائي المسمي بعبقري الرواية العربية طيب صالح و"سودانيات"لسارة منصور كاتبة صحافية سودانية التي تتحدث فيها عن العالم السري للبنات السودانية وتحكي عن اضطهاد المرأة السودانية .

أمير تاج السر وأعماله الروائية ...بين السطور

الأعمال الروائية السودانية لا تزال تستريح في حجرة لا يدخل فيها الضوء والنور إلا نادرا برغم الرواية " صائد اليرقات " لروائي سوداني أمير تاج السر التي تمكنت من الوصول للقائمة القصيرة في مسابقة الجائزة العالمية للرواية العربية وهي النسخة العربية لجائزة بوكر الأدبية. ينتظر كثير من الروائيين يوما تعتبر فيه أعمالهم الأدبية العربية، والأن هم محزونون جدا لأن أعمالهم الأدبية لم تعد ولم تدخل في قائمة الأدب العربي. تأيد هذه الدعوة أو الحقيقة بقول عبد العزيز بركة ساكن، أحد أعلام الرواية العربية السودانية "إن المشكلة هي الأعلام العربي الكسول الذي لايكلف نفسه جهد المغامرة والبحث كما أن النقد أيضا غالبا ما يكتفي بما يتوفر لدى الطيب صالح من تحقيقات ، فعلي النقاد والمثقفين أن يخرجوا هم من معطف الطيب صالح لينظروا إلي التحقيقات المهمة والتدقيقات الأخرى". يقول عبد الله الطاهر، الأديب الكاتب الصحفي " إن المبدع السوداني متواضع جدا وغير واثق بنفسه بطريقة غريبة وأن المجتمع السوداني كله هكذا ".

ومن الجدير بالذكر، قد دخل الأدب السوداني دائرة الاهتمام بعد إعلان وصول أميرتاج السر لقائمة البوكر. وكان الأدب السوداني مجهولا في معظم الوطن العربي. يقول الروائي الشهيرأمير تاج السر عن سبب المذكور" لأن الكاتب يعرف إذا كتب عنه إعلاميا وسلط عليه الضوء. وفي السودان عدد من الكتاب الجيدين، بعضهم ينشرون محليا وقليل في الخارج وأعتقد أنهم إذا نشروا بصورة أوسع ووزعت كتبهم بطريقة جيدة ربما نالوا قدراكبيرا من الشهرة. هكذا هناك نقاد سودانيون يكتبون عن الأدب المحلي وينشرون محليا أيضا. ومن النادر أن يكتب ناقد عربي عن رواية سودانية وهذه من الأسباب التي تجعل الأدب السوداني خارج دائرة الضوء".

أمير تاج السر الروائي السوداني الطبيب:

ولد أمير تاج السر سنة ١٩٦٠ في السودان. هو طبيب وروائي سوداني تخرج من كلية الطب ، جامعة طنطا بمصر. هو ابن اخت الروائي السوداني الطيب الصالح ، أحد أهم المجددين في الرواية العربية الحديثة. بدأ حياته الأدبية بكتابة الشعر وله ديوان بعنوان "أحزان كبيرة". وله عدة مؤلفات روائية وأعمال أدبية، لكن أهمها علي الإطلاق رواية "صائد اليرقات" التي تمكنت من الوصول للقائمة القصيرة في مسابقة الجائزة العالمية للرواية العربية

ميزات أسلوبه الأدبي:

يتميز الدكتور أمير تاج السر الروائي السوداني بلغته الشعرية الفاخرة وسرده الذي يغوص في أعماق الذات الإنسانية ويكتشف عوالمها برؤيته الثاقبة وبنظره الدقيق للأشياء والجواهر.

وله تجربة متميزة وقدرة عظيمة وملكة راسخة في السرد لأن بعضا من النقاد يقارنها بتجربة الطيب صالح الروائي السوداني الشهير. وليست هذه المقارنة من جهة التشابه وجهة قرابة الدم بين اثنين لأن الرواية السودنية لم تقفز خارج الأسوار منذ موسم الهجرة إلي الشمال للطيب صالح إلا ما ندر منها كما في حالة أمير تاج السر الطبيب الذي كسر قاعدة الأطباء في رسم غلالة من الصمت والهدوء حول شخصياتهم من الخارج ليشهر قلمه وتنثر آلاف الكلمات علي مئات الصفحات.

تجرباته الشخصية في الكتابة:

بدأ الدكتور أمير تاج السر ممارسة الكتابة في مراحل مبكرة جدا من حياته. وفي المرحلة الابتدائية كان يكتب القصص البوليسية، وفي المرحلة المتوسطة بدأ يكتب الشعر بالعامية. واستمرت كتابة الشعر بالفصحي وكانت قصائده تنشر في مجلات كبيرة ومزدهرة في ذلك الوقت مثل " القاهرة " و" إبداع " و" المجلة " و" الشرق الأوسط ".

تجرباته الروائية: في الحقيقة، الدكتور أمير تاج السر كان يكتب الشعر سنوات طويلة وينشر قصائده في صحف متنوعة ومجلات عديدة. ومع هذا، أنه كان مغرما بالحكي حتى داخل قصائده ثم انتقل إلى كتابة الرواية فجأة وقام بكتابة روايته الأولى " كرماكول " في السنة ١٩٨٧. فجأة ، أحدثت أصداء كبيرة في القاهرة رغم كونها رواية صغيرة. هذه الرواية كتبها الروائي حينما أنهى دراسته في جمهورية مصر العربية. بعد عودته إلي السودان بدأ ممارسته في الطب وعمل بعدة أماكن بعيدة. في الجملة انقطع عن الكتابة لسنوات طويلة حتى انتقل في عام ١٩٩٣للعمل في الدوحة.

في السنة ١٩٩٦ كتب روايته الثانية " سماء بلون الياقوت " ثم تلاها رواية " نار الزغاريد " ثم " مرايا ساحلية " التي أحدثت نقلة في تجرباته الروائية وأضافت عبارة عن منطقة

بوسطن كما كتب " سيرة الوجع " التي نشرت على حلقات في جريدة "الوطن" القطرية ثم كتب " صيد الحضرمية " و"عيون المهاجر". لكن البداية الحقيقية التي تمثل مرحلة الانطلاق والانتشار الواسع كانت في عام ٢٠٠٢ عندما كتب الدكتور أمير تاج السر روايته الشهيرة "مهر الصياح" وهي رواية ضخمة ذات طابع تاريخي. هذه الرواية قد حققت انتشارا كبيراوأصداء بعيدة ويضيف بعض النقاد إن رواية " مهر الصياح "تؤرخ بدايته الفعلية على الرغم من أنه نشر قبلها كثيرا من الأعمال المميزة لأنها كانت رواية مكتملة العناصر وفيها تحدد أسلوبي بجلاء. بعد هذه الرواية كتب رواية أخرى "زحف النمل" التي انتشرت بشكل كبير وحققت أكبر شهرة. وصادف صدورها مع افتتاح معرض القاهرة للكتاب وبيعت هذه الرواية كثيرا وانتشرت بشدة.

علي كل حال، يستلذ أميرتاج السر برواياته كلها لأنها لاءمت وناسبت مزاجه الإبداعي واستطاع أن يصنع فيها عوالم خاصة لا يسعها الشعر وأحس كأنها ثوب واسع.الأعمال المهمة في نظره " مهر الصياح "و" تواترات القبطي "و" العطر الفرنسي "و" صائد اليرقات " لأن كلها خالية من سيرة شخصية ، بل فيها تبسيط اللغة لأنه لجأ في أعماله الأخيرة إلى تبسيط اللغة إلى حد كبير وأعماله الأولى كانت أقرب وأدنى إلى اللغة الشعرية الفاخرة. لما بدأ كتابة "صيد الحضرمية" شرعت اللغة الشعرية تتوارى لتحل محلها لغة بين النثر والشعر وحين كتب "مهر الصياح" قد نجح في صناعة أسلوبه وما عاد إليه أحد يشكو من صعوبة الفهم أو يصف أعماله بأنها أشباح روايات. وقد ساعدته التجارب الأولى في صناعة الخصوصية وتمليكها. كتب الطبيب عن هموم وطنية معتمدا على الإشارات الكثيرة أكثر من اعتماده على الشرح الموسع كما يرى في " تعاطف "و" رعشات الجنوب". وله أعمال أدبية عديدة مثل "مهر الصياح" و"زحف النمل" و"العطر الفرنسي" وغيرها.

الخاتمة:

الإسهامات الجلية المطروحة بيد الدكتور أمير تاج السر في تاريخ الأدب العربي عامة والروايات العربية خاصة، مستحقة بالعناية والرعاية وجديرة بالذكر والثناء. هذا الشخص البارز قدم ثماني عشرة رواية وديوانا واحدا وسيرة واحدة إلى القراء العربية وقد نجح في إرضاء القارئين بلغته الشعرية وأسلوبه المشترك بين النثر والشعر في كل المحاولة.

المراجع:

- الاتجاه القومي في الرواية.....مصطفي عبد الغني
- تطور الرواية العربية الحديثة.....عبد المحسن طه البدر
- الرواية العربية المعاصرة : بدايات و ملامح.....محمد عزام
- الرواية العربية : النشأة و التحول.....محسن جاسم الموسوي
- روائيون سودانيون يحتجون على هيمنة الطيب صالح ..... أبو زيد الرياض
- جائزة الطيب صالح العالمية تفتح أبواب السودان للعرب .....د. شيرين أبو النجا
- عن جائزة الطيب صالح العالمية .....د. أمير تاج السر
- يومان جادت بهما زين .....د. عبد اللطيف البوني
- جائزة الطيب صالح..... د. حسن ص

نجيب محفوظ راوي مصر وقمة الرواية العربية الحديثة

الدكتور محمد أجمل القاسمي*

ولد نجيب محفوظ بحي الجمالية الذي هو أحد أحياء منطقة "الحسين" بمدينة القاهرة الفاطمية في ١١ كانون الأول/ديسمبر ١٩١١م، والاسم الكامل لنجيب محفوظ هو نجيب محفوظ عبد العزيز إبراهيم أحمد الباشا، وأصل أسرته من مدينة "رشيد" على ساحل البحر المتوسط.[١]

طال عمر نجيب محفوظ وإذا كان عمر المرء يقاس بما أثمره، فإن عمر نجيب محفوظ أطول من ذلك بكثير. لقد أنجز مكتبة كاملة ومازال يكتب إلى أن شحّ بصره فاستبدل الكتابة بالإملاء وكان من روائع ما أملى سيرته الذاتية وأحلامه. وإذا كان نجيب محفوظ حاضرا في شيء فهو كتبه، الأرجح أنه آثر ان يعيش على هامشها، وأن يكون في نهاية الأمر كائنا من حبر وورق وحروف. ليست حياة محفوظ دهليزا ولا سرا غائرا. ظل يقول إنها حياة موظف لا حياة كاتب،[٢] إنها دوام ونظام واجتماعات عائلية وأصدقاء طفولة وكتابة. قد تكون حياته أغنى من ذلك كما يلمح آخرون لكن الرجل شاء أن يبعدها عن العيون، وأن لا يكون بين القارئ وبين كتابه أي واسطة، وحسنا فعل فإن التشخيص والتجسس على المؤلف والنمذجة البطولية هي ما يتواطأ عليه القارئ والكاتب عندنا. نجيب محفوظ، إذن هو كتابه، وهذا الكتاب يطل عليه ويصفه لنا. يتطوع كثيرون للحديث عن لاعب الكرة القديم ولاعب

* **أستاذ محاضر، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهرلال نهرو**

١. رجاء النقاش : "كيف تعرفت على نجيب محفوظ"، القاهرة، ص. ٢٧٥

٢. أنور المعداوي : "نماذج فنية من الأدب والنقد"، القاهرة، ١٩٥١، ص. ٥٥.

"القافية" وابن الحارة المصرية وذي الحياة السرية والوفدي والمتفلسف، لكن كل هذا لا يساوي الصورة التي تستنتجها من كتبه. يتراءى أن حياة محفوظ الأغنى والأكثر صدامية موجودة فيها. في هذه الروايات نجد فلسفة وسياسة وتجربة ومواقف نجيب محفوظ.

ليس لنجيب محفوظ فلسفة متكاملة ولا تبني الروايات نظما فلسفية على كل حال لكن له مزاجا فلسفيا ومقاربة فلسفية. تجدر الإشارة إلى أن روايات محفوظ، إذا أخذنا ثلاثيته مثلا، تصور التكون الصعب وشبه المأساوي للفرد العربي، كما تصور البحث المضني عن المكان المفقود التاريخي والأنطولوجي والسياسي للعربي المعاصر، كما تصور البناء التأسيسي وشبه العبثي أحيانا للمدينة والتاريخ والمجتمع. رواية محفوظ هي رواية هذا التأسيس وهي بالتأكيد ملحمته ولوحة إحتدامه وغلياناته التي تنتهي غالبا بأن تأكل نفسها او تتطاحن بلا نتيجة.[١]

من "خان الخليلي" إلى "زقاق المدق"، من "قصر الشوق" إلى "خمارة القط الأسود"، من الـ "ثرثرة فوق النيل" إلى "الحب فوق هضبة الهرم" أخذنا نجيب محفوظ في ألف رحلة ورحلة، وعلَّمنا كيف يمكن الكتابة أن تكون "مهنة" ومراساً، لا ترفاً أو نزقاً أو حاجة أو هتكاً أو تقديساً أو شغفاً وإلى ما ذلك. علَّمنا هو معنى الجلوس والتعب والكدّ فوق الأوراق البيضاء حتى تبوح بمكنوناتها، معنى حنكة الحكاية التي تأخذ بالتلابيب على الرغم من قارئها. كأنه لا يكتب بالقلم بل بماكينة خياطة، يدرز من هنا، يقطّب من هناك. كأننا إذ نفتح أحد كتبه ذات العناوين الغامضة والغلافات المثيرة، يطلع لنا منه على عالم بكامله. كل قارئ رواية من روايات نجيب محفوظ ولذلك القارئ مخطوف، تائه في بحر بلا مرساة. لكنه ليس التيه بالضياع والهلاك، بل بالانسحار والهلوسة. لا تخدعنّكم الصيغ المتاهية بين سطوره، فهو يمسك بيد قارئه جيداً من أول الكتاب إلى آخره، وإذا شعرنا أحيانا بأنه أرخى

[١]. يوسف القعيد : نجيب محفوظ يبدأ عامه الـ 95 " الاسكندرية، ٢٠٠٧، ص. ٦

قبضته قليلا، فإنما يفعل ذلك فقط لكي يمنحنا بعضا من متعة الكشف والغزو والتعرية والاختراع، ولكي يشعرنا، نحن المتورّطين فيه، بفضلنا على كلماته.[١]

لا نخطئ لو نقول إن نجيب محفوظ روائي بالمعني الأوّلي، "الكلاسيكي"، للكلمة، بأنه يكتب لـ "يروي" القصص ويحكيها. قصصه تعني الكائن البشري أينما كان ولأيّ مجتمع وثقافة انتمى، لأنها بقدر ما تشتغل على حماية "محليتها" وعلى تفاصيل "الخارج"، كالمكان والزمان والطبقة الاجتماعية والحيّ والظرف...الخ، تشتغل كذلك على شخصية الانسان، على مشاعره، طباعه، تناقضاته وعذاباته، أي على كل ما يؤلف النواة التي يتقاسمها بنو البشر، أ كانوا من "أولاد حارتنا" أم من المقلب الآخر من الكرة الأرضية.[٢]

كان نجيب محفوظ كاتبا بالغريزة أيضاً. الغزارة عنده (نشر أكثر من سبعين مؤلفا في الرواية والقصة) إن هي إلاّ انعكاس لتلك الغريزة في ذاتها. فقد كان يكتب كمن يتنفس، بمخيّلة لا تنضب وصبر لا ينقذ. وهل يتعب قلب من الخفقان؟ بالغريزة الباطنية نفسها كانت الصور تتوالد لديه، وليس غريباً أن يتحول عدد من رواياته أفلاما، إذ كانت تلك الروايات أفلاماً جاهزة لا ينقصها سوى بُعد الحركة والصوت.

رغم "عالمية" الكائن الذي جسّده شيخ الحدوثة هذا في كتاباته، إلا أنه كان بامتياز، وفي الدرجة الأولى، صوت بلده وزمنه وشعبه وسياسته ومجتمعه. كان مسكونا بهمّ الحاضر وحياة المواطن العادي في هذا الحاضر: تاجر الخضر وبائع الحلوى والحلاق و فتى المقهى...الخ. كتب معاناة هؤلاء، مشكلاتهم وتمزقهم بين الحب والكره والزواج والطلاق

[١]. عبد الله الدحملي: مقال له نشر في صحيفة ٢٦ سبتمبر الأدبية، رقم العدد ١٢٩٣، يناير ٢٠٠٩، ص. ٦
[٢]. محمد سلماوي: "نجيب محفوظ"، القاهرة، ٢٠٠٦، ص. ٣.

والدين والحكم والثأر والعار والحسد والجشع والظلم والهوان. رواياته روايات "مدينية" بامتياز، المسحوق تحت ثقل واقعه وتحولات بلده وتطورات زمنه.[١]

لم يقدم نجيب محفوظ نفسه كمناضل من اي نوع، غير انه لم ينحن كفرد لأي نظام وإن يكن تجنب العاصفة. روايات نجيب محفوظ ليست في احتياط نجيب محفوظ وربما حماها بسكوته الشخصي. ما تقوله هذه الروايات بلغة روائية، لا تتساهل في هذه الناحية، نقد عميق وداخلي لخيانة النظم العسكرية التي هي أيضا خيانة طبقية وأيديولوجية قدر ما هي افتضاح ثقافة فوقية طنانة. يذهب دارسو محفوظ إلى التشديد على تاريخيته، أي إيمانه بالتاريخ واتكاله عليه ورده العالم والأشياء إليه. والحق أن روايات نجيب محفوظ، عدا عن كونها روايات أفراد في صراعهم مع شروطهم التاريخية، فإن التاريخ عند محفوظ خال من أي هداية أو خلاص. إنه مليء بالعكس بالسخرية التي يتقنها محفوظ وبقدرية تشارف العبث أو اليأس.[٢] طالما عثرنا في روايات محفوظ على الدرويش أو الصوفي الذي يتكلم بلغة إشارية احتمالية ناظرة للمستقبل، لنقل: إن دراويش محفوظ كانوا غالبا صورة لليأس من أي هداية ووقوع التاريخ في عجز نفسه.[٣] بدا في وقت بأن رواية نجيب محفوظ هي رواية التأسيس المديني وأن الزمن تجاوزها بقدر ما تجاوز هذا التأسيس. اشتبه نقاده وروائيو ما بعد جيله في أن أفراده لا يقولون كلمتهم الخاصة وأنهم في حربهم مع ظروفهم يتركون الكلمة الأخيرة لها. لا نشك أن نجيب محفوظ ما كان ليترك للنفس الإنسانية أن تنطلق في أغنية غير محدودة، ما كان ليؤمن بعجائب اللاوعي ولا طوفان الشعر الداخلي. روايته مليئة بالسخرية والنقد واليأس الصلب. واقعيته إذا جازت التسمية هي واقعية التحولات المسخية والتشوهات التدريجية والخيانة الأصلية (على غرار الخطيئة الأصلية) وكل هذا لا

[١]. د. فاطمة موسى: "مقدمة اللص والكلاب بين الفن والواقع"، القاهرة، ١٩٦٥، ص. ٥
[٢]. محمد حسن عانم: "الجنون بين الحقيقة والخيال"، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٨، ص. ٣٠
٧."مجلة "العربي" (عدد خاص، نجيب محفوظ عروبة القلب الوديع)، مقال مقدم من الدكتور سليمان ابراهيم العسكري، العدد ٥٧٧، ديسمبر ٢٠٠٦، ص. ٩-١٠.

يقال إلا بوضوح كامل وعصابي أيضا وبفم مليء بالشكوك وبمحاكمة شبه منطقية.[١] كانت صورة العالم الواضحة المليئة بالزوايا الحادة وبالكتل الصريحة أكثر معاصرة لدى نجيب محفوظ منها لدى كثيرين من منتقديه الروائيين الذين مال بعضهم من حيث يدري ولا يدري إلى ريفية كامنة وإلى نوستالجيا أثرية وإلى غناء هوية وإلى تاريخية خلاصية ذات الهداية. والآن وقد اكتمل الأثر المحفوظي وبعد أن زالت ثورات لم يترك بعضها إلا الزبد فإن الأثر المحفوظي أكثر ما يكون شبها. وإذا جاز للمثقفين مثلا أن يبحثوا عن عارهم الخاص وتاريخهم الفعلي الذي تنكبوا عن أن يكتبوه فعلا فسيرونه في "ثرثرة فوق النيل" و"اللص والكلاب" اكثر مما يجدونه في روايات اكثر شبابا.

نجيب محفوظ مؤسس، ليس قطعا فحسب في الرواية العربية، بل هو الأول في ما ندعوه الرواية العربية المعاصرة. ليس مؤسسا فحسب بل هو صانع هذه الرواية وواضع هذا النوع الذي نسميه الرواية العربية، إنها في الواقع لحظة تأسيس تاريخية اجتماعية أيضا.[٢] رواية محفوظ تحمل لحظة تبلور المدينة المصرية المعاصرة، صنع محفوظ المقابل الروائي لهذه اللحظة المركبة. لقد وجد النص الروائي، فأعطاه أولوية وجعله نهاية في ذاته. لقد خلص النص الروائي من شوائب مراحل وزيادات لاحقة واختلاطات لسواه. خلصه من الشعر الكاذب والتفنن البلاغي والإنشاء والنوستالجيا الريفية والمسخ العاطفي والأفكار المسبقة والمثالات الضمنية والانحيازات اللاحقة. بدا النص الروائي لذلك صارما حديديا محايدا وشبه لا شخصي، وإذا أضفنا قلنا قاسياً وواضحاً. لقد جعل محفوظ الأفكار والمشاعر والشطحات والفيوضات الداخلية لعبة النص الروائي. إنها في الغالب أدوار سرعان ما تنتهي إلى غايتها وتستهلك نفسها فيه. وُجد الكاتب الذي لا يسلم نصه لأي رهان، الرواية تستنفد كل شيء وتحيله ركاما. الرواية أي اللعبة، أي البناء، أي الميزان والحركة هي الغاية

[١]. سلوى العناني: "نجيب محفوظ: أمير الرواية العربية"، كتب عربية دوت كوم، القاهرة، ٢٠٠٢، ص. ١٤٤
[٢]. رجاء النقاش : "كيف تعرفت على نجيب محفوظ"، دار الجيل بيروت، ١٩٩٥ ص. ٢٧٦.

وكل ما فيها تابع لها وليس شيئا سوى مادتها وجبلتها. اخترع نجيب محفوظ الرواية العربية وكان من الدهاء بحيث أمّن لها أن لا يطيح بها حاجز -أيديولوجي أو نفسي أو أدبي.[١] مع ذلك فإن لنجيب محفوظ رؤية القاع. التهافت والتخلع والإنحطاط والخيانة هي الواقع بالنسبة لنجيب محفوظ. إنه واقع يتفاعل نزولا وفي تكشف تدريجي لقاعه. من هنا رتابة العالم المحفوظي. إنه لا يجد باهرا ولا قفزة حقيقية ولا ابتكارا فعليا في هذا التحول. من هنا تشاؤم عقلي وتشاؤم لا يملؤه سوى ذكاء لمّاح لم يعز نجيب محفوظ وسخرية لاذعة كانت سلاحه الخفي.[٢]

بدا نجيب محفوظ وكأنه بين أدباء العرب الوحيد الذي يملك نموذجا، لم يكن خاصا لكنه كان متكاملا. ولقد تأخر هنا وكانت المسافة ذاتها التي يبدأ منها كل تحديث عربي. مع ذلك فإن المسألة لا تقاس هكذا. لم يكن نجيب محفوظ مستخفا بالشكل الروائي، في الواقع لحق بداريل من دون إفراط في "ميرامار" ولحق بتيار الوعي في "الشحاذ" وغيره. هذه المحاكاة لم تخدم الأثر الروائي المحفوظي ولم تبد لازمة له وإن دلت على ديناميته. الآن وقد غدت المغامرة الشكلية هذه في تاريخ الرواية وانطوت في العملية الروائية من دون أن تكون شرطا، الآن يبدو البناء الكلاسيكي المحفوظي أقل قدما. بل يبدو أن العالم الذي يقدمه هو الذي يميز شكله. عالم مقابل بالتأكيد للارتطامات العمياء والدورانية للتاريخ المصري المعاصر ولتاريخنا الحديث كله. عالم اللامكان واللا إسم واللاهوية واللاموقع، عالم البحث عن مكان مفقود والخوض في صراعات زائفة والعودة القدرية الى بدء مستأنف. هذا العالم هو الذي يحدد الشكل المحفوظي الصارم الذي أقام بناء الرواية العربية وكان ثقيلا أحيانا، لدرجة أن أساليب وإشكالات عدة خرجت من تصدعاته.[٣]

[١]. رجاء النقاش: "في حب نجيب محفوظ"، دار الشروق، بيروت ١٩٩٩، ص. ٤٥
[٢]. حسين عيد: "نجيب محفوظ: سيرة ذاتية وأدبية"، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، ١٩٩٧، ص. ٢١
[٣]. محمود أمين: "تاملات في عالم نجيب محفوظ"، القاهرة ١٩٧٠، ص. ٣١- ٣٢.

يبدو الأثر المحفوظي متسلسلاً متداخلاً كدوائر الماء وحارات الملك. إنه يكسب في تواتره هندسة مدنية. بل هو نوع من قاهرة مكتوبة فإذا أخذنا الأثر في مجموعة بدا في تواتره ذا مسحة شرقية. بل بدا رغم بنائه الكلاسيكي متصلاً اتصال ألف ليلة وليلة، ألف ليلة وليلة سوداء، تحولاتها بطيئة لكن ماسخة ومهلكة وذات طابع انحداري.[١]

حاز نجيب محفوظ جائزة نوبل له شخصيا وللثقافة العربية وللظروف التي أحاطت بالعالم العربي يومذاك، هكذا يحدث كل مرة لدى منح نوبل.[٢] بعض مواقف محفوظ من الصراع العربي الإسرائيلي أعجبت ولم تعجب، لكنها كانت في سياق موقف علماني تحديثي، كان موقفه هذا هو الأكثر وضوحا على الإطلاق، من بين المواقف السياسية القليلة التي اتخذها وعبر عنها في شكل مباشر وليس عبر إبداعه الأدبي. فهو لم يكتف بإعلان مساندته لتلك المعاهدة، التي نزلت على معظم العرب بمن فيهم غير قليل من المصريين نزول الصاعقة، وإنما التقى مثقفين إسرائيليين في بداية التطبيع وقبل أن يتبين أن ما يحدث بين جمهورية مصر العربية والدولة الصهيونية إسرائيل لن يجعل السلام الحقيقي أقرب منالا.[٣] وقد جر عليه هذا الموقف ويلات لم يصادف مثلها في حياته، إذ غضب عليه كثير من أصدقائه ومحبيه، وقاطعه بعضهم. وكان هذا أكثر إيلاما من مقاطعة أعماله في معظم بلاد العرب لفترات تفاوتت من بلد إلى آخر. ولكنه توقف عن مقابلة إسرائيليين من تلقاء نفسه، وليس خضوعا لهذه الضغوط. فاستحق عليه سكينا في رقبته.[٤] لم يسافر لاستلام الجائزة وأوكل ابنته بذلك بدلا عنه. ولم يغادر محفوظ إلا مرة واحدة متوجهاً إلى اليمن بتكليف من الرئيس جمال عبد الناصر. لقد نجح وفرض نفسه قمة للأدب العربي بأدبه وحده. من دون سلطة

[١]. حذورة، مصري عبد الحميد: "نجيب محفوظ وفن صناعة العبقرية"، ط. دار الشروق، بيروت ٢٠٠٨، ص. ١٤
[٢]. عبد العال عبدالله الحمامصي: "نجيب وجائزة نوبل"، ط. مطبوعات نادي القصة مديرية الثقافة – الإسكندرية، مصر ١٩٨٩، ص. ٥
[٣]. مصطفى عبد الغني: "نجيب محفوظ الثورة والتصوف"، ط. كتب عربية دوت كوم، مصر، ١٩٩٤، ص. ٢٨
[٤]. سمير عطا الله : مقال له "صاحب العصر" نشر في جريدة السفير اللبنانية في عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٦/٩/٦.

ولا علاقات عامة أعطى نجيب المثل بأن إحترام الأدب هو أيضا إحترام للذات والتزام بالحرية. بهذا الأدب كان معارضا وناقدا صلبا وواعيا للغاية، وبهذا الأدب كان أيضا قويا بحيث تجنبته شرطة الأدب وحادت عنه. لقد جعل من أدبه سلطة فعلية، واليوم نجده غائباً عن نظرنا وكأن امبراطورية هوت، والفراغ الذي يتركه لا يتركه سوى قلائل.[١]

قضى الأديب المصري الكبير نجيب محفوظ نحبه صباح يوم الأربعاء بتاريخ ٢٠٠٦/٨/٣٠ عن عمر يناهز ٩٥ عاما بعد صراع مع المرض. اهتمت وسائل الإعلام العالمية المرئية والمسموعة بنبأ وفاته، ووصفت شبكة (فوكس نيوز) الإخبارية الأميركية نجيب محفوظ بأنه كان يمثل صوتا قويا للإعتدال والتسامح الديني، إضافة إلى كونه واحدا من أفضل الكتاب لدى القراء فى منطقة الشرق الأوسط والعالم. ومن جانب آخر، بثت هيئة الإذاعة البريطانية "بي بي سي" تقريرا عن الأديب الكبير أشارت فيه إلى أن نجيب محفوظ يعد أول أديب عربي يفوز بجائزة نوبل للأداب مؤكدة أنه نال هذه الجائزة المرموقة عبر رسمه صور الحياة المصرية فى لوحة فنية نابضة من خلال روايته الشهيرة الثلاثية، وأضافت هيئة الإذاعة الآنفة الذكر أن نيل الأديب نجيب محفوظ لجائزة نوبل لعب دورا كبيرا في توسيع نطاق المعرفة العالمية بالأدب العربي ووضع محفوظ على قائمة أفضل الكتاب والمفكرين الرواد في العالم.

[١]. مقالة صحفية نشرت في جريدة الأهرام المصرية، في ٣ أيلول ٢٠٠٦.

الدكتور يوسف إدريس ودوره في الأدب العربي الحديث

وسيم أحمد*

إن أرض مصر خصبة غنية في كل مجال من مجالات الحياة، لها دور كبير في تطوير العلوم الإسلامية واللغة العربية وآدابها في العصر الحديث حيث نهض الأدب فيها. وكانت مصر هي المنبع والمنهل للأدب واللغة العربية كما ظهرت فيها المدارس الأدبية التي كانت منهاجا لأدباء العرب مثل مدرسة الإحياء والبعث ومدرسة الديوان ومدرسة أبولو. وبرزهناك عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء والكتاب والمؤرخين وأصحاب الفلسفة في العصورالمختلفة الطويلة إلى عصرنا هذا والذين قاموا بخدمات جليلة في مختلف المجالات الأدبية من الرواية والمسرحية والقصة القصيرة وما إلى ذلك. ويرجع الفضل كله إلى أدبائها وكتابها في تجديد اللغة العربية ورقيها في العصر الحديث بعد أن غزا نابليون بونابرت مصر عام ١٧٩٨م. وهذه الحملة الفرنسية تسببت في تطوير الأدب العربي الحديث في مصر بعد عهد طويل من الركود بسبب عدم اهتمام الخلافة العثمانية تجاه اللغة العربية وآدابها. وقد أدّى هؤلاء الأدباء دورا حيويا في تطوير اللغة العربية وإيصالها إلى قمة الكمال. ومن بين هذه الشخصيات البارزة محمود سامي البارودي وحافظ إبراهيم والشيخ محمد عبده وأحمد شوقي وإبراهيم عبد القادر المازني وعباس محمود العقاد وطه حسين ونجيب محفوظ وتوفيق الحكيم ومن بينهم الدكتور يوسف إدريس عميد القصة القصيرة والذي أدّى دورا مهما في تطوير الأدب العربي الحديث عن طريق كتابة القصص

* الباحث في جامعة جواهر لعل نهرو، نيو دلهي

القصيرة والروايات والمسرحيات والمقالات والصحافة واعتنى عناية خاصة بتنمية اللغة العربية وآدابها طول الحياة وأضاف في ثروة اللغة العربية وآدابها وفنونها المختلفة وخلف لنا آثارا خالدة رائعة.[١]

ولد الدكتور يوسف إدريس في ١٩ من مايو عام ١٩٢٧م في قرية البيروم بمحافظة الشرقية في مصر. كان والده ثريا نسبيا وينتمي إلى الطبقة الوسطى الريفية. وتلقى يوسف إدريس علومه الابتدائية في فاقوس والتحق بكلية الطب بجامعة القاهرة للدراسة العليا وحصل على شهادة بكالوريوس في الطب و الجراحة عام ١٩٥١م. وتخصص في الطب النفساني. وواصل تدريبه الطبي كطبيب مقيم في مستشفى قصر العيني. ومع ذلك استمرت كتابته في الجرائد والصحف حتى عينه أبو الفتح رئيس جريدة "المصري" محررا لها عام ١٩٥٢. وفي العام نفسه أصبح رئيسا للقسم الأدبي بمجلة "روز اليوسف".[٢]

وإلى جانب ذلك واصل يوسف إدريس ممارسة الطب ففتح عيادة في حي "بولاق" ثم عمل كمستشار طبي وعُين مفتشا صحيا في وزارة الصحة في نظام جمال عبد الناصر. ولما غرب نجم عبد الناصر فُصل يوسف إدريس عن منصبه وترك الطب كليا وانقطع للصحافة فأصبح في جريدة "الجمهورية" محررا عام ١٩٦٠م. وأثناء عمله في جريدة "الجمهورية" سافر يوسف إدريس إلى الجزائر في ذروة حرب التحرير عام ١٩٦١ بصفة صحفي وحصل على وسام "الجمهورية" عام ١٩٦٣م. وعُد أحد أهم كتاب عصره وكذلك كتب لجريدة"الأهرام" في الفترة ما بين ١٩٧٣-١٩٨٢ وبعد فترة أصبح من أكبر كتاب عصره.

---

[١] Alan Lensink, State Legitimacy and Literature in Nasser's Egypt,1952-1967, Dalhousie University Halifax, 2011,p.1-30

[٢] كربرشويك، الإبداع القصصي عند يوسف إدريس ،القاهرة،ص ٤٣ و ٤٩.

تأثر الدكتور يوسف إدريس بالأوضاع السياسية الوطنية والتيارات الفكرية التي انتعشت في مراحل الاستقلال من المستعمرين البريطانيين واشترك في مظاهرات كثيرة ضد المستعمرين البريطانيين ونظام الملك فاروق. وخلال سنوات دراسته بكلية الطب عين السكرتير التنفيذي للجنة الدفاع عند الطلبة ثم سكرتيرا للجنة الطلبة، وبهذه الصفة نشر مجلات ثورية ضد الحكومة التي تسببت عن اعتقاله وسجنه وابتعاده عن الدراسة لعدة أشهر. وقبل أن يتخرج يوسف إدريس من كلية الطب اشترك في تنظيم سري يُسمى بـ "اللجنة التنفيذية للكفاح المسلح" وانحصر جهده في الإعداد للتدريب على السلاح بين الطلبة والعمال. كما اشترك في حركة " أنصار السلام" وسافر إلى أوروبا للمشاركة في مؤتمر "أنصار السلام" المنعقد في فيينا في فبرايرعام ١٩٥٢م وكذلك انضم إلى المناضلين الجزائريين في الجبال وحارب معارك استقلالهم ستة أشهرفأهداه الجزائريون وساما تعبيرا عن تقديرهم لجهده في سبيلهم، وسافر الأديب يوسف إدريس عدة مرات إلى العالم العربي كله وزار كلا من فرنسا وإنجلترا وأمريكا واليابان وتايلاندا وسنغافوره وبلاد جنوب شرق آسيا لاسيما الهند، في ميناء مومباي، كما ذكر صالح مرسي في كتابه "هم وأنا" عن رحلته[١].

يعد الأديب يوسف إدريس عميد القصة القصيرة الحديثة في الوطن العربي وقطبا مرموقا للغاية، ورائد التجديد في شكل ومضمون المسرح المصري الحديث الذي امتد أثره إلى البلاد العربية كافة.

مما لاشك فيه أن الأديب يوسف إدريس كتب في كثير من الموضوعات الاجتماعية والسياسية والدينية وتدور كتاباته حول الاجتماع وما تسرب إليه من الفساد كما كتب حول

[١] هم وأنا، صالح مرسي (نجيب محفوظ و يحي حقي و يوسف إدريس ويوسف السباعي)، مكتبة مدبولي الصغيرة، الطبعة الأولى ١٩٩٦

الجنس والطرافة والفكاهة وكثرة الإنجاب وتحديد النسل والمجاعة والفقرومشكلة خضوع الإنسان للإنسان وما إلى ذلك. على سبيل المثال تدل معظم مسرحياته من أهمها "اللحظة الحرجة" و"الفرافير"و"نحو مسرح عربي" و"المهزلة الأرضية" على الموضوعات السياسية والاجتماعية كما تدل مجموعة قصصه من أهمها "أرخص ليالي" و"أيها الرجال" و"حادثة شرف" و"بيت من لحم" و"النداهة" و"جمهورية فرحات" و"قصة حب" على الفساد و الحرمان و التدهورفي المجتمع وكذلك تدل رواياته من أهمها "الحرام" و"العيب" و"رجال وثيران" و"البيضاء" و"قصة حب" على الفساد والفوضى السياسية والانهيار الخلقي في المجتمع .

بدأ الأديب يوسف إدريس حياته الأدبية من نشر قصته القصيرة الأولى "أنشودة الغرباء" في مارس عام ١٩٥٠م والتي نالت صيتا كبيرا وشهرة واسعة في العالم العربي وظلت تظهر قصصه القصيرة المتنوعة قصة تلوقصة قصيرة في جريدة "المصري" و"روزاليوسف" حتى ظهرت مجموعتها باسم "أرخص ليالي" في عام ١٩٥٤م. ولم يكتف الأديب يوسف إدريس بكتابة القصص القصيرة فحسب بل إنه كتب الروايات والمسرحيات أيضا التي لاقت القبول والعموم لدى العالم كله حتى تمت ترجمة مؤلفاته إلى اللغات الأجنبية المختلفة مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية واليابانية والصينية والأردية والسويدية والأرمينية والهولندية واللغات الآسيوية الأخرى.

كان يوسف إدريس أديبا بارعا مبتكرا وصاحب الإنتاج الغزيرفي الأدب العربي من القصة والرواية والمسرحية وفنانا تتدفق أعماله الأدبية بالحيوية والجزالة وتتجلى مهارته الأدبية في مجال الرواية والمسرحية عامة وفي القصة القصيرة خاصة حيث يلقب بأمير القصة القصيرة في الأدب العربي الحديث،كما كان الأديب غزيرالثقافة واسع الاطلاع حيث اطلع على الأدب العالمي عامة والروسي خاصة، ومولعا بالأدب شديد القدرة على التعبير عنهم ،

شديد القرب من الناس، وكان إنسانا شديد الحساسية حتى يمكننا القول إنه يكتب من داخلهم وليس من داخل نفسه.

تميزأسلوبه بالواقعية والاشتراكية بعيداً عن الرومانسية والخطابية والدعائية وكتب كثيرا ضد الإقطاعية والرأسمالية والملكية والاستعمارالبريطاني. ومن أبرز خصائص كتاباته الأدبية معالجته موضوعا جديدا يتعلق بطبقة مطحونة اجتماعيا ومقهورة إنسانيا ومظلومة اقتصاديا في الريف المصري.

وكانت قصص يوسف إدريس بداية لعهد جديد في الكتابة العربية ونموذجا مثاليا اتبعه الجيل الذي جاء بعده في الستينات من القرن العشرين. وبرز النموذج المثالي في كتاباته حيث عالج الموضوعات بدقة بليغة. رسم يوسف إدريس صورة نابضة للحياة القروية المصرية التي أصيبت بنكبات شديدة وعراقيل اجتماعية عديدة تتلاشى مع تطبيق قانون الإصلاح الزراعي فشهد الفلاحون تغييرا جذريا في حياتهم اليومية.

يعتبر يوسف إدريس من العباقرة في القرن العشرين الذين أثروا في الحياة الثقافية والفنية بإبداعهم قبل أن يبلغوا الثلاثين من عمرهم وكما يعد هو من الروائيين المرموقين الذين كتبوا حول القضايا الاجتماعية والسياسية والفكرية. واختارأسلوب التصوير واستخدم الصور الاستطرادية فانتقل من الواقع إلى الخيال كما استخدم اللغة الفصحى التى تختلط بالعامية. وفي الواقع أنه بذل قصارى مجهوداته في كتابة القصص الصغيرة وفكر تفكيرا عميقا لا في الهيكل العام للقصة فحسب بل في الجملة والكلمة أيضا. واستخدم التناقض

والسخرية وسيلة لإبراز اللامعقولية وعرض في قصصه القصيرة مفهوما واضحا للواقعية واستخدم اللغة الفصحى في السرد والعامية في المشاهد وأحيانا يراوح بينهما.[١]

ويمكن لنا أن نذكر السمات البارزة والملامح الأدبية التي كانت تتميز بها كتابات إدريس التي ذكرها الدكتورأحمد القصير في كتابه المشهوركما تلي في النقاط التالية.

أولا- الروح الإنسانية: حيث نجد مساهمة الإنسان في همومه وضعفه وصراعه لمقاومة هذا الضعف.

ثانيا- الشخصية المصرية: حيث يُقدم الكاتب في معظم أعماله مشكلات مصرية ويرسم شخصيات مصرية ويسرد أحداثا مصرية ويرصد تفصيلات مصرية.

ثالثا- العقيدة الاشتراكية : كتابات يوسف إدريس تعبير واضح عن إيمانه الراسخ بالاشتراكية،الأمر الذي دفعه إلى الاهتمام بمعالجة مشكلة الطبقات الكادحة، والإصرارعلى الالتزام بالقيم الخلقية عالية المستوى والعدالة الاجتماعية والحرية الفردية والكرامة الإنسانية.

رابعا- النزعة التقدمية : تنم كتابات يوسف إدريس عن إنسان يؤمن بحتمية التطور حتى في القيم الأخلاقية.

خامسا- المادة العلمية : تنعكس ثقافته العلمية ولاسيما الطبية على كثير من آثاره ونجد في بعض أعماله مشاهد وتفصيلات ومعلومات رائعة لأنها مستمدة من ثقافته العلمية الطبية أولا ومعروضة بطريقة فنية أدبية ثانيا.

[١] الدكتور أحمد القصير، أدباء ثوريون في الثقافة المصرية ، ص ٥٨ و ٥٩، دار العالم الثالث، القاهرة.

سادسا- الصبغة الجنسية: يؤمن يوسف إدريس بما للجنس من فاعلية بل من جبرية تشترك مع قوى أخرى في توجيه الإنسان وتشكيل سلوكه. ومن الواضح أن يوسف إدريس لا يستخدم عنصر الجنس استخداما ساذجا أو ترفيهيا أو تجاريا كما يفعل البعض وإنما يستخدم عنصرالجنس استخداما علميا لاستكمال تحليل نوازع النفس الإنسانية.

سابعا- تعدد الأبعاد : نلاحظ أن قصص يوسف إدريس متعددة الأبعاد حيث تختلف قصصه و تتنوع في الشكل والمضمون والمغزى.[١]

أما لغة الأديب يوسف إدريس وأسلوبها فهي جميلة ورائعة، اختاراللغة الدارجة في المسرح وأرادها العامية والفنية لأنها قريبة إلى مقاصده الباطنة ومن متفرجيه على السواء.

ونظرا إلى أعماله الجليلة وخدماته العظيمة في حقل الأدب العربي الحديث، قد أعطي الجوائز المتنوعة منها: جائزة الرئيس عبد الناصر في الأدب وكذلك منحه الرئيس أنورالسادات وسام الجمهورية من الطبقة الثالثة في عام ١٩٦٦م وحصل على جائزة الدولة أيضا. ويجدربالذكر أن اسمه كان ضمن أسماء المرشحين لجائزة نوبل للأدب في عام ١٩٨٨.

المصادر والمراجع:

١. الأب روبرت ب. كاميل اليسوعي، أعلام الأدب العربي المعاصر، الشركة المتحدة للتوزيع، ١٩٩٦

٢. ساسون سوميخ، عالم يوسف إدريس القصصي، تل أبيب، دار النشر العربي، ١٩٧٦

٣. ساسون سوميخ، لغة القصة في أدب يوسف إدريس، جامعة تل أبيب، ١٩٨٤

[١] الدكتور أحمد هيكل، دراسات أدبية، ص ١٩٦

٤. صالح مرسي، هم وأنا (نجيب محفوظ، يحيى حقي، يوسف إدريس، يوسف السباعي) مكتبة مدبولي الصغير، الطبعة الأولى ١٩٩٦

٥. يوسف إدريس، أرخص ليالي، سلسلة "الكتاب الكبير الذهبي"، روزاليوسف ودار النشر القومي، ١٩٥٤

٦. يوسف إدريس، جمهورية فرحات، دار النشر القومية، القاهرة ١٩٥٧

٧. يوسف إدريس، أليس كذلك، مركز الشرق الأوسط ، ١٩٥٧

٨. يوسف إدريس، آخرالدنيا، سلسلة الكاتب الذهبي، روزاليوسف ١٩٦١

٩. يوسف إدريس، حادثة شرف، دار الآداب، بيروت ١٩٥٨

١٠. يوسف إدريس، لغة الآي آي، سلسلة الكتاب الذهبي، روز اليوسف، القاهرة

١١. يوسف إدريس، النداهة، سلسلة "رواية الهلال" دارالهلال، ١٩٦٩م

١٢. يوسف إدريس، بيت من لحم، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧١م

١٣. يوسف إدريس، العتب على النظر، مركز الأهرام للطباعة و النشر، القاهرة ١٩٨٧

١٤. Allen. Roger, Critical Perspectives on Yusuf Idris, Washington D.C, Three Continents Press

١٥. Brugman, J., An Introduction to the history of Modern Arabic Literature in Egypt, Leiden, E. J. Brill, 1994

ملامح القصة القصيرة فى الأدب الأردي

مصطفى علاء الدين محمد*

القص في اللغة العربية وكما ورد في المعاجم، قصّ الأثر أي تتبع مساره ورصد حركة أصحابه والتقط بعض أخبارهم. ومنه قوله تعالى: "قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا»[١]

وعرف لنورتروب فراي القصة القصيرة "هي نوع من النثر الفني القصصي أو الحكائي الذي يقرأ بشكل مناسب في جلسة واحدة، ومن حيث الطول فإن هذا النوع يقع فيما بين القصة القصيرة جدا."

وتعريف القصة القصيرة عند وقار عظيم "هي نوع أدبي عبارة عن سرد حكائي نثري أقصر من الرواية، وتهدف إلى تقديم حدث وحيد غالبا ضمن مدة زمنية قصيرة ومكان محدود غالبا لتعبرعن موقف أو جانب من جوانب الحياة ، لابد لسرد الحدث في القصة القصيرة ".[٢]

وقد ازدهرت القصة القصيرة و تمت ترجمة أعداد هائلة منها إلى اللغة العربية، وتمصير جانب كبير منها، وكانت هذه القصص لكبار الكتاب الغربيين من الروس، والإنجليز والفرنسيين، والأمريكيين، والإيطاليين وغيرهم، وكان مصطفى لطفي المنفلوطي أبرز هؤلاء جميعا، وكتاب"العبرات" مجموعة من القصص الفرنسية صاغها في أسلوبه الرشيق

* **طالب من مصر، يدرس الماجستير في اللغة الأردية، جامعة جواهرلال نهرو**

١. عبد القادر القط، القصة القصيرة، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٠

٢. رادها كرشن، بريم جند كے مختصر افسانے، نئى دلى ١٩٨٧ ص٢٢

والدقيق فجاءت مغرقة في الحزن، تفجر الدموع في العين والقلب بين قراء يعانون من هموم قاسية في حياتهم الخاصة والعامة على السواء.

ومن هنا ظهرت القصة القصيرة كفن أدبي في بداية القرن العشرين، وكان لها انتشار كبير وتذهب بعض الآراء إلى أن أول قصة قصيرة عربية بالشكل المتعارف عليه كانت قصة "في القطار" لمحمد تيمور وجاءت ثمرة ناضجة لاتصاله القوى والمباشر والمبكر بالثقافة الغربية.

شهدت الفترة من (١١١٨هـ - ١٧٠٧م إلى ١٢١٩هـ - ١٨٠٣م) عهد التدهور السياسي للأمة الإسلامية فى شبه القارة الهندية الباكستانية، وعهد الفوضى الاجتماعية والحضارية لمسلمي الهند إذ تمكنت شركة الهند الشرقية بعد وفاة أورنگزيب عالمگير من إحكام سيطرتها على أقاليم الدولة المغولية وتكالبت المضادة على ممتلكات الدولة المغولية تنهش فيها المراهتة فى الدكن، والجات والسكه فى شمال الهند والأفغان فى شمال وغرب الهند وهذا بالإضافة إلى الخلافات التى سادت المسلمين أنفسهم داخل الهند نتيجة لظهور النزعات القومية بين الإيرانيين والطورانيين والهنود ، ومن ناحية أخرى راح المسلمون فريسة للخلافات الطائفية.[١]

ولحركة "سر سيد" هذه أثار كبيرة في تطور الأدب الأردي شعره ونثره، وشارك سرسيد كثير من مفكري وأدباء وشعراء الهند المسلمين في هذه النهضة العلمية أو الحركة الإصلاحية، والذين يعرفون في الأردية باسم "رفقاء سر سيد". منهم علي سبيل المثال لا للحصر الشاعر الطاف حسين حالي، الأديب محمد حسين آزاد، شبلي النعماني، نذير أحمد، ذكاء الله، ومحسن الملك، چراغ علي، وإسماعيل ميرتهي وغيرهم الذين قاموا بتناول كل ما

[١]. سمير عبد الحميد، الأدب الأردي الاسلامي، الممكلة العربية السعودية، ص ٢٦١

تدعوا إليه هذه الحركة الإصلاحية في كتاباتهم وفي كل ما أبدعوا من شعر ونثر، فكانت تهدف الحركة إلي النهوض بالمسلمين في كل مجالات الحياة، ولهذا عبر حالي عن كل قضايا المجتمع بواقعية رافضًا كل عيوبه بطريق غير مباشر.[١]

وكانت الحركة التقدمية في الأدب الأردي هي الحركة الأدبية الوحيدة التى تم التنظيم والتنسيق لها بحيث سيطرت على الساحة الأدبية في شبه القارة الهندية الباكستانية، وجذبت الحركة التقدمية بأفكارها الجديدة الكثيرين من الأدباء والشعراء إليها علي سبيل المثال لا للحصر كرشن چندر، خواجه أحمد عباسي، عصمت چغتائى، خديجة مستور، هاجرة مستور وغيرهم، وكانت الحركة التقدمية لها أثار كبيرة وعظيمة فى تطور القصة القصيرة الأردية.

الرأي الأرجح هو أن القصة القصيرة الأردية بدأت مع الأديب بريم جند ، الذي كتب الكثير من القصص القصيرة، حيث تحدث من خلالها عن العادات والتقاليد الموروثة كما ذكر أوضاع البؤس والشقاء، التي كانت تعاني منه الطبقات الفقيرة الكادحة بسبب ترف وبذخ الإقطاعيين وكشف سوء الحال أمام أعين القراء وما كان عليه من ترف وبذخ. كرس بريم جند نفسه للكتابة عن حياة الفلاحين، وكان أقدر الكتاب معرفة بدقائق الحياة الريفية وهاجم هو ورفاقه نظام الطائفية وكانت قصصه توصف حياة الفلاح توصيفا دقيقا. وعلى يده تتطورت القصة القصيرة، فقد تميز أسلوبه بلغة بسيطة وصافية هادئة، ودقيقة.[٢]

وسعادت حسن منتو نجم بازغ فى سماء القصة القصيرة الأردية بزوغ الشمس رغم مضي زمان على وفاته وهو ظاهرة لم تتكرر في الأدب الأردي ، وحظيت إبداعاته باستحسان الملايين من القراء فى شبه القارة الهندية الباكستانية على اختلاف الأعمار والمستويا، ولا

[١]. محمد ذاكر، تاريخ الأدب الأردى ، نئى دلى ٢٠٠٨ ص٨٨

[٢]. محمد ذاكر، تاريخ الأدب الأردى ، نئى دلى ٢٠٠٨ ص٦٠

يختلف عليه اثنان في أنه كاتب كبير في مجال القصة القصيرة، ولقد حققت قصص سعادت حسن منتو نجاحاً كبيراً داخل شبه القارة الهندية وخارجها على السواء وترجمت قصصه إلى لغات اجنبية عديدة، وقصصه مليئة بالشخصيات القوية، وكان سعادت حسن منتو طبيبا نفسيا بارعاً يحلل الميول، ويكشف عن الطبائع ويلمس أغوار النفس، فكل قصصه تشير إلى قضية نفسية، وحاول سعادت حسن منتو من خلال تناول المشاكل الاجتماعية والنفسية فى تحليل الشخصية الإنسانية، والقارئ الذي يقرأ قصصه القصيرة يقف على طبيعة تلك الموضوعات الكثيرة ونواحيها المختلفة التي تعرض لها منتو من ظروف الهجرة في شبه القارة الهندية والسياسة، وقضايا العمال، وحياة العاهرات والعصبية الدينية والخمر ووصف مدن كثيرة منها " كشمير ، بومباى ، دلهى ، ولاهور " وقد وصف اسواق المدن البيوت، الفنادق، الصبيان، الشباب، الرجال، والأمراء والفقراء وحالتهم النفسية ووصف الحياة الزوجية، والتقاليد العقيمة للمجتمع.[١]

الحذاء المغرور

كنت أخلع حذائي المتكسر فأخرج أسنانه فانزعجت جدا فرميته فأحزنه هذا الغضب ونطق بلسان التعجب وقال "ما ذنبي؟" فقلت بدون مبالاة عندما يخرج الحذاء أسنانه فينبغي أن يُرمى في هذه الحالة فقال لو أنت غير محتاج لي فلتخلعنى ولكن لا تخلعنى بهذه الذلة

فضحكت على غروره هذا وقلت هل في الدنيا شيء أكثر ذلة منك ؟ أنت مرتبط بأسفل جزء من جسم الإنسان أنت دائما تداس بالأقدام ودائما تتلوث بنجاسة الطريق وأنت لا تستطيع أن تمر في مجالس الحضارة وأنت لا تستطيع أن تدخل في مجالس النظافة وعندما نقول " هذه صدقة أحذيتنا " منظرك إن تلك نظرة الحقير والبارحة لما قالت زوجتي غاضبة " على

[١]. فخر الاسلام اعظمى، ادب نما، اعظم گره ٢٠٠٨ص ٧٢

طرف حذائي " فتخيلتك أكثر حقارة وأنت لا ترى أيضا أن الرجل الذى يراد ذله يضرب بك ضربة واحدة والتي تكون بدون نتيجة أشد وأغضب لكل الناس من آلاف السنين إصابات شديدة والرمح والخنجر المؤذية فلماذا كل هذا أنت أحقر وأذل من كل شيء ولكن على الرغم من كل هذا الكلام أنت تشعر بالعزة بدون حياء.

كنت أظن أن هذا الكلام سيصمت هذا الحذاء المتمرد ولكن هو لم يتأثر بشيء وقال أنا أعلم أنك حر في أن تعز من تشاء، وأن تذل من تشاء ولكن لا يمكن أن يكون حكم الله حسب رضاك ورغبتك أن الله تعالى أعطى لكل شخص ولكل شيء فضيلة وخصوصية ومقام وللمرء أن يفتخر على مقامه قدر المستطاع ولكن لا ينبغي لأحد أن يتكبر عليه مثلك وإن كان في نفسي شيء ذليل فبسببك أنت حر فى أن تفكر في أن تجعلني ذليلا فى بيتك ولكن عندما أنا أفكر في نفسي لا أجد أي شيء فى وجودي يجعلني حقيرا وذليلا الشيء الذي أنا خلقت به هو نفس الشيء الذي خلقك به جسمك هذه هى الحياه هذه هى اللاطفة والإحساس وهذه الأوصاف التى توجد الآن فى جلدك كانت توجد كل هذه الأشياء أيضا فى نفسي وكل الأغذية التي كانت تشمل وجودك كل يوم فأيضا تدخل فى وجودي وكانت حالتي أحسن منك بعد الموت فنجوت من التعفن فأصبحت لباس رجليك وأما أنت فإن كان وجودك أى شيء نافع للخلق فهو لا ينفع الناس إلا فى حياتك وأنا لا أرجو أن يكون اي جزء من جسمك نافعا للخلق بعد موتك ولكن كان يمكن أن أصل إلى رأسك بشكل بطانة فى قبعتك اللطيفة وكان يمكن أيضا أن أظهر على جسمك فى صورة الفرو وألف بجسدك وكان يمكن أيضا أن أكون حزام مربوطا فى ظهرك أو أن أكون شيئا جميلا الذى تحبه جدا.

ارتجف قلبي بكلام الحذاء المشتمل على العظات ولكن ما استحسنت أن أسلم أمام شيء ذليل فأجبت لو انت تكون فى أي صورة من هذه الصور المذكورة فتعز تقدر ولكن الآن أنت حذاء بل الحذاء المتكسر ألا تستحيى فى هذه الحالة وأنت تتكلم عن العزة ولكن الحذاء أيضا

منزعج فما تركني وقال "إنى لا أجد أي سبب للأحتقار والتذليل في كوني حذاء وهل يذل أحد بكونه حذاء ؟ لو كنت حذاء رئيسك أو حذاء أي حاكم عادي أو كنت حذاء لمعلمك أو لأي شيخ آخر فأنت تحس بالسعادة فى أن تستويني فالآن قال لى هل نقصت عزتي بكوني حذاء ؟ ولكن أنا أعترف بأن ذهبت عزتي فى كوني حذاء لمثلك غير عارف بالقدر والذلة والأحتقار الموجودتين فى نفسي فبسبب لقائك وقربك وبالعيش فى صحبتك.

وصلت المحادثة إلى صورة بأن نظرت أن حذائي يذلني بالوقاحة فكان لا يمكن لي أن أظهر ضعفي فقلت غاضبا الدليل الأكبر لحقارتك بأن سيدنا موسى عليه السلام لما وصل إلى الحضرة الإلهية فقال له الله تعالى اخلع نعليك فقال الحذاء " لا شك " أن سيدنا موسى خلع نعليه على هذا المقام ولكن المنزلة التى وصل إليه معي وإلى المقام الذى صحبته لا يستطيع أحد من العظماء أن يصلوا إلى هذا المكان فأين أنت من هذه المنزلة؟؟ وكان يجب فى قربة الذات الإلهية أن يطهر سيدنا موسى جسمه من جميع متعلقات الدنيا فما مقام الأحذية فى المكان الذى كان ينبغي له لسيدنا موسى أن يخلع ملابسه فأنا لا أحس بالتذليل فى هذا الامر وإن كان هناك تذليل فليس أكثر من ذلتك وأنا أفضل منك.

وأخيرا سألته متضايقاً هل أنت تفهم أنك أفضل وأرفع مني حقيقة أم هذا اصطناعك للكلام والتعنت هما صفات الإنسان وكل المخلوقات سوى الإنسان طاهرة من هذه الصفات الطاغية ففكر التكبر والفضيلة اقتضاء النفسانية وقد جعلني الله بعيدا من هذا الوباء إنى ما وجدت فرصة وأنا مشغول فى تقضية الفرائض أن أفكر فى هذا الأمر فكيف أعرف أنك أفضل مني ؟ أم أنا ؟ الله أما الا أن فكرة خطرت فى بالي ولعلك تسلمها أم لا ؟ فسألته مضطربا وما ذلك الامر ؟ فاجابني بقدر ما يقوم الرجل على أداء واجبات حياته بالجودة والنشاط فبهذا القدر ينبغي أن يكون فضله

فقلت لا شك ولما سمع من لسانى لفظ " لا شك " نطق بالحماس والفرحة حسنا إذن أنا أفضل منك أقول بالصدق بأني ما قصرت فى أداء الواجبات دائما كنت قد وكلت اليك وتعينت عندك من الحضرة الالهية وأنت كلما طلبت مني أي أمر فما اعتذرت قط ذهبت إلى الأعمال السيئة وارتحلت إلى إيذاء المخلوقات وإزعاجهم ولبستني دائما فقل لي إن أنا قصرت فقل لي أنا قصرت قليلا فى امتثال أمرك وذهبت بي فى النجاسة ودخلت فى الأشواك والأحجار فأصبتني بذلك مشقة والآم ولكن ما وليت وجهي عن طاعتك فاضطررت فى رفقتك أنا استعملت من ضبط النفس الزائد عن الحد وأن أجعل نفسي فاقد الشعور من السيئة والحسنة.

وخلاصة القول تحملت كل الألم ولكن ما عصيتك فالآن فى مقابل هذا اعطني الدلائل على أنك قمت بتأدية مهمات الحياة من غير عذر وتأمل وإنك ما قصرت فى امتثال مقاصد الحياة مطلقا وأن تثبت هذا سيقع به فقط المساواة بيني وبينك ولكن أنا سأعترف بفضلك علي وإلا - أعذرنى يا سيدي لو أنت تصطنع الكلام فالتضخيم والتماري - أنا افضل منك.

الآن كنت أصلا بلا جواب خاصة بعد تذكيري منه وكانت ذنوبي وتقصيري في حياتي ترقص أمام عينه فاضطرت إلى أن أسلم بنجاحه بلا اختيار مكرها فقلت أنا فشلت وأنت فائز وفي الحقيقة أنت أفضل منى بألف مرة وأعف عن ما قصرت في شأنك وحقك.

مساهمة أعلام المترجمين في تطوير الأدب العربي الحديث

د/ محمد مهتاب عالم*

مساهمة أعلام المترجمين في تطوير الأدب العربي الحديث

كان خروج الحملة الفرنسية من مصر بدءاً لحياة جديدة في السياسة والعلم والاجتماع وشعر المصريون بحقوقهم السياسية وحقا لم يتح محمد علي لهم استخدام هذه الحقوق ولكنها ظلت مكنونة في الصدور حتى هيّئ لها النماء والإثمار في عهد إسماعيل وما تلاه من عهود، وقد أخذت مصر منذ عهد محمد علي تحاول الاتصال بالحضارة الغربية لا في العلم فقط بل في النواحي المادية والاجتماعية أيضا إذ عاش الفرنسيون بين أهلها معيشة لم يكونوا يألفونها وقد رؤوهم يلهون فنونا من اللهو، منها التمثيل والغناء والرقص وكانوا ينكرون بعض هذه الفنون ولكنها كانت تدفعهم إلى التفكير في أن وراء البحر عالما جديدا ينبغي ان يتصلوا به لا في شؤونهم المادية فحسب بل أيضا في شؤونهم العلمية والسياسية.

وقد سلّم المصريون محمد علي مقاليد أمورهم، فاندفع ينظم الجيش على الطريقة الأرووبية وأنشأ المدارس العديدة لمختلفة الأهداف كمدرسة الحربية لترتيب الجيش ثم مدرسة الطب والمدارس الصناعية، واستقدم لها العلماء الأوروبيين المختلفين، وللتفاهم بينهم وبين المصريين أقام مجموعة من المترجمين من الأرمن وغيرهم. ثم لم يلبث أن أنشأ مدرسة الألسن، وجّد فى إرسال البعوث إلى الغرب ليتقن المصريون اللغات الأجنبية، ومن حينئذ بدأ الاتصال المنظم بين العقل المصري الخالص والعقل الغربي الحديث[١].

ولكن هذا الاتصال ظل قاصرا في أول الأمر على النواحي العلمية والفنية التطبيقية أما النواحي الأدبية فظل فيها الاتصال معدوما أو كالمعدوم، إذ لم تحدث علاقة حقيقية بين

* مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو نيودلهي

[١]- د. شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ١٧٠

الأدب العربي و بين الآداب الغربية، ومن المعروف أن أدب أمة لا يتأثر بآداب أمة أخرى بمجرد التقاء الأمتين بل لابّد من وقت أو أوقات حتى تستطيع الأمة أن تأخذ عن غيرها و تهضم ما تأخذه و تتمثله، ثم تخرجه أدبا جديدا له طوابعه وشخصيته.

وربما كان من أهم أسباب هذا الجمود وهذا التخلف الفكري والفني أن مصر لم تكن تشعر بوجودها شعورا محققاً، وفقدان روح الاستقلال الذاتي أو روح الشعور بالشخصية الوطنية، بل لقد عنى محمد علي بكبت هذا الشعور، و ربما كان أهم مظهر لذلك أنه كان يستعين في المناصب الكبرى بطبقة من الأتراك ولم يكن يسمح للمصريين بتولي هذه المناصب، بل لقد كان يحكمهم حكما مستبداً، ليس فيه شورى ولا ما يشبه الشورى[١].

فظل الشعب بعيدا وظلت لغته معه متخلفة لا تطور، إذ لم يكن هناك بواعث سياسية ولا قومية تدفعها إلى هذا التطور بل لقد كان الحاكم يقدم عليها اللغة التركية في دواوينه ومنشوراته وما يطبع من كتب وآثار في مطبعة بولاق ، بل لقد كان التحدث بها بين طلاب المدارس سُبّةً حتى عهد عباس الأول، حتى الشيخ محمد المهدي يقول في مذاكرات الأدب التي طبعها لتلامذة القضاء الشرعي في مطلع هذا القرن، " كانت اللغة العربية مضطهدة في عهد عباس الأول إلى حد أن من تكلم بها من طلبة المدارس الحربية توضع في فَيه العُقْلة التي توضع في فم الحمار حينما يقصّ ويبقى كذلك نهارا كاملا عقوبة له على تحريك لسانه بلغة القرآن في أثناء فسحته ".

وطبيعي أن لاتنهض اللغة العربية حينئذ وأن تظل على عهودها السابقة جامدة راكدة ضيقة مثقلة بالسجع وما يرتبط به من قيود البديع وأغلاله، غير أنه أخذت ناشئة جديدة في الظهور، وهي ناشئة حذقت اللغات الأجنبية وأخذت تقرأ في آدابها وتفهم ما تقرأ وتتذوقه وتستمتع به.

[١]- المصدرالسابق والصفحة نفسها،

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر جدت عوامل حررت النثر من قيوده الغليظة شكلا ومضمونا، فقد تحرر من شكل المقامة والرسالة والوصف الخارجي للأشياء بكل ما يحمل أولئك من ألوان المحسنات البديعية الباهظة، وتحرر كذلك من الدوار الأعمى في دائرة الاعتذار والشكر والتهنئة والتقريظ والرثاء بكل ما يحمل أولئك من تقليد للمعنى المستهلك والمضمون المهترئ من طول ما تعاوره من تكرار بلا حدود، وربما استجابت الكتابة الديوانية في هذه المرحلة إلى لون من الترسل الخالي من معاظلات الفارغين التي يتفق مع طبيعتها التي تقصد إلى الإفادة لا إلى الإغراق في التزاويق البلاغية المملولة، كذلك ظهرت المقالة كلون من ألوان الإبداع النثري، وأخذت تستولي على مناطق الألوان التقليدية موقعا بعد موقع ، ومكن من ذلك الاندفاع في اتجاه الوجود والتأصيل توفر عديد من الأقلام الشابة المتمردة المثقفة التي حملها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وتلاميذهما الكثيرين الذين أنهضوا بالمقالة، النثر العربي في هذه المرحلة من كبوته، وعادوا إليه مجده واخضراره وبعثوا فيه من روح الجاحظ وابن المقفع وابن خلدون[١].

أما العوامل التي دفعت النثر في اتجاهه نحو تطور ذاته ومقولاته في هذه المرحلة من النصف الثاني من القرن التاسع عشر فكثرة نستطيع أن أذكر بعضا منها:

ظهر الإحساس بفكرة الوطنية والحقوق السياسية المسلوبة والاجتماعية والنضال في سبيل هذه الغاية من طرق شتى وبأساليب متنوعة.

والتطلع إلى المشاركة الحقيقية في حكم البلاد و اتخاذ القرار بعد تردي حكم وضعفه إسماعيل في وهدة الديوان والانحراف وراء نزواته الخاصة وأهوائه الذاتيه.

ويقظة الحس الديني المهان باستعمار المنطقة بلدا من وراء بلد، و باعتداء المستعمر في كثير من البلاد العربية.

[١]- د. محمد أحمد الغرب، عن اللغة والأدب والنقد، ص ١٦٣

وشيوع الكتب المطبوعة التي كانت المطبعة قد أخرجتها في ذلك الحين فجددت في المفكرين والأدباء روح الانتماء العربي، والاعتزاز بالماضي التليد الذي أنجب أجيالا من المفكرين وأجيالا من الفكر الذي أضاء للعالم بأسره في مرحلة غابرة من التاريخ .

والإطلال بعمق على الحياة الأدبية الغربية، فقد فُتِحتْ قناة السويس وسهلت الاتصال بين الشرق والغرب، و وفد على مصر كثير من الأجانب الذين امتزجت ثقافة المصريين بثقافتهم فكان من هذا المزج بدء نهوض حقيقي للأدب ليس في مصر وحدها بل في العالم العربي.

التوسع في المدارس والتعليم العالي والأوبرا ودارالكتب مما أوجد حركة ثقافية خاصة و عامة أطلعت الجماهير على جوانب من النهضة وحفزتها إلى مزيد من التثقيف الذاتي و الجماعي. و وفود السوريين واللبنانيين المهاجرين على مصر، وكان هؤلاء أشد اتصالا بالثقافة الغربية من المصريين لأن البعوث الدينية المسيحية الكاثوليكية والبروتستانتية والفرنسية والأمريكية قوتْ صلتهم بالآداب الغربية[١].

وكانت الخطابة السياسية قد بدأت هي الأخرى تعمل عملها الخلّاق في تطويع النثر العربي لتلبية احتياجات إنسان المرحلة، بعيدا عن جفاف التقليد واللعب البلاغي ولعل بداية هذا الاتجاه تتمثل في افتتاح مجلس شورى النواب الذي كان حلبة صراع سياسي و اجتماعي وفكري إلى جانب كثير من الجمعيات والنوادي التي اتخذت من الخطابة وسيلة أساسية لنشر أفكارها و توسيع نشاطاتها، بعد تجاوز دور الأفراد الذين برعوا في هذا اللون من ألوان التعبير الأدبي، وقد وجد عامل آخر كان له أثره في تطوير حركة النثر العربي، ذلك هو المسرح فقد أنشأ المسرح الكوميدي سنة ١٨٦٨م والأوبرا سنة ١٨٧٩م وأحدث الشاميون المهاجرون إلى مصر حركة مسرحية ناشطة، فكان يعقوب صنوع ومارون النقاش وسليم النقاش وأديب إسحق بمثابة النافذة التي أطلت منها الحركة الفنية

[١]- المصدرالسابق، ص ١٦٥

في مصر على فن المسرح وما فيه من ألوان الثقافات المتنوعة الجاذبة ، و إن كانت جهود هؤلاء تمثل فجاجة البداية التي اعتمدت في جانبها الأساسي على الترجمة أوالتعريب أوالاقتباس وقد تغير إيقاع الحياة السياسية والاجتماعية بظهور دعوات قاسم أمين إلى تحرير المرأة وفتحي زغلول إلى احتذاء النمط الغربي في السلوك ومحمد فريد إلى تنظيم نقابات للحركة العمالية والتعاونية وضرورة الإصلاح الزراعي، وإسماعيل مظهر وسلامة موسى إلى الاشتراكية والتصنيع، وكانت هذه الدعوات تترك صداها الضخم في كل آفاق العالم العربي وليس في مصر وحدها كما نشبت معارك طاحنة بين القديم والجديد والعامية و الفصحى والحرف العربي والحرف اللاتيني وما إلى ذلك وكل ذلك غيّر من مضمون وشكل الإبداع النثري في مطالع القرن العشرين ومهد لظهور أنواع عديدة من الفنون النثرية المستحدثة أضافت إلى تراث الأدبي وجَدّدت منه شكلا وموضوعا وهي المقالة والقصة و المسرحية، و روادهم طه حسين والعقاد وهيكل والمازني وأحمد أمين وسلامة موسى و توفيق الحكيم وميخائيل نعيمة وجبران والريحاني وغيرهم من أولئك الرُوّاد الذين قادوا حركة النثر العربي المعاصر في اتجاهها الحضاري الحديث على ضوء ما أفادوه من احتكاكهم الحميم بثقافات العالم كله[١].

إن عوامل النهضة التي تركت أثرها البالغ على النثر العربي وساعدت في تطوير النثر العربي الحديث وأنواعه المستحدثة في العالم العربي كله، قد ظهرت أثارها في الشعرالعربي ايضا وإن المراحل التي مرّ بها النثر العربي مرّ بها الشعرالعربي أيضا.

كما اتسم الشعرالعربي بالضعف في اللغة والفكرة فقد كان شعرا ركيكا ضعيفا في شكله و مضمونه، أما في شكله فقد كان مثقلا بأنواع المحسنات اللفظية الصعبة ومن حيث مضمون الشعر وأغراضه فقد كانت المعاني ضيقة تافهة مبتذلة.

[١]- المصدر السا بق، ص ١٦٧

فكان الشعر العربي يجري في مصر أثناء النصف الأول من القرن التاسع عشر على الصورة السيئة التي كان يجري عليها في أثناء العصر العثماني، و هي صورة رديئة مسفّة سواء في الأغراض والمعاني والأساليب أما الأغراض فكانت ضيقة تافهة، و كانت المعاني مبتذلة ساقطة وأما الأساليب فكانت مشكلة مثقلة بأغلال البديع وما يتصل بها من حساب الجمل الذي كانوا يؤرخون به حوادث شعرهم وقصيدتهم .

لكن قد أخذت تظهر تباشير هذا التحول في الشعرالعربي عند محمود صفوت الساعاتي و علي أبي النصر وعبدالله فكري وعلي الليثي وعبدالله نديم وعائشة التيمورية، غيرأنهم لم يتخلصوا تماما من البديعيات والمخمّسات والتضمينات، وإنما الذي تخلص من ذلك كله هو محمود سامي البارودي الذي يعد الرائد المثالي لهذه الحركة، إذ اشترك في الثورة العرابية، وبعبارة أخرى أسهم في مطالب الحرية القومية وماكان يبتغيه المصريون من معيشة سياسية وعسكرية كريمة وبهذا كله يعّد محمود سامي البارودي رائد الشعر العربي الحديث فقد أنقذه من عثرة الأساليب الركيكة، ورد إليه الحياة والروح حياة نفسه و روح عصره وقومه في الفترة التي عاش فيها إذ جعله متنفسا حقيقيا لعواطفه ومشاعر أمته وما ألم به وبها من أحداث وخطوب[١]، ومن أصحاب العصر الحديث أنهم أتاحوا لمصر مكانة ممتازة في تاريخ الشعرالعربي الحديث هم رائد الشعرالحديث البارودي ثم شوقي وحافظ إبراهيم وخليل مطران وغيرهم.

أعلام المترجمين وأعمالهم الأدبية

لا ريب في أن القرن التاسع عشر يعتبر من أزهى عصور العربية بمصر فقد أصبحت قبلة العالم العربي ومركز حضارته وبلاغته بمن نشأ فيها من كبار العلماء والأدباء والمؤلفين والمترجمين والمهندسين والقضاة والمحامين وكتّاب الجرائد والمجلات والخطباء والشعراء والمدرسين فهرسهم طويل لكن أذكر هنا بعضا منهم ممن تركوا

[١]- د. شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ٤٤

خلفهم أعمالا عظيمة وكانوا ركناً من أركان النهضة العربية الحديثة: وهم الشيخ رفاعة بك رافع الطهطاوي، وعبدالله فكري والشيخ علي مبارك والشيخ محمد عبده.

الشيخ رفاعة بك رافع الطهطاوي: هو الكاتب الشاعر الأديب المترجم السيد رفاعة الحسيني الطهطاوي شيخ الترجمة وإمام النهضة الحديثة، ولد في سنة ١٨٠١م – ١٨٧٣م بطهطا من أسرة شريفة وافتقرت بعد غنى فتنقل به والده في بعض بلاد مديرية قنا بضع سنين فتعلم في أثنائها القرآن الكريم ودرس مبادئ الترجمة وحفظ كثيرا من المتون على أخواله[١]، تقع حياة الشيخ الطهطاوي في ثلاثة أدوار رئيسية، وهي دور التحصيل العلمي في الأزهر، ودور التحصيل في باريس ودور العمل والإنتاج في مصر.

ففي الدور الأول كان طالبا في الأزهر يدرس العلوم النقلية والعقلية على أيدي نخبة من شيوخ العلوم الإسلامية في مصر، أخصهم وأكثرهم تأثيرا في حياته الشيخ حسن العطار. وكان هذا الأستاذ على ما أُثِرعنه ذا عقل متفتح لنورالحضارة الجديدة و إليك شهادة أديب مصري كبير فيه، كما قال " كان العطار قد أوصله ظرفه ومعرفته بالدنيا أن اتصل بالفرنسيين حين دخولهم مصر، ودرس لبعضهم اللغة العربية وكان رجلا ممتازا واسع النظر خبيرا بالدنيا على قلة الخبيرين من علماء الأزهر في ذلك العصر"، و زاده تفتحا تطوافه في شتى الأمصار وإقامته سنوات في الآستانه (عاصمة الدولة العثمانية) ثم تقربه من علماء الحملة الفرنسية التي غشيت مصر بقيادة نابليون، وأخذه عنهم بعض المعارف الحديثة مما وسع آفاق تفكيره و ولد فيه ميلا إلى التجديد، وكان صاحب الترجمة أقرب المقربين إليه فشمله العطار برعايته طالبا ثم مدرسا، فلا عجب أن يكون له من المنزلة في قلب الطهطاوي مالم يكن لسواه .

[١]- الشيخ أحمدالإسكندري والشيخ مصطفى عناني، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، ص ٣٣١

واقتضت سياسة محمد علي مؤسس الدولة الخديوية في مصر تنظيم الإدارة الحكومية و تقوية الجيش، وشعر بالحاجة إلى شباب مدربين على الأصول الحديثة فأمر بإرسال بعثة من الطلاب لتلقي العلوم الفنية في فرنسا، وكان لمحمد علي ثقة بالشيخ حسن عطار فطلب منه أن يختار له شيخا من الأزهر يكون إماما لهذه البعثة، فاختار أحب تلامذته إليه رفاعة الطهطاوي[١]، وهكذا سنحت الفرصة للطهطاوي، فذهب رفاعة الطهطاوي إلى فرنسا سنة ١٨٢٦م مع البعثة إماما ومرشدا دينيا لا طالبا من طلاب العلم ولكنه رأى باب العلم مفتوحا أمامه مصراعيه وهو ذونفس طلابة للتقدم، فلم يتلكأ عن ولوجه ومشاركة طلاب البعثة في الدرس والتحصيل، ومازال يجد و يثابر حتى تعلم اللغة الفرنسية واطلع على جانب كبير من العلوم والفنون الحديثة، فأصبح قادرا على الترجمة من الفرنسية إلى العربية مع عكسها وهكذا أعد نفسه للعمل العظيم الذي قدر له بعد ذلك أن يقوم به في وطنه.

قضى الشيخ رفاعة الطهطاوي خمس سنوات في فرنسا وفي أثنائها كان يدَون ملاحظاته و مشاهداته ثم جمعها في كتابه " تخليص الإبريز في تلخيص باريز " ولما عاد من رحلته قدَمه إلى أستاذه الشيخ العطار، فأعجب به و قرّظه لدى محمد علي، فطلب أن يقرأ له، فحاز رضاه وأمر أن يترجم إلى اللغة التركية وأن تطبع النسختان العربية والتركية في مطبعة بولاق وأن توزع نسخ من الطبعتين على مؤظفي حكومته، ويظهر هذا الكتاب ما تركت هذه الرحلة العلمية من أثر في نفس الطهطاوي ورغبة في خدمة وطنه. هكذا لما عاد الطهطاوي إلى مصر تملأ نفسه رغبة شديدة في الإصلاح وإيمان قوي بمستقبل الوطن عن طريق العلوم الحديثة، من أبرزها الطبيعية والرياضية والحربية والطبية والشرعية والجغرافية واللغوية وغيرها ويقصد باللغوية معرفة الألسن لإتقان الترجمة ومعرفة الاصطلاحات العلمية وأصولها، فعكف بعزم على ترجمة هذه العلوم، و رأى

[١]- الدكتورأنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة ، ص ١١٠

محمد علي أن ينتفع بمواهبه فأمر أن يلتحق بمدرسة الطب ليترجم ما تحتاج إليه و وكل إليه إدارة المدرسة التجهيزية للطب وبعد حين نقل إلى المدرسة الحربية حيث تولى ترجمة الفنون الهندسية والحربية وسواها.

ولما كانت حاجة البلاد القصوى إلى نقل علوم الإفرنج أشار الطهطاوي على محمد علي بتأسيس مدرسة لتعليم اللغات الحديثة، فأمر بذلك وسميت أولا مدرسة المترجمين، ثم أطلق عليها اسم مدرسة الألسن، وكان يدَرس فيها من اللغات الفرنسية والعربية والتركية و الفارسية والإيطالية وأحيانا الإنكليزية، إلا أن الغاية كانت منصرفة فيها إلى إتقان العربية والفرنسية، وعيَن الطهطاوي مديرا لها فبذل كل مجهود في تربية أبناء جيله وتثقيفهم ونشر الأفكار الراقية بينهم وإعدادهم لخدمة حكومتهم و وطنهم[١].

لم تنحصر خدماته الوطنية والأدبية في التعليم والترجمة فقط بل كانت له أيضا يد نشيطة في الحركة الصحافية وإنه لم يعرف الصحافة قبل سفره إلى فرنسا، لكن بعد مرور الاوقات وَصّل أعماله الصحفية إلى حد أنه يعد أول استاذ من أساتذة الصحافة وأعلامها في مصر والبلاد العربية[٢]، فأول الجرائد العربية وهي الوقائع المصرية إنما ظهرت وهو غائب في باريس، فلما كانت سنة ١٨٤٢م و الجريدة الوقائع المصرية كانت يومئذ في سنتها الثانية عشرة، فرأى محمد علي أنها تحتاج بالأكثر إلى الاعتماد على النقل من الجرائد الأجنبية، فصدر فيها بيان، حيث أنَ نشر مثل هذه الأخبار(أي الأخبار العالمية) يتوقف على قراءة الجرائد التي تنشر في الخارج ، و تستوجب أن يكون الموظف المشرف على ترتيب الجريدة وتنظيمها ملما باللغتين ، وعلى ذلك فقد تقرر إحالة ترجمة المواد المناسبة من الجرائد الأجنبية، وعلاوة بعض قطع أدبية من الكتب الأدبية، وانتخاب أخبار الملكية وترتيب الجريدة المصرية بصفة عامة على حضرة الشيخ رفاعة أفندي ناظر مدرسة الألسن.

[١]- المصدر السابق، ص، ١١١
[٢]- الدكتور عبداللطيف حمزة، قصة الصحافة العربية في مصر، ص٥١-٥٢

وكانت الجريدة تنشر باللغتين التركية والعربية فكان رفاعة يحرر القسم العربي ويستعين ببعض الكتَّاب الفاضلين منهم فارس الشدياق والسيد شهاب الدين تلميذ الشيخ العطار.

وبعناية الطهطاوي ومساعديه تحسنت الجريدة إنشاءً ومادة وقد ظل نحو ثمانية أعوام مشرفا عليها، وانقطع في نهايتها عن العمل الصحفي ولم يرجع إليها إلا في عهد الخديوي إسماعيل، و في هذا العهد أنشئت مجلة " روضة المدارس " وأسندت إدارة المجلة إلى الشيخ رفاعة الطهطاوي[١].

ولم يكن الشيخ رفاعة عالما وأديبا وشاعرا فقط بل كان إنسانا كبيرا محبا للإصلاح حريصا على خدمة جيله و وطنه، ولعل أبرز صفاته عزمه الذي لم يكن ليتراجع أمام المصاعب، وميله إلى اقتباس المفيد من أسباب التمدن الحديث. أما عزمه فيشهد له به ما عاناه في رحلته إلى أوربا من مشاق السفر والحرص على الدرس والمطالعة، وما قام به من أعمال إدارية وعلمية بعد رجوعه إلى الوطن، وأما اقتباسه المفيد من أسباب التمدن فيظهر في اهتمامه بالعلوم العملية التي كان أترابه في الأزهر يحَرمونها أو يزدرونها، كما يظهر أيضا في مناصرته لتعليم البنات، وكان ذلك أمرا إدّاً في زمانه، فهو في مصر كما كان بطرس البستاني في سوريا ولبنان رائد هذه الحركة التي رفع لواءها بعدئذ قاسم أمين فهذا العالم العربي من أقصاه إلى أقصاه، كما عبَر رفاعة الطهطاوي عن رأيه في كتابه " المرشد الأمين " لتعليم البنات ويدعو فيه إلى فتح أبواب العلم للمرأة[٢] لتعد نفسها للمسؤوليات التي ستواجهها في تربية أولادها وحسن مرافقتها لزوجها و رفع مستوى بيتها فضلا عما يولَد فيها العلم من مكارم الأخلاق والمقدرة على خدمة المجمع، والحق يقال أن ما قام به الشيخ رفاعة الطهطاوي في هذا السبيل يُعد من أعماله الجبارة وقد كان له تأثير عظيمٌ في النهضة الفكرية أثناء القرن الماضي، على أّن عمله التثقيفي لم ينحصر في

[١]- الدكتور أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة ، ص ١١٤
[٢]- في الأدب الحديث، الجزءالأول للدكتورعمرالدسوقي، ص ٤٣

الترجمة العلمية فقط بل له يد قوية علمية في التأليف الأدبي أيضاً، أذكر هنا بعضا من أهم مؤلفاته ، منها:

(أ) تخليص الإبريز في تلخيص باريز: قد وصف فيه رحلته إلى فرنسا واختباراته و مشاهداته هناك.

(ب) مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية: وهو كتاب في المدنية وأسبابها ومنافعها، كتبه وأودعه، ما يكون لأهل الوطن ذخرا، و يعقبه النجاح دنيا وأخرى

(ج) أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل: وهو تاريخ لمصر في جزئين، كتبه برعاية الخديوي إسماعيل.

(د) نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز: وهو كتاب في السيرة النبوية.

(ه) المرشد الأمين للبنات والبنين: وهو كتاب في التربية المدرسية والاجتماعية[١].

وبفضل جهود الشيخ رفاعة الطهطاوي والتشجيع من قبل محمد علي نشطت حركة الترجمة والتأليف بشكل ملحوظ وعمل رفاعة مترجما ومدرَسا بهمة لم تعرف الفتور حتى وافاه الأجل سنة ١٨٧٣م، وخلف وراءه عديدا من التلامذة النابغين الذين حملوا لواء الترجمة بعده ومنهم أكثر ذكرا الدكتور محمد علي البغلي باشا، صالح مجدي بك ، محمد مصطفى البياع ، خليفة محمود، عبدالله أبو سعود، محمد عبد الرزاق، عبد الجليل بك، حسن بك فهمي، رمضان عبدالقادر، خورشيد فهمي، منصورعزمي وعثمان جلال وغيرهم الكثيرون من التلامذة الذين ترجموا حوالى ألفي كتاب ورسالة في مختلف العلوم والفنون[٢].

الشيخ عبدالله فكري: هوالكاتب الشاعر الأديب عبدالله فكري أحد من أركان النهضة الأدبية في الديار المصرية، كان أبوه محمد بليغ ضابطا بالجيش المصري وهو ابن الشيخ عبدالله أحد علماء الأزهر، ولد سنة ١٢٥٠ من الهجرة، وتوفي والده في سنة الحادية

[١]- الدكتورأنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة ، ص ١١٨
[٢]- الدكتورحبيب الله خان، الترجمة العربية في الهند بعدالاستقلال، ص ٥٥

عشرة، فكلفه بعض أقاربه فعلمه القرآن الكريم، وبعث به إلى الأزهر فأكب على تعلم علومه مشتغلا أيضا باللغة التركية، و استخدم من أجلها مترجما للعربية والتركية.

ثم تقلب في جملة مناصب آخرها نظارة المعارف سنة ١٢٩٩ من الهجرة، و بقى بها حتى زمن الثورة العرابية فسقط مع الوزارة و اتهم في الثورة فقبض عليه ثم اتضحت براءته فأطلق و رد إليه معاشه و توفى سنة ١٣٠٧ من الهجرة.

وكان فكري كاتبا بليغا سلك في كتابته طريقة كتاب القرن الرابع كالبديع الهمذاني والخوارزمي من التزام السجع القصير، القليل التكلف للمحسنات البديعية في أكثر رسائله الصادرة عن القصر والنظارات[١]، وبذلك يقول فيه الشيخ حسين المرصفي مدرس الأدب والعربية بدارالعلوم " لوتقدم به الزمان، لكان فيه بديعان، ولم ينفرد بهذا اللقب علامة همذان "، ويُعَد عبدالله فكري من واضعي الاصطلاحات والألفاظ الديوانية المصرية الحديثة وبعضها مقتبس من اصطلاح دولة المماليك[٢].

الشيخ علي مبارك: هو أبوالمعارف المصرية العالم المؤرخ المؤلف المترجم المربي العظيم علي بن مبارك بن سلميان بن إبراهيم، مصلح العلم والإدارة بالديار المصرية ومؤسس دارالعلوم و دارالكتب المصرية.

ولد علي مبارك سنة ١٢٣٩ من الهجرة بقرية برنبال الجديد من مديرية الدقهلية وكان والده الشيخ مبارك من أهل الفقه والعلم ببلده، فضاق به العيش فانتقل إلى مديرية الشرقية وشغل بالمعاش عن تربية بنفسه، فكان يرسله إلى معلم قاس يتعلم عليه القرآن الكريم فحفظه و هرب من المعلم لقسوته وضربه، وأخذ يتعلم الكتابة على بعض كتاب المراكز والقرى يفر من قسوة هذا إلى ظلم ذاك حتى عثر في بعض خرجاته بتلاميذ ذاهبين إلى مدرسة أبي زعبل فصحبهم ودخل المدرسة.

[١] - الدكتورعمرالدسوقي، في الأدب الحديث، الجزء الأول ، ص ١٨٥

[٢] - الشيخ أحمدالإسكندري والشيخ مصطفى عناني، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، ، ص ٣٣٤

ثم اختير من جملة تلاميذها لمدرسة قصر العين وسنة ١٢ سنة ودرس الرياضة فبرع فيها فانتخب طالبا بمدرسة الهندسة فأكمل في خمس سنوات درس فن الهندسة وأرسل إلى أوروبا سنة ١٢٦٠ من الهجرة، ليتم دراسته بها، فمكث نحو أربع سنوات درس فيها فن الهندسة والحرب ثم عاد إلى مصر ضابطا بالجيش وقدم للحكومة المصرية مشروعا بنظام المدارس المصرية.

فعهدت إليه في رئاسته ديوانها وألف بعض الكتب الدراسية فكان أول من نظم المدارس المصرية، وفي زمن سعيد وُشِيَ به إليه فساء حظه وبُعِثَ إلى البلاد العثمانية في الحملة التي وُجِهت لمحاربة روسيا، فعاد منها بعد أهوال، وبقي يعتزل الخدمة طورا ويخدم آخر و يتجر أحيانا ويعلم أخرى، حتى كان زمن اسماعيل، فتقلد عدة مناصب هندسية جرى على يده فيها عظيم الأعمال[١].

ثم عين سنة ١٢٨١ من الهجرة وكيلا لديوان المدراس وسافر إلى فرنسا لمهمة فأحسن أداءها وتزاحمت عليه المناصب فكان مديرا للسكك الحديدية وناظرا للمعارف وللأشغال وللأوقاف والقناطر الخيرية فقام بذلك في آن واحد خير قيام.

ومن أعماله العظيمة إنشاء دارالكتب، وإنشاء مدرسة دارالعلوم ليوفَق بين طلبة العلم القديم وطلبة العلم الحديث، و يحسن تعليم العربية فجأت هذه المدرسة بأحسن ما يطلب منها. ومنها تجديد مدينة القاهرة وأمهات مدن القطر بإنشاء شوارعها وميادينها العظيمة، وإنشاء كثير من الترع والجسور كترعة الإبراهيمية والإسماعيلية وبقي يتقلب في النظارات و وكالتها ثم قلد نظارة المعارف وغيرها، حتى اعتزل الأعمال قبل وفاته، و توفي سنة ١٣١١ من الهجرة .

[١]- المصدرالسابق، ص، ٣٣٦

وترك خلفه مؤلفات جليلة منها: الخطط التوفيقية في عشرين جزءاً، وكتاب علم الدين، وكتاب نخبة الفكر في تدبير نيل مصر، وكتاب الميزان في الأقيسة والأوزان، وكتاب الهجاء والمسامرات وغيرها[١].

الشيخ محمدعبده: هوالمصلح الكبير، والمجتهد الخطير، والكاتب البليغ، والخطيب المصقع، الأستاذ الإمام الحكيم الشيخ محمد عبده، أحد أركان النهضة العربية ومؤسس الحركة الفكرية[٢].

ولد محمدعبده في سنة ١٨٤٩ الميلادي في قرية حصة شبشير من قرى مديرية الغربية ونشأ بين أسرته بمحلة نصر من مديرية البحيرة، وترك بلا تعليم حتى ناهزت سنة العاشرة ثم رغب في التعليم فحفظ القرآن الكريم، وطلب العلم بالجامع الأحمدي ثم انتقل إلى الأزهر و نبغ في علومه.

ولما قدم مصر السيد جمال الدين الأفغاني سنة ١٢٦٨ من الهجرة، وأعاد إلى مصر دراسة الفلسفة وعلوم الحكمة والكلام بعد نضوب مَعِينها عدة قرون، لزمه المترجم هو وطائفة من نابغي الأزهر كانوا يُعَدّون ألسنة الفصاحة وأئمة الحركة الفكرية وكان الشيخ محمد عبده أنبغ تلاميذه وأحرصهم على ملازمته والاستفادة منه[٣].

ونال درجة العالمية من الأزهر سنة ١٨٧٧ الميلادي فكان يُلقي فيه بعض الدروس في المنطق والعقائد وألف حينئذ حاشية على شرح لكتاب يسمى "العقائد العضدية" وهي تدل على تضلعه في الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام، وله مقالات في الأهرام و أخذ يدرس طلابه كتاب " تهذيب الأخلاق " لابن مسكويه، ويقرأ في بيته كتابا مترجما في " تاريخ تمدن المماليك الأوروبية " ثم عُيّن مدرسا للتاريخ في مدرسة دارالعلوم و للعربية في مدرسة الألسن كان يدرس في الأولى " مقدمة ابن خلدون".

---

[١]- المصدرالسابق، ص، ٣٣٧
[٢]- الدكتور عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، الجزء الأول ، ص ٣٥٢
[٣]- الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، الشيخ أحمدالإسكندري والشيخ مصطفى عناني، ص ٣٣٨

لما أسند إليه رئاسة تحرير " الوقائع المصرية " جريدة الحكومة الرسمية، فنهض بها مع طائفة من تلاميذه على رأسه سعد زغلول فلم يقف بها عند تقرير الوقائع والأخبار الحكومية، بل جعلها صحيفة إصلاحية تتناول بالنقد وزارات الحكومة و تبث دعوات مختلفة إلى الحرية والبر بالفقراء والأعمال الخيرية وتطهير الإسلام من البدع والخرافات كما تبث دعوات سياسية تهدف إلى خير الجماعة ومصلحتها الوطنية و قيام حكومة شورية [١].

ولما قامت الثورة العرابية كان من المناهضين لها في أول الأمر لما كان يخشى من عواقبها ولكنه لم يلبث حين رأى التدخل الأجنبي لإحباطها، أن انضم إليها وأصبح من زعمائها ويقال إنه هو الذي وضع صيغة اليمين التي أقسمها ضباط الجيش على رفض هذاالتدخل، وهو الذي تولى حلفهم، ولما أخفقت الثورة حوكم مع زعمائها، فحُكم عليه بالنفي ثلاث سنين خارج القطر، فقصد إلى بيروت وتصدر فيها للتدريس إلا أن أستاذه جمال الدين استدعاه إلى باريس، فلبَّي دعوته، هناك أصدر في مارس ١٨٨٤ الميلادي صحيفة " العروة الوثقى" وأخذ محمد عبده يطلق منها قذائفه السياسية والإصلاحية إلى مصر والأقطار الإسلامية وأقضّ ذلك مضاجع إنجلترا وفرنسا، فقضتا على الصحيفة بعد صدور بضعة أعداد منها. وعاد إلى بيروت كما عاد إلى التدريس، فشرح " مقامات بديع الزمان الهمذاني" و" نهج البلاغة " وألف رسالته المشهورة في " التوحيد " أو علم الكلام وأصوله " وتفسير جزء " عمَّ " وشرح البصائر في المنطق[٢]، ثم عُيَن مستشاراً في محكمة الاستئناف، ثم مفتياً للديار المصرية في سنة ١٨٩٩م وظل في هذه الوظيفة إلى وفاته، وتوفي سنة ١٩٠٥ الميلادي بمرض السرطان في الإسكندرية و دفن بالقاهرة[٣].

[١]- د. شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ٢٢١

[2] - المصدرالسابق، ص،٢٢٢

[3] - د. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص ٣٢٩

المصادر والمراجع

١. الدسوقي عمر: في الأدب الحديث، الجزءالأول، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان
٢. الإسكندري الشيخ أحمد وعناني الشيخ مصطفى: الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، دارالمعارف مصر، الطبعة الثامنة عشرة
٣. المقدسي الدكتور أنيس: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دارالكتاب العربي بيروت، سنة الطبع ١٩٦٣
٤. الزيّات أحمد حسن الأستاذ: تاريخ الأدب العربي، دارالثقافة بيروت
٥. شوقي ضيف الدكتور: الأدب العربي المعاصرفي مصر، دارالمعارف،١١١٩ كورنيش القاهرة، سنة الطبع ١٩٦١
٦. خصباك الدكتور جعفر حسين و امين الدكتور عبدالامير محمد: تاريخ العالم العربي الحديث، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، ١٩٧٢
٧. عمر فروخ الدكتور: العرب في حضارتهم وثقافتهم، دارالعلم للملايين بيروت، الطبعة الثانية، سنة الطبع ١٩٦٨
٨. هيكل الدكتور أحمد: تطورالأدب الحديث في مصر(من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية) دار المعارف، سنة الطبع ١١١٩ كورنيش النيل، القاهرة
٩. فهمي الدكور ماهر حسن: تطور الشعرالعربي الحديث في مصر، القاهرة ، سنة ١٩٥٨
١٠. حمزة الدكتور عبداللطيف: قصة الصحافة العربية في مصر(منذنشأتها إلى منتصف القرن العشرين) مطبعة المعارف، بغداد،١٩٦٧
١١. تاجر جاك: حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر دار المعارف مصر

١٢. خان الدكتور حبيب الله: الترجمة العربية في الهند بعدالاستقلال، دارسليمان للطباعة والنشر نيو دلهي، سنة الطبع ١٩٩٧

١٣. المطيع لمعي: ندوة الترجمة وتنمية الثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة الطبع ١٩٩٢

١٤. الغرب الدكتور محمد أحمد: عن اللغة والأدب والنقد(رؤية تاريخية رؤية فنّية) دارالمعارف، سنة الطبع ١١١٩ كورنيش النيل، القاهرة

نشاطات علمية وحركات سياسية في جامعة جواهرلال نهرو

محمد أزهر*

جامعة جواهرلال نهرو شابة في عمر الإثنين والأربعين من حبث إنها لا تزال تسافر لهدفها الواسع. والعنصر الذي يعطي جامعتنا القوة والطاقة هي رؤية الأفكار والبحث والمغامرة والتجربة والسعي الداب وتنوع الآراء.[١] أما تأسيس الجامعة فهي في الحقيقة جاءت في حيز الوجود سنة ١٩٦٦م تحت نص قانوني للجامعة وهي بالضبط أسست في تاريخ ٢٢ من ديسمبر سنة ١٩٦٦م ولكن افتتاحه الرسمي تم في تاريخ ١٤ من نوفمبر (وهو تاريخ ميلاد جواهر لال نهرو رئيس الوزراء الهندي الأول الراحل)١٩٦٩.

منذ تأسيسها فتحت الجامعة أبوابها للمعلمين والباحثين والطلاب والمتخصصين وللمنظورات الجديدة على أصول القدماء التي جلبت الجامعات الهندية إلى النظام الجديد. وكانت في بداية الأمر نسبة المعلمين الممتازين والطلاب البارزين ١:١٠ وسيلة للتعليم الذي شجع الطلاب لاستكشاف قدراتهم الإبداعية بدلا من تكرار البحث والمعرفة المكررة، ووسيلة للتقييم الجامع الداخلي مبنيا على التجربةالجديدة في المجال الأكاديمي الهندي، وكانت هذه كلها صدى متكررة لمقتضيات المعاصر والعصر الراهن.

وأسست الجامعة على الأهداف الأساسية التي لا تتجزء من أي تأسيس الجامعة وهي كما وصفها جواهرلال نهرو: الاتحاد الوطني والعدالة الاجتماعية والعلمانية وطريقة الحياة

* الباحث في جامعة جواهرلال نهرو

الديمقراطية، والتفاهم الدولي، والحل العلمي للمشاكل التي يواجهها المجتمع، فإن كانت الجامعات تنجح في الحصول على هذه الأهداف فهي تخدم لصالح الشعب والدولة. وهذه الأهداف أصبحت مبادئ الجامعة التي أتاحت لها حياة ساعية وفرصة لتجديد المعرفة من خلال تساؤل النفس.

أما التضاريس التي تقع فيها الجامعة فهي الجزء من سلسلة جبل الأراولي(وهي مثال سلسلة كبيرة ميتة في العالم) حيث يقع الحرم الجامعي في ١٠٠٠ ايكر(ايكر وهو فدان إنجليزي يساوي ٤٠٠٠ متر) وصار الآن خضراء مورقة تشمل الغابات الكثيفة وتستضيف الطيور العديدة وبعض أنواع الحياة البرية مثل الظبي والقط والمها والكلاب والحية وآلاف الحشرات كما صار مركزا للطلاب والباحثين.

وفي الحق أن رحاب الجامعة صورة مصغرة للشعب الهندي،وصورة ممزوجة من المناطق الهندية ربما تعقد أنك في بلاد متقدم وربما تجد أنك في المناطق الريفية الهندية المورقة ذات الشوارع الضيقة النظيفة المحتوية على الباحثين النخب والطلاب البارزين.وهي تجذب الطالبين والطالبات من كل زاوية البلاد ومن كل مجموعة وطبقات من المجتمع.وللتأييد من هذه الأحوال والتمثيل المساوي من كل مجموعة وطبقة-مهما كانت الديانة والجنس واللون- تعقد الجامعة اختبارات القبول السنوية في مختلف مناطق البلاد،وهي بالضبط على ٣٧ مركزا.وتمتاز الجامعة بأنها تعطي رعاية خاصة لطلاب الطبقات المتخلفة والشعوب المحرومة من حيث أنها تستحجزالمقاعد بنسبة ٢٢,٥في المئة لطلاب الطبقات المحرومة المقررة و٢٧في المئة للطبقات المتخلفة،فهي تلعب دورا بارزا في ارتفاع درجة الحياة للطبقات المتخلفة والريفية.والطلاب الأجانب أيضا يشكلون عددا ملحوظا في حرم الجامعة ويبلغ عددهم نحو١٠ في المئة،ويكون معظم الطلاب الأجانب من الولايات المتحدة وأوربا

واليمن ومصر والسودان وفلسطين وباكستان.وهذه الجامعة تحتوي على سكن الطلاب والأساتذة مما يؤكد رؤية لعائلة هندية كبيرة.

وهذه الجامعة التي هي آمال آلاف من الطالبين والطالبات من كل ناحية البلاد ومن كل ناحية العالم لا نظير لها في التعايش السلمي والمباحثة العلمية والتعاون فيما بينهم والتفاعل الشخصي بين المعلمين والطلبة،وتتمتع هناك بالديمقراطية التامة بمعنى الكلمة وتتجرب الحرية الفكرية التي تساعدك على نضج فكرك وإمعان نظرك،وكنت تتحير إذترى النقاش الحار بين مبادئ النظريات والثقافة الاجتماعية المتنوعة من مدينة إلى مدينة والفكرة السياسية التي تشتمل على الأطروحة العلمية والمعلومات الثمينة.

أما انتخاب اتحاد الطلبة السنوي فتيقن أنه ليس بانتخاب فقط بل هوسوق المباحث أو مهرجان الفكرة التي ترى فيها سلسلة الكتيبات والإعلانات والكرتونات الممثلة لخيالات فرقة أو مجموعة أو مجتمع والمبارزات الكلامية المحتوية على الخطابة وسلسلة الأسئلة والأجوبة، وفيها ترى كفاحة عالية وفهما دقيقا ممتازا لطلاب هذه الجامعة.وهذا الانتخاب المتحمس ذات النظريات العديدة سالم من كل نوع العنف والاصطدام.

وهذه الجامعة نجحت بأنها كسبت عديدا من مراكزها درجة الامتياز من قبل هئية المنح الجامعية (وهي هئية عليا في الهند وهي تشرف على الجامعات وتعطي لها شهادة رضاءها) كما أنها كسبت درجة أولى من بين الجامعات الهندية في السنة الماضية ٢٠١٢ من حيث أنها وجدت معدل ٣,٩١في الأربع من قبل مجلس الاعتماد والتقييم الوطني(National assessment and Accreditation Council).

أما المراكز الممتازة فهي: مركز للدراسة التاريخية ومركز لدراسة العلم الاجتماعي ومركز للدراسات السياسية ومركز للدراسات الاقتصادية والتخطيط ومركز لدراسات التنمية

المنطقية، وهذه المراكز تأتي تحت العلوم الاجتماعية. وهكذا كسبت ثلث مدارس العلوم أيضا درجة الامتياز ومنها: مركز لدراسات علوم فيزيا والحياة والعلوم البيئية بالإضافة إلى مركز دراسات اللغة الإنجليزية التي عدت في مراكز ممتازة في العالم.

ولا شك أن جامعتنا هذه حية دائما بدون أي فرق بين الليل والنهار بنشاطات علمية وحركات سياسية وبحوث علمية بما فيها الحديث عن الحياةالشخصية والحياة الجامعية والحالات السياسية في البلد وخارج البلاد وبصرخات عالية للعدالة الاجتماعية والمزاحمة ضد العصبية الجنسية والذاتية والمذهبية،وهي حية بالشعارات الممتازة واللوحات المميزة المشيرة إلى كارثة أو حقيقة اجتماعية وهي تمتاز بالجو الهادي العلمي والبحث المنفتح، وفضاؤها يترنم بالتسليمات الحمراء(وهي سلام علماني خاص) والنعرات الحرية والثورة (ومعنى الحرية هناك يختلف تماما من حرية البلاد) وأسلوب الحياة الجامعية بسيط للغاية ترى الباحثين فيها في القميص والبنطال الضيق والحذاء العادي،ربما لا تجد فرقا بين العامل والباحث. وهذا الأسلوب يجعل الحياة سهلا منفتحا خاصة للمتخلفين اقتصاديا.وهذه الميزات التي جعلت الجامعة أمال الطلاب،فيتمنى كل طالب هندي أن يكون طالب الجامعة وهي تستحق بجودتها الطبيعية وحسن نظامها وتعليمهابأرخص الثمن ان تكون أحلام الباحثين والدارسين.

وأخيرا أتمنى أن تواصل الجامعة خدماتها وتخدم الطلاب الريفية والمتخلفة، كما أتمنى أن تكون وحدة الطلاب أمتن من اليوم. وما أحسن لو كانت الجامعة تفتح فروعها في أنحاء البلاد وأقصائها فإنها تستطيع أن تؤدي دورا ملحوظا في إزالة الجهالة وإشعاع أشعة العلم والفكر وبناء الشعب.

استعراض رواية "آدو جِيوتَم" (عيش الماعز)[١] لـ بنيامين

محمد عبد الكريم الهدوي*

الرواية: "آدو جيوتم" لـ بنيامين، دانيال

اللغة : ملايالم (لغة كيرالا، ولاية جنوب الهند)

الطبعة الأولى: ٢٠٠٨

الناشر: جرين بوكس، ترشور، كيرالا، الهند.

قلما يوجد عمل فني يحقق نجاحا كبيرا فوق ما قدره الكاتب والناشر وينتشر انتشارا واسعا في أوساط الشعب العام. فلا بد أن يكون ذلك العمل مما يحمل بعضا من سمات حيوية تربط بعواطف الشعب الداخلية وتحفز مشاعره النفسية المرتبطة بحياته اليومية. ولا بد أيضا أن يحتوي بتحليل مضمون عن حياة إنسانية غير ما وصلت إليه الروايات المشابهة المعاصرة لها لأن "الأدب البرواسي"[٢] قد أصبح فنا قائما بذاته.

وهذه العبارة تصدِّق ما وجدتْ رواية "آدو جيوتم"، من الشهرة حيث وصلت طبعتها إلى خمس وسبعين. وهي رواية هندية محلية بلغة مليالم، ينطق بها سكان كيرالا، ولاية جنوب الهند، وكتبها دانيال بنيامين أحد أدباء الجيل الجديد وقد تم ترجمتها إلى اللغات الهندية

[١] عيش الماعز تعريب مباشر لعنوان الرواية، وقام بترجمة النصوص الموجودة هنا صاحب المقالة

* **باحث في جامعة جواهرلال نهرو، نيو دلهي**

[٢] البرواسي يعني المغترب، و"الأدب البرواسي" اشتهر كأدب يتعلق بالهجرة إلى الدول الخليجية وغيرها وبالاغتراب. الأدب المهجري والأدب البرواسي: دراسة مقارنة، الدكتور علي نوفل. كيه، رسالة مقدمة لنيل الماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة جواهرلال نهرو، نيودلهي ٢٠٠٣

والإنجليزية باسم[١] Goat days - أيام الماعز- وحازت على عدة جوائز أدبية وضُمَّتْ في القائمة الطويلة لجائزة أدبية لكاتب آسيوي (Man Asian Literary Award). تقع أهميتها الأولى في مضمونها فإنه ذو صلة وثيقة بالثقافة المليبارية، حيث أن لكيرالا، باختلاف الولايات الأخرى الهندية تاريخُ تبادل ثقافي طويل، بينها وبين العرب. والثانية في "الحدث الروائي" الذي لم يعم كثيرا في أوساط الأدب البرواسي (المغترب)، إلا أنه قد انحصر في "المكالمات الشفهية"، والثالثة في "الحياة المأساوية" المتواجدة في الرواية لشخصيات قاموا بالهجرة إلى الخليج طلبا لقوت عائلتهم. وهذا النوع الأدبي اهتم به القراء الهنود وغيرهم لأنه الشكل الذي يتناول فيه مشاكل المغتربين ويعكس مشاعرهم وعلى الرغم من تطور الأدب الذي يعالج مشاكل الاغتراب للهنود في الخليج إلا أن هذه الرواية سجلت فرادتها وتميزها للمتلقي فسدت حاجته وظفرت هذه الرواية بشهرة واسعة. فهذا الحدث الروائي الحقيقي بحد قول الروائي بنيامين والذي يصل حد المستحيل يظهر للقارئ "زاوية مظلمة" أو "طرفا نقيضا" لظاهرة الاغتراب. إن الاغتراب بوصفه غير مرغوب فيه بما فيه من التباعد عن محبيهم وأعزائهم ووطنهم وإن كان العمل محترما. فكم يكون ذلك الألم والحسرة لمن وقع في ورطة منكودة !. أما المهاجرون من غير المهرة فيعانون من مشاكل كثيرة مثل الاستغلال، والظلم والتعسف...الخ. وما زاد الطين بلة هو أن "الاستخدام إلى الدول الخليجية" قد أصبح الآن عملا رابحا لبعض من "تجار التأشيرة" ويحصدون من ورائها ربحا طاغيا. ومن تلك الناحية هذه الرواية تطرح بعض التساؤلات المحتارة في حين قد أُنشِأت في الهند مؤسسات كثيرة تعتني بالمغتربين وأقامت الهند بين الدول الخليجية علاقة ثنائية وطيدة. رغم تعامل رؤساء العرب السيء تجاه مرؤوسيهم إلا أن المشكلة ليست هي العرب والكفلاء بالذات – كما في الرواية – بل هي قاسم مشترك بين العرب وغير العرب – وهم الأكثر نصيبا في ذلك- الذين يستعبدون شقيقهم، ويمتصون

[١] قام بترجمتها إلى الإنجليزية جوساف كويفالي، محاضر الأدب الإنجليزي بجامعة كاسركود، كيرالا عام ٢٠١٢

دماءهم لمصلحة أنفسهم. ولا مجال لإنكار دور منافع "الهجرة" إلى الدول الخليجية في التطور الاقتصادي والاجتماعي في الهند، ودور مواطني الدول الخليجية في ترقية مستوى عيشها.

تحليل قصة الرواية

هذه القصة تم نشرها أولا كسلسلة في "مجلة أسبوعية لـ ماتربهومي"، وحسبما قال المصنف هذه قصة حقيقية لإنسان ذي لحم ودم إلا أنه أضاف إليها ما تحتاج القصة من مكونات، وفي الكلمة الأخيرة للرواية يقول الروائي عن خلفية اختيار القصة وطريق معالجتها.

"صديقي سنل، هو الذي قال لي أول مرة عن طريق الصدفة عن شخص يدعى نجيب، وقد بدا لي في ذلك الوقت، أن هذه القصة ما هي إلا مثالية للقصص الخليجية التي قد سمعناها مرارا بتفسيرات مختلفة. فلم آخذها مأخذ الجد. ولكن صديقي سنل لم يزل يلح علي أن أقابل نجيب، وأتحدث معه وأصغي إليه، وأن أكتب عنها إذا كان ممكنا وقال إنه عبرة صادقة لأمثالنا ممن ينهارون أمام مشكلة خفيفة بدون قدرة على مواجهتها. ذهبت إليه وقابلته، وهو رجل مخلص بكل معنى الكلمة. وعندما سألته أول مرة عن قصته فقال بتردد " تلك الأمور حدثت قبل مدة كثيرة وقد نسيتها" ولما أرغمته لسرد قصته شرع في الحكاية عن حياته نبذة نبذة... والأحداث التي بدت منسية حتى ذلك الحين تراءت أمام عينيه واضحة جلية. وحدتها قد أدهشتني حقا. وبعد ذلك، لقيته مرات كثيرة، وكلمته ساعات عديدة، واستزدت منه واستفسرت عن دقيقات حياته القديمة. وإني عرفت أن الحكايات التي سمعناها كم هي مبهمة وسطحية جدا جدا وبعيدة عن الواقع. ولم أكن أفكر عند ذهابي إلى نجيب في المرة الأولى أن أحبك من حكاياته قصة، إلا أن أتعرف على شخص مر بتجارب غريبة في حياته، وكلما زادني علما بها وبحياته لم أكن أستطيع أن أكف نفسي عن كتابتها، وكم من

ملايين يعيشون في الخليج ويرجعون منه. ولكن، كم منهم قد عرفوا حدة الصحراء وقساوتها في الحقيقة، وما راق لي أن أرصع حياته بمزيد التزويق لمتعة القارئ، إلا أن حياته بدونه أيضا تستحق القراءة. وهذه ليست حياة نجيب فحسب، وإنما هي حياة حقيقية، حياة الأغنام" [١]

يمكن أن نقول إن هذا الحدث الروائي قد جعل الشعب المليباري يصيب بصدمة لأوهامه الطويلة الأمد عن صورة "الخليجي" وتخيله عن "فضفضة العيش الخليجي". ويقدم صورة مختلفة تماما عن طبيعة العمل في الخليج، والوكالات المندوبة والوكلاء المندوبين. والموضوع الذي تناولته هذه الرواية في الأدب البرواسي قليل جدا، إلا ما نجد في قصة "الضحية" لكيدانغر برساد التي تتحدث عن قصة "رجل قضى خمسين عاما في صحراء الخليج دون أن يزور وطنه ولو مرة واحدة"،[٢] وقد ظهرت مؤخرا بعض الأفلام الملايالمية تعالج نظير هذه المضامين مثل فيلم "قصة عربية" (أربي كتها)[٣] و"خدامة"[٤] يقول عن فتاة خادمة في الخليج هربت بينما عالج معظم الأدب البرواسي "الحنين إلى الوطن" و"ألم الفراق" و"اضطراهم للبقاء في الخليج".

موضوع الرواية:

تتحدث الرواية عن ظاهرة الاغتراب أساسيا، وبكونه عاملا في الخليج – البحرين – منذ عام ١٩٩٢إلى عام ٢٠١٣ تعد هذه الرواية تصويرا لحياته الخليجية، فكان يتخذ من نفسه قصة ما دام أنه لا يمكن أن ينكر الكاتبُ شخصيته كليا حين يكتب عن غيره "لأن حياة نفسه تتبعه كما يتبعه الظل"[٥] والسنة هبط فيها نجيب في مطار الرياض في نفس السنة التي هبط

[١] آدو جيوتم، الكلمة الأخيرة لكاتب الرواية.
[٢] الأدب المهجري والأدب البرواسي: دراسة مقارنة لعلي نوفل، دراسة جامعية.
[٣] "قصة عربية" فيلم بلغة مليالم، لال جوس عام ٢٠٠٧
[٤] "خدامة" (خادمة المنزلية) فيلم بلغة ملايالم لـ كمل، ٢٠١١
[٥] ملحق الرواية، بنيامين، آدو جيوتم.

بنيامين في البحرين وعمره عشرون واستطاع الكاتب أيضا أن يرى كثيرا من أشخاص يكابدون العيش سعيا وراء الرزق.

العثور على النفط والبترول في الدول الخليجية كان ثورة كبيرة في مجال التطور الاقتصادي حيث تحسنت اقتصادها بشكل كبير. وجرت فيها نشاطات عديدة من حيث تطوير البنيات التحتية، والتسهيلات العامة بفضل حصيلة البترول والنفط، خاصة في المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والكويت. فوجدت هناك فرص المهنة الكثيرة، مما جذب إليها انتباه الناس في دول ثالثة وفقيرة مثل الدول الإفريقية والآسيوية.

وعلى الرغم من أن للهند علاقة موغلة في القدم بالدول الخليجية حدثت ظاهرة الهجرة إليها للعمل في ثلاثينات القرن العشرين وازدادت بوجه عام لسبب تحولات اجتماعية حصلت بعدها. وكانت لكيرالا الأسبقية بالنسبة للهجرة إلى الدول الخليجية خاصة السعودية والإمارات والكويت خاصة المسلمين فيها لأسباب اجتماعية واقتصادية بعد تدهور الفلاحة والزراعة التي كانت مدار حياة كثير من الناس. ورأوا الهجرة فرصة ذهبية لتحقيق أحلامهم المحتضنة، وتحصيل عيش كريم لأهل بيتهم. وبفضل ذلك الاتصال والاحتكاك، تغيرت "الثقافة" المليبارية تغيرا جذريا من حيث مستوى العيش وحقق تقدما باهرا في جميع المجالات السياسية والاجتماعية والدينية. والسبب الأهم في ذلك، حنين المواطنين المغتربين إلى أوطانهم، وبالإضافة إلى رغبتهم في ارتقاء وازدهار أفراد عائلتهم حرصوا أيضا على نشاطات جماعية تعم الفائدة. فكثرت التبرعات وخدمات الإسعاف وإغاثة الملهوفين. وهذا "التأثير الخليجي" ظاهرٌ في حياة الأسر في كيرالا خاصة في شمال كيرالا لأنهم أكثر الناس وافدون إلى الخليج العربي. فأصبح "العربي" عند الملباريين رمز "السخاء" والدول الخليجية فرصة العمل. أما المساجد، والمؤسسات التي تحمل أسماء العرب من دول خليجية أو ما يكون لهم فيه نصيب أوفر فكثيرة لا تحصى. أما في كيرالا خاصة في شمال كيرالا، فقد قل أن يكون فيها أسرة لا يوجد فيها شخص يعمل في الخليج ويهتم بأمرها ويدبر

شؤونها.

فرواية "آدو جيوتم" تنحرف عن هذه الوجهة الرسمية السائدة في فكرة الملاياليين، وتتجه اتجاها آخر. والرواية تمحور "الاغتراب" كأزمة نفسية، ووحشة ومستنقع، وانفصال تام عن العالم الخارج، وظلم وتعسف. فكل من نجيب من كيرالا، وإبراهيم القادري من صوماليا، و"الشبح المخيف" الذي لا بد أن يكون قد أتى إلى المزرعة من بلد ما، يتمثل ظاهرة عالمية لا تفرق بين بلد وبلد، ولغة ولغة..سوى أنه إنسان يسعى وراء العيش. وفي الرواية يبحث كلهم عن طريق يوصلهم إلى النجاة من هذا الاغتراب القاتل بقلب واحد. علاوة على مشكلة الاغتراب، نجيب الشخصية الرئيسية، ترمي تساؤلات عن الحياة نفسها ... وقد أصبحت الحياة عنده شيئا لا يوجد له تفسير مقنع. فتطرح كثيرا من التساؤلات عن قدر الله وقضائه. فيسب الله ويعاتبه ولكن نجيب في الرواية يخاف أن يكون ملحدا جاحدا... وقابل الحياة بكل مرارتها وكانت في بعض الأحايين "أملا" و "يأسا" في نفس الوقت ونهاية في وقت آخر. أما فهمه عن الحياة بأنها ريح تجري بما لا يشتهي هو، يجعله بين السندان والمطرقة. فيعض بنواجذه ذلك الأمل الذي سينير له الطريق يوما ما، بفضل خالقه. الشخصيات الرئيسية في الرواية نجيب محمد (حصل على تأشيرة عمل بالمملكة العربية السعودية في شركة البناء مقابل ثلاثين ألف روبية هندية)، والأرباب (الكفيل)، وحكيم، وإبراهيم القادري من صوماليا، وكنجكا.

السرد:

السرد في هذه الرواية قد لعب دورا مهما أكثر من أي شيء آخر. فأسلوبه السردي أقرب إلى الحكاية أكثر منها إلى الكتابة الفنية. وذلك ناتج عن خشية الكاتب من أن تبعد الرواية عن الواقع الذي سمعه من نجيب مباشرة. وقد أضيف إلى هذه الميزة ترتيب الرواية ترتيبا يأسر القارئ حتى نهاية القصة، دون "ثقل فلسفي" يمنعه من قراءة سريعة وفي جلسة واحدة

إلا أنها يقول عن فلسفة حياة غامضة. ولغته التي اختارها للسرد سهلة. وهي خالية من التعقيد الفني في بنيتها السردية وتحض القارئ للتفكير في الإنسان وعن عجزه أمام القدر الذي قدره الله له.. ولكنها تعطي للإنسان بصيصا من الأمل بأن كل واحد إذا ضاق ذرعه واستحكمت حلقات كربه لا بد أن يوجد هناك فرج ما بشرط أن يكون قوي القلب راسخ الإيمان. وهذه الميزة السردية أيضا قد تأثرت في رواجها كعنصر مهم وجعلتها أكثر "شعبية" مما قرَّب الخطاب الروائي إلى القارئ العام الذي يعد قراءة الرواية مهمة المثقفين فقط ومقتصرة في "الدائرة الأدبية". وذلك أنه يمكن لكل من يستطيع القراءة فهم الحدث بشكل كلي من دون غموض وقد نجح الكاتب في هذا المراد نجاحا تاما ولم يتطرق إلى لهجة معينة خاصة بضاحية معينة "كما في رواية "تشمين"[١] بل استخدم لغة متوسطة كأن الحياة عند كل الناس واحدة. أن "المغالاة " التي هي سمة عامة في كتابات بنيامين ولكنها هي نفسها وجهة نظر الكاتب تجاه الحياة عامة "إن كانت الحقيقة غريبة ينبغي أن تكون الحياة أغرب منها". ولكن اللغة وأسلوب السرد اللذين يختارهما بنيامين يختلف بحسب رواياته مثل روايته الأخرى. فأسلوبه السردي في هذه الرواية تختص بها.

قصة الرواية:

الرواية تحكي قصة شاب من كيرالا يدعى "نجيب محمد". يذهب إلى السعودية العربية المتحدة تاركا خلفه عائلته المحبوبة وحاملا على كتفه أحلام أسرة فقيرة ويرافقه "حكيم" وهو في مقتبل عمره، وهما ككل إنسان ملايالي عادي، نسجا حلمهما لأن يكونا أيضا في عداد الخليجيين، الذين يقضون حياة أفضل من الحياة التي هما فيها... ورتب لهما صديق نجيب تأشيرة عمل بشركة خاصة كمساعد في شركة بناء، فانتظرا لذلك اليوم الموعود بفارغ الصبر.

"قضينا أسبوعين بمومباي، كانا أسبوعين طويلين كأن الوقت توقف عن سيره فلكل ثانية

[١] رواية تشمين لشواشانكارا بلا (The prawn:(The anger of the Sea)، ١٩٦٥

طول قرن ولكل يوم طول دهر. وحينما يخرج "ششي" وزملاؤه للعمل كنا ننزل أنا وحكيم للمشي في أرجاء المدينة عبثا بدون هدف وبدون علم عن الطرق وممارسة اللغات، وكان لنا نوع ما من الجرأة لكل شيء، مشينا في عشوائيات "دهاراوي" مرورا بالأحياء الضيقة الطويلة نجوس خلالها إلى محطة قطار بـ"أندهيري" ووقفنا فيها دون حاجة نشاهد ازدحام الناس وتدافعهم وأكلنا "باوو باجي" وشربنا "ساربات" وحضرنا السينما وتناولنا "البير" في الليل مع "ششي" -غير أن حكيم كان يفضل مشروبات باردة - وقضينا في المراقص الساهرة ورجعنا في الليل حيث شئنا... أسبوعان ... نزهةً ورفاهية"[1]

وعندما ينزل "نجيب" في مطار الملك خالد الدولي بالرياض وهو يحمل على كتفه أعباء حكيم الصبي كلها، بدأ يساوره بعضا من القلق عن مصيره... لأن وعود "الوكيل" بالنسبة لعمله بدت زائفة تماما. فالتقطهما رجل عربي (الأرباب) في أقدم عربة فيما رأى طيلة حياته ولأول وهلة حطم "ذلك الرجل" أحلامه العالية البرج وترك في قلبه انطباعا غير مريح

"والعربي الذي كان في ظني هو من يفوح منه أريج العطر ولكل مئات العرب الذين مروا بي تلك الرائحة الزكية التواقة. و قد أقنعت حكيم قبيل قليل على سبيل المزاح بأن أحدث أنواع العطور، يتم تكوينها بتقطير أبوال العرب المدمنين على استخدام العطور يوميا ولكن أربابي كانت تنبعث منه رائحة عطنة للغاية ومجهولة. وكان العرب الآخرون يكتسون ملابس نقية ومكوية نَاصِعَة، فيما كانت ملابس أربابي مبتذلة نتنة فوق التعبير. مهما كان الأمر، قد وجدت أنا أيضا أربابا. حسبي ذلك طمأنينةً. وقد أصبحت واحدا من عداد الخليجيين، ولي أيضا أرباب.. والذي يمر أمامي هو أمين أحلامي، وهو ربي الذي يرجى منه تحقيق آمالِ حياتي كلها، أرباب.. أرباب.. ولم يكن أحد في الدنيا أحب كلمةً أكثر مما

[1] آدو جيوتم – ص: ٣٤

أحببت هذه الكلمة وقتذاك![١]

فسافرا معه إلى عالم غريب وانحرف السير من طرق ممتدة إلى طرق ترابية حتى تلاشت الأضواء كلها وانسابت العربة بهما بين الكثبان تثير أغبرة متطايرة ووصلوا إلى مزرعة وسط الصحراء في ليل بهيم سرعان ما أدرك نجيب خطرا لاحقا وهناك رائحة كريهة من ناحية مجهولة.

فهل وصلنا نحن في أي معمل لتدقيق العَظم؟ فأين مبانيه وآلياته؟ وأين أكوام العِظام المكدسة فيه؟ وأين مداخنه؟ وحده الله أعلم!![٢]

وقد أصابني الرعب حقا. وساورني هاجس بأنني قد انسقت إلى خطر كبير. حكيم كأنه أصبح في معتقل الأرباب. وبالتالي نوبتي أنا. وخطته ستكون أن يزجني في معتقل آخر. وقبل ذلك لابد من الفرار والتخلص من هذا المأزق الخطير... ولكن أين المفر؟! ولا يحيطني إلا منفسح الفضاء[٣]*....ومشيت بحافة السياج إلى الأمام، متصدعا بوجل مُهلِك. وما أن خطوتُ بضع خطواتٍ، حتى وجدتُ سريرا بالقرب من السياج وعليه إنسان يجلس متقوسا! وما أن وقعت عيني على تلك الصورة حتى تسمرت في مكاني روعا...*[٤]

وعمل نجيب في المزرعة مع شبح مخيف وأعده الأرباب للعمل وأجهده جهدا هائلا وحرم عليه كل شيء حتى من أمور أساسية للإنسان من غسل وتطهير وضربه وكاله بركلة وعتاب وعندما أراد الدفاع عن نفسه ثارتْ ثائرة الأرباب.

[١] آدو جيوتم – ص: ٤٠
[٢] المصدر السابق ص ٤٧
[٣] المصدر السابق ص: ٤٧
[٤] المصدر السابق ص:٥٠

"وجملة ما وعيت من كلامه، وسبابه، وضربه هي أن هذا الماء ليس لغسل إليتك أنت.. بل ادخرته لتشرب منه أغنامي... وأنت لا تعرف ثمنه... وهذا الماء يحرم عليك استخدامه لحاجاتك الحقيرة كهذه بعد الآن. وإن فعلت ذلك أقتلك... هكذا، درست منه الدرس الأول بأن غسل الإلية بعد التغوط ذنبٌ لا يُغفَرُ" [١]

ومرت به الأيام وانقطعت صلته بالعالم الخارجي بوجه تام وبقي أهل بيته بالنسبة له مجرد ذكرى أليمة قد مضت، فمجرد حضور إنسان يأتي من المدينة ملأ قلبه بغبطة شديدة. *"وعلى حين غرة جاءت يوما ترايلر بدون العتَّالين لتفريغ الحمولات. فاضطر الأرباب أن يدعوني من الصحراء، وكان سائقها أيضا باكستاني، و بعد زمن طويل جدا كنت أرى إنسانا ثالثا من قرب. فأحسستُ بأنه حتى لعرقه رائحةٌ طيبةٌ وعندها فقط، شعرت بفداحة الرائحة التي أعيش فيها، وفرحت بشدة لرؤيتي إنسانا حتى لمست جسده، وفي ذلك الوقت أحسست تماما بأن نسيما من رضى القلب يتسرب إلى أحشائي.* [٢]

وذات يوم، تخلص الشبح المخيف من المزرعة هاربا من الأعمال التي كان يقوم بها كل يوم إلى الأبد، وكان حكيم يعمل مثله في مزرعة مجاورة لمزرعته ولم يكن يختلف منه كثيرا في الصورة والمعاناة فقد تغير تركيب جسمه برمته وأصبح شيئا آخر.

ولكني رأيت ذلك الظل ينتقل إلي رويدا رويدا.... أهذا أنت يا حكيم؟ تعال قربي.... هذا أنا نجيب رفيقك..! اقتربت تلك الصورة مني فحددتُ النظر إليها... فها هي ذا صورةٌ قبيحةٌ أخرى، هزيلة سوداء مسترسلةُ الشَّعر....شبحٌ مخيف آخر.. ليس هذا حكيمي.... [٣]

هكذا أمضى أيامه مع الأغنامٍ يربيها ويحلبها ويسقيها ويعلفها...حتى أصبح هو بذاته كواحدة من أغنام المزرعة واتصف بصفاتها، وقام بوحده بتربية كمية كبيرة من الأغنام في

[١] المصدر السابق ص:٦٣
[٢] المصدر السابق ص:١٠٢
[٣] المصدر السابق ص: ١١٠

الصحراء الواسعة. وهذا كله إلى ما كان يعاني من ضرب وشتم وجوع... وقاسى من الأرباب ما قاسى... وفهم أن هذه شركة منصوبة إذا وقع فيها أحدٌ مرة فلا مفر منها... فومضت في كل شخص يأتي من الخارج بريقة أمل، ولكنها كانت تضيء تارة وتنطفىء تارة أخرى. ولكن فتيل الأمل لم يزل ينور في ركن من أركان قلبه بضوء ضئيل، وفي كل خضرة بالصحراء الجدباء وجد رسالة توحي إليه لأن يبعث من جديد...

"رأيت تلك الشجيرات، وهي تنمو وتكبر في أيام قلائل ثم تزهر وتثمر وتدخر في باطن الأرض حياتها لتستفيد منها لآت قريب. لشد ما شغفت بها حبا، جلست بجوارها وخاطبتها، وأصغيت إلى أشجانها، وسامرتها عن أشجاني... وأطلعتني تلك الشجيرات على آمال كبرى في حياتي....وقالت لي سرا "يا نجيب... يا من تبنتك هذه الصحراء، صارع أنت هذه الصحراء متماسكا بحياتك وكافح مثلنا، ستمضي بك الشمس التي تصخدك بلهيبها والرياح الحارة ولكنك لا تنقد أبدا، ولا تنهك. وهي تسألك حياتك... لكن لا تسمح أبدا، كن صامدا... اجعل من ينظرك يتخيل بأنك فاقد الحس وشيك الموت، بحيث لا تعود أنت إلى الحياة أبدا...ولكن .. ادع ربك الرحمن وحده خفية وتضرعا.... وهو يدرك حضورك ويسمع دعواتك.... ثم - أخيرا- سيأتيك يا نجيب زمان، وفيه تزيح عنك تلك الريح الحارة وتنعدم حرارتها، وتناديك نسائم الدهر من تحت أرضك، فحينئذ فقط، ارفع رأس حياتك وئيدا وئيدا، ثم أعلن بحضورك يا نجيب، ثم اقتحم لتوك داخل لحظة إلى التخلص ... ثم ازدهر وأثمر أنت من أجل يوم الغد القادم"[١]

ولكنه لعن الله ولعن قدره أي لعنة، رغم إيمانه الراسخ لأن الحياة أصبحت مستعصية على تدبيره وصار الاستدراك أمرا مستحيلا. ويرى أن التضرع والابتهال إلى ربه وسيلة وحيدة.. لا.. وسيلة أخيرة.

[١] المصدر السابق ص: ١١٦

"يا أللهِ... يا رحيم... يا من يفعل عديدا من الخوارق المذهلة في حياة كثير من خلقك. رجل كان يتسول في الطريق يفوز باليانصيب ويصبح غنيا. ومريض كان طريح الفراش يعود إلى حال صحته الكاملة فجأة، ورجل كان ظُنَّ به أنه قد تهشم تحت الحافلة في حادثة، يخرج بلا إصابة. وفي حين يُقتَل مئات المسافرين في حادثة الطائرة ينجو منها واحد فقط، والعالق في كارثة السفينة ينجرف إلى الشاطئ بعد سنوات كثيرة والحياة تنبض فيه، وآخَرُ يخرج من بين أنقاض المباني المنهدمة في زلزلة بعد شهر واحد وهو على قيد الحياة. كم من أمور يستعصي إدراكها على أفهام العوام؟ وهلا تفعل مثل ذلك في حياتي أيضا ؟.[١]

وبتخطيط أدق يقوم ثلاثة - نجيب وإبراهيم القادري وحكيم - للتهرب من المزرعة والتخلص من هذا الجحيم. فيودع نجيب الأغنام والجمال التي صارت أعزاء في حياته وأحبها حبا عميقا وداعا أخيرا فيلقى إليها كلمة أخيرة فقال *"زملائي الأعزاء، أغادركم وإن بقيت هنا بعد الآن سأموت لا محالة، لابد لي من التخلص من هنا. ليس من عندكم أبدا بل من قدري المشؤوم...أحب كل واحد منكم ولولاكم لكنت ميتا منذ زمن بعيد. فها أنتم ومحبتكم لي أبقتني حتى اليوم حيا وسأذكركم حيثما كنت في الدنيا كإخواني الحميمين الذين شاركوني في شدائدى .... وأحبكم جميعا... والذي أوصلني إلى هذه المزرعة التعيسة هو الله، وهو نفسه يفرجها الآن عني... وسأسأل الله ليخلصكم أيضا من هذا الشقاء ، أيتها الأغنام... أصدقائي ... إخوتي وأخواتي... أشقائي...إلى اللقاء"*[٢] *"أبنائي وبناتي ....أنا خبير بكم وبمصيركم، و أنتم لتُساقون إلى السوق والمجازر، أدعو الله لكم ليمنحكم صبرا جميلا على قضاءه المبرم عليكم. وهذا كل ما يمكن أن يفعل به هذا المسكين... وأنا أحْقرُ الحيوانات في الأرض" نزلت من المزرعة باكيا*[٣]

[١] المصدر السابق ص:١٣٧
[٢] المصدر السابق ص ١٤٨
[٣] المصدر السابق ص: ١٤٩

وفي يوم كان فيه الأرباب غائبا، فروا في تلك الصحراء الممتدة التي ترامت أطرافها... وساروا فيها سير هائم متخبط، يمينا وشمالا... وما وجدوا لفرارهم نهاية، ولا لرحلتهم غاية، إلا أنهم احترقوا تحت قيظ الشمس وحرارتها. *"يا الله، هل نحن أيضا مثلهم؟! لسنا ممن جاؤوا إلى الصحراء هزلا وطرافة، ولا للاختبار. إنما لنعيش... وإنما لنبقى على قيد الحياة فقط. وإنما لنرى وجوه الذين يحبوننا مرة أخرى....ولنكفكف دموعا تسيل على خديهم لأجلنا... و أثناء محاولتنا لذلك وقعنا في هذه الورطة خطأ.... يا الله ... أنت وحدك...قدرتك وحدها.... وسبيلك وحده....وأمانك وحده... اللهم لا تقتلنا بفضلك في هذه الصحراء حرقا وشواء.*[1] واستبد بهم السغب القاتل، ولم يزل حكيم يستعطف الماء باكيا طول المشي، وبعد كثير إنه جذب يد نجيب وقال : لا أطيق ... يا أخي... لا أطيق.. دعني أضطجع هنا ...اذهبا أنتما" لقنه نجيب "الله أكبر... الله أكبر". وهذا النداء وصداه بعث فيهم قوة من جديد وواصلوا المشي ولكن القوة أخذت تخور والنشاط يضمحل ولكن إبراهيم القادري حثهما على المشي وقال:

"قُوما، لا يُعين هذا الاضطجاع إلا ليزيد تعبكما وإعياءكما، ولا يريح أنفسكما أبدا، والشمس تمتص من أبدانكما آخر قطرة من ماء أجسامكما، انتظرا قليلا بدون أن تسمحا لأنفسكما تُشْوَى في هذه الرمال الساخنة، الرمال والصحراء صفتهما أن تبردان سريعا، فعند ذلك، اضطجعا، أما تحمَّلنا حتى الآن... انتظرا وقتا قليلا"

اذهب من هنا يا كلب" بكى الحكيم والغضب يُشعِله.

"أجئت بنا لتقتلنا؟ أهذا وعدك الذى وعدتنا به؟ وكانت المزرعة خيرا من هذا بكثير! والأرباب خير من هذا! دعني أنهك وأهلك موتا، تخلص أنت". ولأول مرة رأيت إبراهيم القادري في تلك الرحلة تمتلئ أعينه بالدمع. رفع يديه إلى السماء عاجزا، ثم سجد في

[1] الصدر السابق ص : ١٦٤

الأرض ودعا الله[١] *....*

فوجد نجيب بعد برهة أن الرغو يعلو من فم حكيم، وأنفه ينزف بالدم، فنشف هو دمه بثوبه، وأرغمه للقعود. فقال إنه يشعر بدوار في الرأس، وبعد قليل، إنه بدأ يومئ بإيماءات عصبية غريبة، كأنه مسعوركالكلب ولقي حتفه.

ولما فتحت عيني فيما بعد، وجدت نفسي معلقا على كتف إبراهيم القادري كشبح والصحراء تهب فيها رياح رملية عنيفة، مشحونة بالنار بكل معنى الكلمة حتى لا يقدر وضع خطوة واحدة إلى الأمام. ولكن إبراهيم القادري يفر وهو يحملني على كتفه بسرعة فائقة قدرَ المستطاع، وما كنت أفهم مطلقا لماذا يفر هكذا... وقد كنت تعبان جدا بدرجة أنه لا أطيق النزول من كتفه...[٢]

وبعد موت حكيم نفدت حيويته، ولكنه كان يتشبث بطرف ثمام الرجاء حتى في تلك الداهمة التي حدقت به، وإبراهيم القادري، صلب الجسد شق له طريق الخلاص.

"رفع إبراهيم القادري يديه إلى السماء وهتف، الله أكبر... الماء .... الماء...الماء.. الله أكبر. ووقع ذلك الصوت في أذني حينما كان رأسي يسعر.. سعيت إليه كالمجنون ... يا للمنبع !..رأيته... رأيته بأم عيني المفتوحة ... ماء ينبع من بين الشجيرات. انطرحت إلى جوار ذلك المنبع بشراهة ظمآن...وفجأة أبعدني إبراهيم القادري عن الماء وصاح "لا تشرب".

ثار دمي واشتعلت عيناي... وبكل ما في من قوة ضربت على عنقه حتى تعثر بتلك الضربة المفاجئة.

انطلقت لمرة ثانية نحو الماء، سرعان ما جذب إبراهيم رجلي وحملني ثم أضجعني بعيدا عن الماء. اتركني يا كلب... أنا ظمآن... أريد الماء. صرخت .

[١] المصدر السابق ص: ١٦٧

[٢] المصدر السابق ص: ١٧٢

ولكنه لم يحلل قبضته علي، شهقت ضاربا على صدري... اللهم انزل على هذا السافل الذي يمنعني من الماء صاعقة واقتله... ولماذا هذا الإغراء يا رب؟ وهل كنت أمشي أياما مع هذا السافل ؟! قتل حكيما... وبالتالى سيقتلني.... ويشرب هذا السافل ذلك الماء كله في المنبع وحده حتى ينفد، ولا يعطيني منه قطرة لأبلل بها لساني.... ولكن أريد شرب الماء قبل أن أموت....

وفجأة شعرت ببلل على شفتي ففتحت عيني فإذا هو بجواري .... وهو يرطب شفتي على مهل ففتحت فمي بلهفة وما إن تقطرت قطرة من الماء إلى لساني حتى نهضت متوثبا كأنه احترق بالحامض. وأعاد لمرة ثانية تلك القطعة القماشية يشحنها في فمي وأخذ الماء ينز منها إلى لساني قطرة قطرة [١].

أنقذه إبراهيم القادري طول هذا السفر من شر يصيبه، ثم غاب يوما دون أن ينتظر من نجيب كلمة شكر كأنه يؤمن في أعماقه أنه لا شكر للواجب. نظر نحيب فيما حوله كله... ولكنه لم يجده في أي مكان هناك.

إبراهيم.... إبراهيم. ناديته وأنا أطوف في كل مكان حولي. لم يجبني أحد. أين هو ينام؟ وهل استسلم للنوم إلى هذا الحد..؟! إبراهيم ... إبراهيم ... ناديته مرات أخرى بحثا عنه ولكن نداءاتي كلها بقيت صيحة في واد واختفت في لانهائيات الصحراء.

بزغت أشعة النور الأولى في جهة الشرق. وزالت عني غشاوة الظلام.. واستنار كل شيء أمامي من الرمال والتلال... وبحثت في كل مكان حولي مستعينا بهذا الضوء هناك. واعتليت على كثيب الرمل وأمعنت نظري في كل جهاته فلم أجد له أثرا. وبعد تفتيش كثير فقط استطعت أن أخضع للواقع أن إبراهيم القادري الذي كان مرشدي ومنقذي إلى الآن قد اختفى عن حياتي للأبد. أحسست بوحشة وحزن شديد كأنني قد أصبحت آخِرَ إنسان في العالم. جلست في الرمل وبكيت، أين ذهبت أنت يا إبراهيم تتركني هنا في هذا الممر

[١] المصدر السابق ص: ١٧٨- ١٧٩

وحدي... أولسنا مشاركين معا في مسراتنا وشدائدنا في هذه الأيام كلها؟ أين أنت؟ ها نحن ذا في طريق الخلاص والشارع الرئيسي سنصل إليه داخل ساعة واحدة. ولكن أين أنت؟ أين غبت في الليلة الماضية؟ أما كان لك أن تقول لي كلمة ولو كلمة وداع" [١]

ثم يلجأ بعد مشي طويل إلى "كنجكا" الذي كان المنكوبون يأوون إليه في مثل هذه الحالات العاجزة في السعودية، ثم من تلقاء نفسه يلقيه لقبضة الشرطة عليه. كان قد انتابه ألم فراق منقذه إبراهيم القادري حيث غاب إلى مكان ما بعد أن أوصله إلى عتبة النجاة. فحينذ كان حميد، رفيقه في السجن الذي هرب مثله من كفيله يملأ فراغه ويؤانس وحشته في غرفة كنجكا. وغمره الملايباليون بحبهم بعد أن استمعوا إلى قصته الغريبة هذه. وعلى أي حال تعد هذه الرواية إشارة ظاهرة عن التحول الكبير الذي يحدث في تعامل الناس مع الأدب من ثقافة روائية وراثية محافظة إلى ثقافة الجيل الجديد المفتوحة في انتقاء المضامين والأساليب وطرق أدائها. وتستحسن الإشارة إلى ما قاله الأديب من كيرالا أن. رادها كرشنن بصدد هذه الرواية "وفي جاذبية التجارب وتفنينها تفوق هذه الرواية رواية "شانتارام" لكريكري داويد روبرتس[٢]. وهذه ليست ورقة من الحياة فحسب بل هي الحياة الدامية نفسها. وبدون مغالاة، نستطيع أن نقول إن هذه الرواية ينبغي قراءتها ليس فقط لمن في أوساط القارئين بل لكل إنسان في مختلف مجالات الحياة".

[١] المصدر السابق ص: ١٨٧

[٢] كريكري داويد روبرتس (Grigory David Roberts) ١٩٥٢، أديب من أستراليا ومشهور بروايته"شانتارام" (٢٠٠٣)، وتتحدث فيها عن قصة رجل مدمن المخدرات ومحكوم عليه بتهمة سرقة البنك تخلص من سجن بنتريد ثم يتسلل إلى الهند. وقد توجد فيها تفاصيل عن مدينة مومباي الصاخبة..

المصادر والمراجع

- بنيامين، آدو جيوتم (عيش الغنم)، جرين بوكس، ترشور، كيرالا، ٢٠١١
- مجلة ماتر بهومي الأسبوعية. العدد ١٢، ٨٨
- الأدب المهجري والأدب البرواسي: دراسة مقارنة لعلي نوفل، دراسة جامعية، جامعة جواهرلال نهرو، نيودلهي ٢٠٠٣

http://www.thehindu.com/todays-paper/tp-national/tp-newdelhi/three-malayalis-on-the-man-asian-longlist/article4169108.ece

http://www.livemint.com/Opinion/POMekzI7Lf7gwH8FmLfJ4O/Jaipur-Literature-Festival--Beastly-tales-A-conversation-w.html

هيئة التدريس في مركز الدراسات العربية والإفريقية

الأستاذ بشيرأحمد الجمالي

الأستاذ أسلم الإصلاحي

الأستاذ فيضان الله الفاروقي

الدكتور مجيب الرحمن

الدكتور خلدون سعيد صبح (الأستاذ الزائر)

الدكتور رضوان الرحمن

الدكتور قطب الدين

الدكتور عبيد الرحمن